

محمد بن إسحاق بن منده¹ (395 هـ)

الإمام، الحافظ، الجوال، محدث العصر، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصفهاني، ولد في سنة عشر وثلاثمائة أو إحدى عشرة. سمع من أبيه، وعم أبيه عبدالرحمن بن يحيى بن منده، ومحمد بن القاسم الكراني، وأبي علي الحسن بن أبي هريرة، وأبي سعيد بن الأعرابي وغيرهم، يصل عددهم إلى ألف وسبعمائة شيخ، وله إجازة من الحافظ عبدالرحمن بن أبي حاتم وغيره. وحدث عنه شيخه أبو الشيخ، وأبو بكر بن المقرئ، وأبو عبدالله الحاكم، وأبو عبدالله غنجار، وأبو سعد الإدريسي، وتمام الرازي، وأبو نعيم، وأحمد بن الفضل الباطرقاني، وآخرون.

قال الباطرقاني: حدثنا أبو عبدالله بن منده إمام الأئمة في الحديث لقاه الله رضوانه. وقال الحاكم: التقينا ببخارى في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وقد زاد زيادة ظاهرة، ثم جاءنا إلى نيسابور سنة خمس وسبعين ذاهباً إلى وطنه، فقال شيخنا أبو علي الحافظ: بنو منده أعلام الحفاظ في الدنيا قديماً وحديثاً، ألا ترون إلى قريجة أبي عبدالله! وقيل: إن أبا نعيم الحافظ ذكر له ابن منده، فقال: كان جبلاً من الجبال. وقال أحمد بن جعفر الحافظ: كتبت عن أزيد من ألف شيخ، ما فيهم أحفظ من ابن منده. وقال شيخ هراة أبو إسماعيل الأنصاري: أبو عبدالله بن منده سيد أهل زمانه. توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

1 السير (17/28-43) والبداية والنهاية (11/359-360) وتذكرة الحفاظ (3/1031) وشذرات الذهب (3/146) والوفاي بالوفيات (2/190-191).

◀ موقفه من المبتدعة:

روى القاضي أبو الحسين في الطبقات عن محمد بن إسحاق قال: كتبت عن ألف شيخ وسبعمائة شيخ. وقال: طفت الشرق والغرب مرتين، فلم أتقرب إلى كل مذذب. ولم أسمع من المبتدعين حديثا واحدا.¹

◀ موقفه من الجهمية:

له من الآثار السلفية:

1- كتاب التوحيد: وقد ذكر فيه ما يتعلق بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات. وقد طبع والله الحمد.

2- الرد على الجهمية: وقد طبع بتحقيق الشيخ علي ناصر.

3- الرد على اللفظية: ذكره في سير أعلام النبلاء.²

4- السنة، ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة.³

◀ موقفه من المرجئة:

له كتاب الإيمان: ويعتبر من أهم الكتب في هذا الباب وأوسعها وأحسنها، وقد أفاض في الرد على المرجئة والخوارج، وذكر كل ما يتعلق بالإيمان وشعبه. وقد طبع والحمد لله رب العالمين بتحقيق الشيخ علي نلصر، وهو رسالته العلمية في مرحلة الدكتوراه، وقد أورد رحمه الله في مستهل بعض الأبواب كلاما جيدا منه:

1 طبقات الحنابلة (2/167).

2 السمر (17/41).

3 (ص.38).

- ذكر ما يدل على أن اسم الإيمان يقع ما ذكر جبريل عليه السلام وأن شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت أصل الإيمان وأساسه وأنها بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾¹ وقال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾² اهـ³

1 البقرة الآية (177).

2 المؤمنون الآية (1).

3 الإيمان (294/1).

- ذكر معنى الإيمان ومن وصف الرسول ﷺ وأنها بضع وسبعون
شعبة وبيان ذلك من الأثر.

قال الله عز وجل: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ﴾¹ معناه صدق الرسول اهـ.
وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾² يصدقون اهـ. وقوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾³ لن
نصدقك اهـ. وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾⁴ لنا يعني بمصدق لنا اهـ. ليكسر
أول وآخر فأوله الإقرار وآخره إمطة الأذى عن الطريق كما ﷺ. اهـ
والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال
له والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي فمنها قيل يزيد
وينقص. اهـ وذكر عثمان بن عطاء بن أبي مسلم عن أبيه قال: ضرب مثل
الإسلام كمثل بغير؛ فرأسه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده
ورسوله، والإيمان بما هو كائن من بعد الموت والبعث والحساب والجنة والنار
والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج قائمة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل
الله، وقد يحمل البعير وهو محبوب والمحبوب الذي لا سنام له. قال: وقد يحمل
البعير الوسطى وهو ظالع. اهـ فإن قطع رأس أو كسرت قائم برك البعير فلم
ينهض، وأن الفرائض لا تقبل إلا جميعا، لا يقبل الله منها شيء دون شيء.

1 البقرة الآية (285).

2 البقرة الآية (3).

3 الإسراء الآية (90).

4 يوسف الآية (17).

قال: وكان ابن مسعود يقول: لا يقبل نافلة حتى يؤدوا فريضتها. اهـ¹

- ذكر الأخبار الدالة على الفرق بين الإيمان والإسلام ومن قال

بهذا القول من أئمة أهل الآثار.

قال الزهري: الإسلام هي الكلمة، والإيمان العمل. اهـ روى أحمد بن حنبل عن منصور بن سلمة أن حماد بن زيد كان يفرق بين الإسلام والإيمان؛ فيجعل الإيمان الموطأ والإسلام عاما. يعني: أن معرفة الإيمان عند الله دون خلقه خاص له، والإسلام عام. قال: وكذلك قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾². اهـ

وقال عبد الملك الميموني: سألت أحمد بن حنبل أتفرق بين الإيمان والإسلام؟ فقال لي: نعم. قلت له: بأي شيء تحتج؟ فقال لي: قال الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا

أَسْلَمْنَا﴾³. قال: وأقول مؤمن إن شاء الله، وأقول مسلم ولا أستثني. اهـ

وقال بهذا القول جماعة من الصحابة والتابعين؛ منهم عبد الله بن عباس والحسن ومحمد بن سيرين. اهـ

وقال أبو جعفر محمد بن علي - ووصف الإسلام فدور دائرة واسعة -:

فهذا الإيمان، ودور دائرة صغيرة وسط الكبيرة، فإذا زنا وسرق خرج من

1 (301-300/1).

2 فصلت الآية (33).

3 الحجرات الآية (14).

الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج منه من الإسلام إلا الكفر بالله عز وجل. اهـ —
وهذا مذهب جماعة من أئمة الآثار.¹

— ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان
والإسلام اسمان لمعنى واحد، وأن الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه
عليهم هو الإسلام الذي جعله الله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه، وهو
ضد الكفر الذي سخطه ولم يرضه لعباده.

فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾² وقال:

﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾³ وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾⁴ وقال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ

نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾⁵، فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان، وجعله اسم

ثناء وتزكية، وأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه وهدى، وأخبر أنه
دينه الذي ارتضاه، ألا ترى أن أنبياء الله ورسله رغبوا فيه إليه وسألوه إياه،

فقال إبراهيم خليل الرحمن ﷺ وإسماعيل ﷺ سألوا فقالوا: ﴿وَأَجَعَلْنَا

1 (312-311/1)

2 الزمر الآية (7).

3 المائدة الآية (3).

4 الأنعام الآية (125).

5 الزمر الآية (22).

مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ¹ وقال يوسف عليه السلام:
 ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾² وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾³ وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁴
 وقال عز وجل: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا
 تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁵ وقال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 وَالْأُمِّيِّينَ أَاسْلَمْتُمْ^٦ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾⁶ وقال في موضع:
 ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ قَبْلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ
 ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾⁷ فحكم الله عز وجل بأن من
 أسلم فقد اهتدى، ومن آمن فقد اهتدى، فسوى بينهما. وقال في موضع
 آخر: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾⁸ وقال في
 قصة لوط: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{٧٥} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

1 البقرة الآية (128).

2 يوسف الآية (101).

3 آل عمران الآية (85).

4 آل عمران الآية (19).

5 البقرة الآية (136).

6 آل عمران الآية (20).

7 البقرة الآيات (136 و137).

8 الزخرف الآية (69).

غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾¹ وقال: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ ءَ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾² وقلل: ﴿إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِغَايَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣﴾³ فدل ذلك على أن من آمن فهو مسلم، وأن من استحق أحد الاسمين استحق الآخر إذا عمل بالطاعات التي آمن بها، فإذا ترك منها شيئاً مقراً بوجوبها كان غير مستكمل، فإن جحد منها شيئاً كان خارجاً من جملة الإيمان والإسلام، وهذا قول من جعل الإسلام على ضريين: إسلام يقين وطاعة، وإسلام استسلام من القتل والسبي، قال الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ءَ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾⁴.

- ذكر ما يدل على أن الإيمان هو الطاعات كلها، وأن الله سمى الصلاة

في كتابه إيماناً. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾⁵.

قال أهل التأويل: صلاتكم إلى القبلة الأولى وتصديقكم نبيكم ﷺ

1 الزخرف الآيةان (36و35).

2 القصص الآية (53).

3 النمل الآية (81).

4 (323-321/1) 4

5 البقرة الآية (143).

واتباعه إلى القبلة الأخرى، أي ليعطيكم أجرهما جميعاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹ قاله علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما. اهـ وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾² يعني بما أمر الله أن يؤمن به من الطاعات التي سماها على لسان جبريل عليه السلام إيماناً وإسلاماً، وكذلك من يكفر بمحمد أو بالصلاة أو بالصوم فقد جبط عمله. اهـ وما فسره على لسان نبيه ﷺ لو فد عبد قيس³ فقال: «أتدرون مل الإيمان؟ ثم فسره فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت». اهـ وقال محمد بن نصر: الإيمان هاهنا عبادة العابدين لله؛ قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾⁴. اهـ وقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾⁵ فالؤمن هو العابد لله، والعبادة لله هو فعله وهو الإيمان، والخالق هو المعبود الذي خلق المؤمن وعبادته وكل شيء منه، فالخالق بصفاته الكاملة خالق غير مخلوق ولا شيء منه مخلوق. والعباد بصفاتهم وأفعالهم وكل شيء منهم مخلوقون... وقال عز وجل: ﴿إِنَّا

1 البقرة الآية (143).

2 المائدة الآية (5).

3 تقدم تخريجه ضمن مواقف ابن بطه سنة (387هـ).

4 البينة الآية (5).

5 الزمر الآية (2).

سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ¹ قال بعض أهل التأويل: يعني القرآن. قال: وإنما أراد أن المنادي هو القرآن ليس يعني أن الإيمان هو القرآن، يعنون أنهم سمعوا القرآن يدعو إلى الإيمان فآمنوا، فالله هو الداعي إلى الإيمان بكلامه، وهو القرآن. فالله الخالق وكلامه صفة له دعا الناس بكلامه إلى الإيمان؛ أي دعاهم إلى أن يؤمنوا برهم. اهـ فهذا تأويل ما تقدم، لأن مذهب أهل العلم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. اهـ²

ذكر اختلاف أقاويل الناس في الإيمان ما هو؟

فقال طائفة من المرجئة: الإيمان فعل القلب دون اللسان. وقالت طائفة منهم: الإيمان فعل اللسان دون القلب، وهم أهل الغلو في الإرجاء. اهـ وقال جمهور أهل الإرجاء: الإيمان هو فعل القلب واللسان جميعاً. اهـ وقالت الخوارج: الإيمان فعل الطاعات المفترضة كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح. اهـ وقال آخرون: الإيمان فعل القلب واللسان مع اجتناب الكبائر. اهـ وقال أهل الجماعة: الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح غير أن له أصلاً وفرعاً؛ فأصله المعرفة بالله والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب واللسان، مع الخضوع له والحب له والخوف منه، والتعظيم له مع ترك التكبر والاستنكاف والمعاندة. فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملاً له حتى يأتي بفرعه وفرعه المفترض عليه أو الفرائض، واجتناب المحارم. وقد

1 آل عمران الآية (193).

2 (328-327/1) 2

جاء الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون - أو ستون - شعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»¹ فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان والشفيتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح. اهـ فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان تقول: شهدت أشهد شهادة. اهـ والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك، والحياء في القلب، وإمطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح. اهـ²

- ذكر المثل الذي ضربه الله والنبي ﷺ للمؤمن والإيمان.

قال الله عز وجل: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»³ فضربها مثلا لكلمة الإيمان، وجعل لها أصلا وفرعا وثمرًا تؤتيه كل حين، فسأل النبي ﷺ أصحابه عن معنى هذا المثل من الله فوقعوا في شجر البوادي، فقال ابن عمر: فوقع في نفسي أهما النخلة، فاستحييت. فقال النبي ﷺ: «هي النخلة»⁴. ثم فسر النبي ﷺ الإيمان بسنته إذ فهم عن الله مثله: فأخبر أن الإيمان ذو شعب؛ أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، فجعل أصله الإقرار بالقلب واللسان، وجعل شعبه الأعمال. فالذي سمى الإيمان

1 تقدم ترجمته ضمن مواقف أبي إسحاق الفزاري سنة (186هـ).

2 (331/1-332).

3 إبراهيم الآيتان (24 و25).

4 أخرجه: أحمد (1/2) والبخاري (1/193/61) ومسلم (4/2164-2165/2811).

التصديق، هو الذي أخبر أن الإيمان ذو شعب؛ فمن لم يسم الأعمال شعباً من الإيمان كما سماها النبي ﷺ، ويجعل له أصلاً وشعباً كما جعله الرسول ﷺ كما ضرب الله المثل به كان مخالفاً له، وليس لأحد أن يفرق بين صفات النبي ﷺ للإيمان فيؤمن ببعضها ويكفر ببعضها؛ لأن النبي ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان بدأ بالشهادة، وقال لوفد عبد قيس: «أتدرون ما الإيمان؟» فبدأ بالشهادة -وهي الكلمة- أصل الإيمان، والشاهد بلا إله إلا الله هو المصدق المقر بقلبه يشهد بما لله بقلبه ولسانه، يتدنى بشهادة قلبه والإقرار به، ثم يثني بالشهادة بلسانه والإقرار به بنية صادقة يرجع بها إلى قلب مخلص، فذلك المؤمن المسلم ليس كما شهد به المنافقون إذ قالوا: «نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ¹» قال الله: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٦﴾» فلم يكذب قولهم، ولكن كذبهم من قلوبهم فقال: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ» كما قالوا، ثم قال: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾» فكذبهم؛ لأنهم قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. فالإسلام الحقيقي ما تقدم وصفه؛ وهو الإيمان والإسلام الذي احتجز به المنافقون من القتل والسبي هو الاستسلام، وباللغة التوفيق. اهـ²

1 المنافقون الآية (1).

2 (351-350/1).

- ذكر الأبواب والشعب التي قالها النبي ﷺ أنها الإيمان، وأنها قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان، التي علمهن جبريل عليه السلام الصحابة وكذلك روي عنه من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين المصطفى مجملها.

فمن أفعال القلوب: النيات والإرادات، والعلم والمعرفة بالله وبما أمر به، والاعتراف له والتصديق به وبما جاء من عنده، والخضوع له ولأمره، والإجلال والرغبة إليه والرغبة منه، والخوف والرجاء والحب له ولما جاء من عنده، والحب والبغض فيه، والتوكل والصبر والرضاء، والرحمة والحياء، والنصيحة لله ولرسوله ولكتابه، وإخلاص الأعمال كلها مع سائر أعمال القلب. اهـ

ومن أفعال اللسان: الإقرار بالله وبما جاء من عنده، والشهادة لله بالتوحيد، ولرسوله بالرسالة ولجميع الأنبياء والرسل، ثم التسبيح والتكبير، والتحميد والتهليل، والثناء على الله والصلاة على رسوله، والدعاء وسائر الذكر. اهـ

ثم أفعال سائر الجوارح: من الطاعات والواجبات التي بني عليها الإسلام؛ أولها: إتمام الطهارات كما أمر الله عز وجل، ثم الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والزكاة على ما بينه الرسول ﷺ، ثم حج البيت من استطاع إليه سبيلا. وترك الصلاة كفر، وكذلك جحود الصوم والزكاة والحج، والجهاد فرض على كفاية مع البر والفاجر. وسائر الأعمال التطوع التي يستحق بفعلها اسم زيادة الإيمان، والأفعال المنهي عنها التي بفعلها

يستحق نقصان الإيمان. اهـ¹

بديع الزمان الهمداني (398 هـ)

◀ موقفه من الرافضة:

قال ياقوت في معجم الأدباء²: قال البديع يمدح الصحابة ويهجو الخوارزمي³ ويحبه عن قصيدة رويت له في الطعن عليهم:

وكلني بالهم والكآبه	طعانة لعانة سبابه
للسلف الصالح والصحابه	أساء سمعاً فأساء جابه
تأملوا يا كبراء الشيعه	لعشرة الإسلام والشريعه
أستحل هذه الوقيعه	في بيع الكفر وأهل البيعه
فكيف من صدق بالرساله	وقام للدين بكل آله
وأحرز الله يد العقي له	ذلكم الصديق لا محاله
إمام من أجمع في السقيفه	قطعاً عليه أنه الخليفه
ناهيك من آثاره الشريفه	في رده كيد بني حنيفه
سل الجبال الشم والبحارا	وسائل المنبر والمنارا
واستعلم الآفاق والأقطار	من أظهر الدين بها شعارا

1 (362/1).

2 (196/2-200).

3 هو أبو بكر ممد بن العباس الخوارزمي، كان رافضياً حيثياً، انظر ترجمته في الواقي بالوفيات للصفدي (191/3-196).

وليس هو أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي شيخ الحنفية. انظره فيما يأتي سنة (403هـ).

من الذي فل شبا الكفار
إلا لثاني المصطفى في الغار
وقال إذ لم تقل الأفواه
من قام لما قعدوا إلا هو
ثانيه في الغارة بعد العاده
ثانيه في القبر بلا وساده
نبوة أفضت إلى إمامه

ثم سل الفرس وبيت النار
هل هذه البيض من الآثار
وسائل الإسلام من قوَاه
واستنجز الوعد فأومى الله
ثاني النبي في سني الولاده
ثانيه في الدعوة والشهاده
ثانيه في منزلة الزعامه
إلى أن قال:

ما لك يا مأمون تغتاب عمر
صرح بالحادك لا تمش الخمر
كيما يقيم عند قوم سوقا
فما لك اليوم كذا موهوقا
والقدح في السيد ذي النورين
معترضٌ للحين بعد الحين
عن مشتري الخلد بيئر رومه
من استجاز القدح في الأئمه
فلا تلوموه ولوموا أمه
عائشة الراضية المرضيه
ألم تكن للمصطفى حظيه

ويلك لم تنبح يا كلب القمر؟
سيد من صام وحج واعتمر
يا من هجا الصديق والفاروقا
نفخت يا طبل علينا بوقا
إنك في الطعن على الشيخين
لواهن الظهر سخين العين
هلاً فهتك الوجنة الموشومه
كفى من الغيبة أدنى شمه
ولم يعظم أمناء الأممه
مالك يا نذل وللزكويه
يا ساقط الغيرة والحميه

محمد بن أبي زَمَنِين¹ (399 هـ)

الإمام القدوة، الزاهد، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد، المري الأندلسي، الألبيري، شيخ قرطبة، ومن المفخر الغرناطية، ولد في أول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. كان راسخا في العلم مفننا في الآداب، مقتنيا لآثار السلف، صاحب عبادة وإنابة وتقوى، وكان عارفا بمذهب مالك، بصيرا به. وكان صاحب جد وإخلاص، ومجانبة للأمراء، وكان من حملة الحجة. سمع من وهب بن مسرة وأحمد بن المطرف وأحمد بن الشامة وتفقه بإسحاق بن إبراهيم الطليطلي. وروى عنه أبو عمرو الداني وأبو عمر ابن الحذاء، وجماعة. توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

آثاره في العقيدة السلفية:

1- "أصول السنة": وقد نقل منه شيخ الإسلام في كثير من فتاواه.

وهو مطبوع متداول.

2- تفسير القرآن: مخطوط في القرويين² اختصره من تفسير يحيى بن

سلام التيمي ذكره الذهبي في السير³ وهو في الأعلام⁴.

ومن أقواله الطيبة في ذمه للبدعة وثنائه على السنة ما جاء في أصول السنة:

1 ترتيب المدارك (259/2-261) وتذكرة الحفاظ (1029/3) والوفاي بالوفيات (321/3) والديليج (232/2-234)

وشذرات الذهب (156/3) والسير (188/17-189).

2 (34/40).

3 (189/17).

4 (227/6).

- باب في الحض على لزوم السنة واتباع الأئمة:

اعلم رحمك الله أن السنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس ولا تؤخذ بالعقول، وإنما هي في الاتباع للأئمة ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة، وقد ذكر الله عز وجل أقواماً أحسن الثناء عليهم فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾¹، وأمر عباده فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾﴾². اهـ³

- وقال: ولم يزل أهل السنة يعيرون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم ويخوفون فتنهم، ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنا عليهم⁴.

◀ موقفه من الرافضة:

- قال رحمه الله: ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم. وقد أثنى الله عز وجل في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم

1 الزمر الآيات (17 و18).

2 الأنعام الآية (153).

3 رياض الجنة في تخريج أصول السنة (ص. 35).

4 أصول السنة لابن أبي زمنين (293).

بمحببتهم والدعاء لهم فقلل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾¹ وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾² اهـ³

◀ موقفه من الجهمية:

قال رحمه الله في أصول السنة: ومن قول أهل السنة: إن القرآن كلام الله وتزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ، وإليه يعود.⁴ وقال: ومن قول أهل السنة: إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁵ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى⁶ وفي قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾⁶ فسبحان من بعد فلا يرى، وقرب

1 الفتح الآية (29).

2 الحشر الآيتان (9 و8).

3 رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين (263).

4 المصدر نفسه (ص. 82).

5 طه الآيتان (5 و6).

6 الحديد الآية (4).

بعلمه وقدرته فسمع النجوى.¹

وقال: ومن قول أهل السنة: إن الله عز وجل يتزل إلى سماء الدنيا،
ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدا.²

وقال: ومن قول أهل السنة: إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وإنه
يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه، وقال عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾³ وقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ ﴿٣٢﴾﴾⁴ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿٣٥﴾﴾⁵

فسبحان من ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾⁶. اهـ⁷

- وقال: وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة وقال عز وجل:
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾⁸ وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

1 رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين (ص.88).

2 المصدر نفسه (ص.110).

3 يونس الآية (26).

4 القيامة الآيتان (22 و23).

5 المطففين الآية (15).

6 الأنعام الآية (103).

7 رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين (ص.120).

8 القارعة الآيات (6-9).

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظَلِّمْ نَفْسٌ شَيْئًا^ط ﴿١﴾. اهـ^٢

◀ موقفه من الخوارج:

- قال رحمه الله: وأهل السنة يؤمنون بأن الله عز وجل يدخل ناسا الجنة من أهل التوحيد بعدما مستهم النار برحمته تبارك وتعالى اسمه، وبشفاعة الشافعين.^٣

- وقال: وأهل السنة لا يحجبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة، ولا يرون أن تترك الصلاة على من مات منهم وإن كان من أهل الإسراف على نفسه، وقال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ^ط﴾. اهـ^٤

◀ موقفه من المرجئة:

- قال: ومن قول أهل السنة: إن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح، على نية حسنة وإصابة السنة. قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^ط أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^ط﴾^٥

1 الأنياء الآية (47).

2 رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين (ص.162).

3 المصدر نفسه (180).

4 محمد الآية (19).

5 أصول السنة (ص.224).

6 المحررات الآية (15).

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ¹﴾ ثم وصفهم بأعمالهم فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ﴾ - وهم الصائمون - ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمِيرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ² وَنَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾³ وقال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ⁴﴾⁴ قال محمد: والإيمان بالله هو باللسان والقلب وتصديق ذلك العمل. فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه.⁵

- وقال: ومن قول أهل السنة: إن الإيمان درجات ومنازل يتم ويزيد وينقص، ولولا ذلك استوى الناس فيه، ولم يكن للسابق فضل على المسبوق.

1 التوبة الآية (111).

2 التوبة الآية (112).

3 التوبة الآية (5).

4 فاطر الآية (10).

5 رياض اللجنة بتخريج أصول السنة (207).

وبرحمة الله وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة فيه يتفاضلون في الدرجات ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾¹ ومثل هذا في القرآن كثير.²

◀ موقفه من القدرية:

قال محمد بن عبدالله: ومن قول أهل السنة: إن المقادير كلها خيرها وشرها حلوها ومرها من الله عز وجل، فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وقال تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾³، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾⁴، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾⁵، وقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾⁶، وقال: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾⁷، وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾⁸،

1 الإسراء الآية (21).

2 رياض الجنة بتخريج أصول السنة (211).

3 الأعراف الآية (54).

4 الأحزاب الآية (38).

5 القمر الآية (49).

6 التوبة الآية (51).

7 الأنبياء الآية (35).

8 الأنفال الآية (24).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾¹،

وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾²، وقال: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ

هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾³ مثل هذا في القرآن كثير.

وساق رحمه الله نصوصا في الرد على القدرية.⁴

موقف السلف من

ابن يونس المنجم (399 هـ)

بيان ضلاله:

قال الذهبي: المنجم الكبير، مصنف 'الزيج الحاكمي'، أبو الحسن علي ابن محدث مصر أبي سعيد عبدالرحمن بن الفقيه أحمد بن شيخ الإسلام يونس ابن عبدالأعلى الصديقي المصري. وأهل التنجيم يخضعون لفضيلة هذا التأليف. وله نظم رائع. لبس مرة ثياب النساء، وضرب بالعود، وبخمر، ورقب الزهرة، وكان يلبس تحت العمامة طرطورا، كالبدو، وله إصابات عجيبة تضل الجهلة. وقد عدله القاضي محمد بن النعمان وقبلة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.⁵

1 يونس الآية (96).

2 السجدة الآية (13).

3 النحل الآية (37).

4 رياض الجنة بتخريج أصول السنة (197).

5 السير (109/17).

وقال في الميزان¹: لا يحل الأخذ عنه؛ فإنه منجم ساحر.

موقف السلف من

أبي حيان التوحيدي (في حدود 400 هـ)

بيان زندقته:

لم يتمالك ابن السبكي أعصابه في ترجمة أبي حيان، فشن حملة على الإمام الذهبي لطعنه وتشنيعه على هذا الزنديق، مع أن الذهبي مسبوق بأئمة فحول ذكروا زندقة هذا الضال. ومن أشهرهم ابن الجوزي، وابن بابي في الخريدة والفريدة وغيرهما ولكن على عادته يتخبط تخبط الحاقد الذي يشتعل ناراً حتى أدت به الوقاحة إلى التجرؤ بالقول بأن علماء الحديث كانوا أشاعرة. وهذا من البهتان والكذب. وما أثبتناه في هذا البحث المبارك يبين أن لا علاقة لهم بالأشعرية، بل المحدثون حاربوا الأشعرية في وقتها المبكر، وما نحن بالبعيدين عن قصة أبي الحسن مع البرهماري²، وسيمر بنا إن شاء الله فحول تصدوا لها تصدياً.

قال الذهبي رحمه الله: الضال الملحد أبو حيان علي بن محمد بن العباس، البغدادي الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، ويقال: كان من أعيان الشافعية.

قال ابن بابي في كتاب الخريدة والفريدة: كان أبو حيان هذا كذاباً،

1 (132/3).

2 انظر مواقف البرهماري من الجهمية سنة (329هـ).

قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمر جسام من القذح في الشريعة، والقول بالتعطيل، ولقد وقف سيدنا الوزير صاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغل ويخفيه من سوء الاعتقاد. فطلبه ليقتله فهرب والتجأ إلى أعدائه ونفق عليهم تزخرفه وإفكه. ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يبيطنه من الإلحاد ويرومه في الإسلام من الفساد، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح، ويضيفه إلى السلف الصالح من القبائح. فطلبه الوزير المهلب فاستتر منه، ومات في الاستتار، وأراح الله. ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية.

وقال أبو الفرج بن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام هو أبو حيان، لأنهما صرحا وهو مجمج ولم يصرح.¹

وفيها عنه قال: أناس مضوا تحت التوهم، وظنوا أن الحق معهم وكان الحق وراءهم.

قال الذهبي: أنت حامل لوائهم.²

شداد بن إبراهيم³ (401 هـ)

أبو نجيب الملقب بالطاهر الجزري، شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه.

1 السير (119/17-120).

2 السير (121/17-122).

3 معجم الأدباء (270/11-272) وتمة يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (ص 59) وموسوعة شعراء العرب (626/2).

كان دقيق الشعر لطيف الأسلوب عالي السن. توفي سنة إحدى وأربعمئة.

◀ موقفه من الصوفية:

قال:

أيا جيل التصوف شرَّ جيلٍ لقد جئتم بأمر مستحيل
أفي القرآن قال لكم إلهي كلوا مثل البهائم وارقصوا لي¹

ابن السوسنجردي² (402 هـ)

أحمد بن عبدالله بن الخضر بن مسرور، أبو الحسين المعدل المعروف بابن السوسنجردي. سمع محمد بن عمرو الرزاز وأبا عمرو بن السماك، وأحمد بن سلمان وغيرهم، وكتب الناس عنه بانتخاب محمد بن أبي الفوارس، قال الخطيب: وكان ثقة مأمونا دينا مستورا حسن الاعتقاد شديدا في السنة. توفي في رجب سنة اثنتين وأربعمئة.

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في طبقات الحنابلة عنه: أنه اجتاز يوما في سوق الكرخ. فسمع سب بعض الصحابة، فجعل على نفسه أن لا يمشي قط في الكرخ.³

1 معجم الأدباء (271/11).

2 تاريخ بغداد (237/4) وطبقات الحنابلة (168/2-169) والعر (410/1) والمنتظم (85/15) وشذرات الذهب (163/3).

3 طبقات الحنابلة (169/2).

الهرواني¹ (402 هـ)

محمد بن عبدالله بن الحسين أبو عبدالله الإمام العلامة شيخ الحنفية القاضي، الجحفي المعروف بالهرواني، تلا لعاصم على أبي العباس محمد بن الحسن وسمع من محمد بن القاسم المحاري، وعلي بن محمد بن هارون ومحمد ابن جعفر بن رياح الأشجعي. قرأ عليه أبو علي غلام الهراس، وحدث عنه أبو محمد يحيى بن محمد بن الحسن، وأبو الفرج محمد بن أحمد بن علان، ومحمد بن الحسن بن المنثور الجهني وآخرون. قال الخطيب: قال لي العتيقي: ما رأيت بالكوفة مثل القاضي الهرواني. وقال: كان ثقة حدث ببغداد، وكان من عاصره يقول: لم يكن بالكوفة من زمن ابن مسعود إلى وقته أحد أفقه منه. توفي في رجب سنة اثنتين وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

من آثاره السلفية: الرد على الجهمية².

إبراهيم بن محمد بن حسين³ (402 هـ)

الإمام إبراهيم بن محمد بن حسين أبو إسحاق الأموي الطليطلي. سمع بطليطلة ثم رحل إلى قرطبة ثم إلى سائر بلاد الأندلس، ثم رحل إلى المشرق،

1 السير (101/17-102) وتاريخ بغداد (472/5-473) والعبير (411/1-412) وغاية النهاية (177/2-178) وشذرات الذهب (165/3).

2 ذكره ابن تيمية في المنهاج (363/2-364).

3 تاريخ الإسلام (حوادث 401-410/ص. 57) والسير (151/17) وشذرات الذهب (163/3) والوفاي بالوفيات (103/6).

فسمع بمصر والحجاز. كان زاهدا فاضلا ناسكا صواما قواما ورعا، كثير التلاوة غلب عليه علم الحديث ومعرفة طرقه. توفي سنة اثنتين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

جاء في تاريخ الإسلام: وكان سنيا نافرا للمبتدعة، هاجرا لهم.¹

ابن الباقلاني² (403 هـ)

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري صاحب التصانيف. سمع أبا بكر القطيعي وأبا محمد بن ماسي وطائفة. حدث عنه الحافظ أبو ذر الهروي وأبو جعفر السمناقي وغيرهم. وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية. وكان يلقب بسيف السنة ولسان الأمة، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة.

قال أبو بكر الخوارزمي: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس سوى القاضي أبي بكر فإنما صدره يحوي علمه وعلم الناس.

وقال أبو محمد الباقي: لو أوصى رجل بثلاث ماله لأفصح الناس لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الأشعري.

وكانت له مناظرات أفحم فيها النصاري. مات في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة وصلى عليه ابنه حسن، وكانت جنازته مشهودة، وكان

1 تاريخ الإسلام (حوادث سنة 401-410/ص.57) والسير (151/17) والتذكرة (1092/3).

2 السير (190/17-193) والشذرات (168/3-170) والمنتظم (96/15) وتاريخ بغداد (379/5-383).

سيفا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة.

◀ موقفه من المشركين:

- قال شيخ الإسلام: وقد صنف المسلمون في كشف أسرارهم وهتك أستارهم (يعني الملاحدة) كتبا كبارا وصغارا وجاهدوهم باللسان واليد إذ كانوا بذلك أحق من اليهود والنصارى. ولو لم يكن إلا كتاب 'كشف الأسرار وهتك الأستار' للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب¹... وذكر كتبا أخرى.

- وقال أيضا: ولهذا كان مناظرة كثيرة من المسلمين للنصارى من هذا الباب كالحكاية المعروفة عن القاضي أبي بكر بن الطيب لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية، فإفهم عظمه وعرف النصارى قدره، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل، فأدخلوه من باب صغير ليدخل منحيا، ففطن لمكرهم فدخل مستدبرا متلقيا لهم بعجزه، ففعل نقيض ما قصدوه. ولما جلس وكلموه أراد بعضهم القدح في المسلمين، فقال له: ما قيل في عائشة امرأة نبيكم؟ يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقوله من الرافضة أيضا، فقال القاضي: ثنتان قدح فيهما ورميتا بالزنا إفكا وكذبا: مريم وعائشة، فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج، فأبجت النصارى. وكان مضمون كلامه أن ظهور براءة عائشة أعظم من ظهور براءة مريم، وأن الشبهة إلى مريم أقرب منها إلى عائشة، فإذا كان مع هذا قد ثبت كذب القادحين في مريم، فثبت

كذب القادحين في عائشة أولى.¹

- وفيه عنه: قال القاضي أبو بكر بن الطيب: قد اتفق جميع الباطنية، وكل مصنف لكتاب ورسالة منهم، في ترتيب الدعوة المضلة، على أن من سبيل الداعي إلى دينهم ورجسهم، المحانب لجميع أديان الرسل والشرائع أن يجيب الداعي إليه الناس بما يبين وما يظهر له من أحوالهم ومذاهبهم، وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم ما أنا حاك لألفاظهم وصيغة قولهم، بغير زيادة ولا نقصان، ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر الرسل والملل، فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً: أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف، وقتلهم الحسين، وسيهم نساءه وذريته، والتبري من تيم وعدي، ومن بني أمية وبني العباس، وأن تكون قائلاً بالثبويه والتحسيم، والبدء، والتناسخ، والرجعة، والغلو، وأن علياً إله يعلم الغيب، مفوض إليه خلق العالم، وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، فإنهم أسرع إلى إجابتك بهذا الناموس، حتى تتمكن منهم مما تحتاج إليه أنت ومن بعدك، ممن تثق به من أصحابك، فترقيهم إلى حقائق الأشياء حالاً فحالاً، ولا تجعل كما جعل المسيح ناموسه في زور موسى القول بالتوراة وحفظ السبت، ثم عجل وخرج عن الحد، وكان له ما كان، يعني من قتلهم له، بعد تكذيبهم إياه، وردهم عليه، وتفرقهم عنه. فإذا آنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، وعرفته حقيقة الحق لمن هو، وفيمن هو، وباطل بطلان كل ما عليه أهل ملة

1 المنهاج (56/2-57) وانظرها مطولة في ترتيب المدارك (209/2-213).

محمد ﷺ وغيره من الرسل، ومن وجدته صابئاً فأدخله مداخله بالأشانيع وتعظيم الكواكب، فإن ذلك ديننا وجل مذهبنا في أول أمرنا، وأمرهم من جهة الأشانيع يقرب عليك أمره جدا. ومن وجدته مجوسيا اتفقت معه في الأصل، في الدرجة الرابعة، من تعظيم النار والنور، والشمس والقمر، واتل عليهم أمر السابق، وأنه نهر من الذي يعرفونه، وثالثه المكنون من ظنه الجيد والظلمة المكتوبة، فإنهم مع الصابئين أقرب الأمم إلينا، وأولاهم بنا، لولا يسير صحفوه بجهلهم به "قالوا" وإن ظفرت بيهودي فادخل عليه من جهة انتظار المسيح، وأنه المهدي الذي ينتظره المسلمون بعينه، وعظم السبب عندهم، وتقرب إليهم بذلك، وأعلمهم أنه مثل يدل على ممثل، وأن ممثله يدل على السابع المنتظر، يعنون محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنه دوره، وأنه هو المسيح، وهو المهدي، وعند معرفته تكون الراحة من الأعمال، وترك التكليفات، كما أمروا بالراحة يوم السبت، وأن راحة السبت هو دلالة على الراحة من التكليف والعبادات في دور السابع المنتظر، وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال الحيارى، الذين يزعمون أن عيسى لم يولد ولا أب له، وقو في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه، وأن مريم أمه، وأن يوسف النجار كان ينال منها ما ينال الرجال من النساء، وما شاكل ذلك، فإنهم لن يلبثوا أن يتبعوك. "قال" وإن وجدت المدعى نصرانيا، فلدخل عليه بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا، وصحة قولهم في الثالوث، وأن الأب والابن وروح القدس صحيح، وعظم الصليب عندهم، وعرفهم تأويله. وإن وجدته مثنيا فإن المثنائية تحرك الذي منه يعترف، فداخلهم بالممازجة في

الباب السادس في الدرجة السادسة من حدود البلاغ، التي يصفها من بعد، وامتزج بالنور وبالظلام، فإنك تملكهم بذلك. وإذا آنتست من بعضهم رشدا فاكشف له الغطاء. ومتى وقع إليك فيلسوف فقد علمت أن الفلاسفة هم العمدة لنا. وقد أجمعنا نحن وهم على إبطال نواميس الأنبياء، وعلى القول بقدم العالم، لولا ما يخالفنا بعضهم من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه. فإن وقع الاتفاق منهم على أنه لا مدبر للعالم، فقد زالت الشبهة بيننا وبينهم. وإذا وقع لك ثنوي منهم فبخ بخ، قد ظفرت يداك بمن يقل معه تعبك، والمدخل عليه بإبطال التوحيد، والقول بالسابق والتالي، ورتب له ذلك على ما هو مرسوم لك في أول درجة البلاغ وثانيه وثالثه. وسنصنف لك عنهم من بعد واتخذ غليظ العهود، وتوكيد الأيمان، وشدة المواثيق جنة لك وحصنا، ولا تهجم على مستحبيك بالأشياء الكبار التي يستبشعونها حتى ترقبهم إلى أعلى المراتب: حالا فحالا، وتدرجهم درجة درجة، على ما سنبينه من بعد، وقف بكل فريق حيث احتمالهم، فواحد لا تزيده على التشيع والائتمام بمحمد بن إسماعيل، وأنه حي، لا تجاوز به هذا الحد، لا سيما إن كان مثله ممن يكثر به. وعوض اسمه، وأظهر له العفاف عن الدرهم والدينار، وخفف عليه وطأتك مرة بصلاة السبعين، وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب النبيذ، وعليك في أمره بالرفق والمداراة له والتودد، وتصير له: إن كان هواه متبعا لك تحظ عنده، ويكون لك عوننا على دهرك، وعلى من لعله يعاديك من أهل الملل، ولا تأمن أن يتغير عليك بعض أصحابك، ولا تخرجه عن عبادة إلهه، والتدين بشريعة محمد نبيه ﷺ والقول بإمامة علي وبنيه إلى محمد بن إسماعيل، وأقم له

دلائل الأسابيع فقط، ودقه بالصوم والصلاة دقا وشدة الاجتهاد، فإنك يومئذ إن أومات إلى كريمته، فضلا عن ماله، لم يمنعك، وإن أدركته الوفاة فوض إليك ما خلفه، وورثك إياه، ولم ير في العالم من هو أوثق منك، وآخر ترقيه إلى نسخ شريعة محمد، وأن السابع هو الخاتم للرسول، وأنه ينطق كما ينطقون، ويأتي بأمر جديد، وأن محمدا صاحب الدور السادس، وأن عليا لم يكن إماما، وإنما كان سوسا لمحمد، وحسن القول فيه، وإلا سياسية، فإن هذا باب كبير، وعمل عظيم، منه ترقى إلى ما هو أعظم منه، وأكبر منه، ويعينك على زوال ما جاء به من قبلك، من وجوب زوال النبوات، على المنهاج الذي هو عليه، وإياك أن ترتفع من هذا الباب، إلا إلى من تقدر فيه النجاة، وآخر ترقيه من هذا إلى معرفة القرآن ومؤلفه وسببه، وإياك أن تغتر بكثير ممن يبلغ معك إلى هذه المترلة، فترقيه إلى غيرها: ألا يغلطون المؤانسة والمدارسة، واستحكام الثقة به، فإن ذلك يكون لك عوناً على تعطيل النبوات، والكتب التي يدعوها مترلة من عند الله، وآخر ترقيه إلى إعلامه أن القائم قد مات، وأنه يقوم روحانيا، وأن الخلق يرجعون إليه بصور روحانية، تفصل بين العباد بأمر الله عز وجل، ويستصفي المؤمنين من الكافرين بصور روحانية، فإن ذلك يكون أيضا عوناً لك عند إبلاغه إلى إبطال المعاد الذي يزعمونه، والنشور من القبر. وآخر ترقيه من هذا إلى إبطال أمر الملائكة في السماء، والجن في الأرض، وأنه كان قبل آدم بشر كثير، وتقييم على ذلك الدلائل المرسومة في كتبنا، فإن ذلك مما يعينك وقت بلاغه على تسهيل التعطيل للوحي، والإرسال إلى البشر بملائكة، والرجوع إلى الحق والقول بقدم العالم.

وآخر ترقيه إلى أوائل درجة التوحيد، وتدخل عليه بما تضمنه كتابهم المترجم بكتاب 'الدرس الشافي للنفس' من أنه لا إله ولا صفة ولا موصوف، فإن ذلك يعينك على القول بالإلهية لمستحقها عند البلاغ"، وإلى ذلك يعنون بهذا أن كل داع منهم يترقى درجة درجة، إلى أن يصير إماما ناطقا، ثم ينقلب إليها روحانيا، على ما سنشرح قولهم فيه من بعد. قالوا: "ومن بلغته إلى هذه المترلة فعرفه حسب ما عرفناك من حقيقة أمر الإمام، وأن إسماعيل وأباه محمدا كانا من نوابه، ففي ذلك عون لك على إبطال إمامة علي وولده عند البلاغ، والرجوع إلى القول بالحق". ثم لا يزال كذلك شيئا فشيئا حتى يبلغ الغاية القصوى على تدرج يصفه عنهم فيما بعد. قال القاضي: "فهذه وصيتهم جميعا للداعي إلى مذاهبهم، وفيها أوضح دليل لكل عاقل على كفر القوم وإلحادهم، وتصريحهم بإبطال حدوث العالم ومحدثه، وتكذيب ملائكته ورساله، ووجد المعاد والثواب والعقاب. وهذا هو الأصل لجميعهم وإنما يتمخرون بذكر الأول والثاني والناطق والأساس، إلى غير ذلك، ويخدعون به الضعفاء، حتى إذا استجاب لهم مستجيب أخذوه بالقول بالدهر والتعطيل.¹

◀ موقفه من الرفض:

- جاء في السير: وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرفضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية.²
- وفيها: قال أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني: كان ما يضمه

1 المنهاج (479/8-485).

2 السير (190/17).

القاضي أبو بكر الأشعري من الورع والدين أضعاف ما كان يظهره، ف قيل له في ذلك، فقال: إنما أظهر ما أظهره غيظا لليهود والنصارى، والمعتزلة والرافضة، لئلا يستحقروا علماء الحق... وكان سيفاً على المعتزلة والرافضة والمشبهة.¹

← موقفه من الجهمية:

موقفه من المؤولة:

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: وقال القاضي أبو بكر "محمد بن الطيب الباقلاني" المتكلم - وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده - قال في 'كتاب الإبانة' تصنيفه: فإن قال قائل: فما الدليل على أن الله وجهها ويدها؟ قيل له قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾² وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ^ط﴾³ فأثبت لنفسه وجهها ويدها. فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجهها ويدها إلا جارحة؟ قلنا لا يجب هذا، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى، وكما لا يجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهرًا، لأننا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك،

1 السير (17/192-193).

2 الرحمن الآية (27).

3 ص الآية (57).

وكذلك الجواب لهم إن قالوا: يجب أن يكون علمه وحياته، وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفات ذاته عرضا واعتلوا بالوجود. وقال: فإن قال فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل له: معاذ الله بل مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾¹ وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾² وقلل: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾³ قال: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه، والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.⁴

- جاء في السير: قال أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني: وكان سيفاً على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة، وقد أمر شيخ الحنابلة أبو الفضل التميمي منادياً يقول بين يدي جنازته: هذا ناصر السنة والدين، والذاب عن الشريعة، هذا الذي صنّف سبعين ألف ورقة. ثم كان يزور قبره كل جمعة. قيل: ناظر أبو بكر أبا سعيد الهاروني، فأسهب، ووسع

1 طه الآية (5).

2 فاطر الآية (10).

3 الملك الآية (16).

4 مجموع الفتاوى (98/5-99).

العبارة، ثم قال للجماعة: إن أعاد ما قلت، فنتعت به عن الجواب. فقال الهاروني: بل إن أعاد ما قاله، سلمت له.¹

- قال الذهبي: قلت: هو الذي كان يبغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان، وبالحضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية وألوان البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية، وكان يرد على الكرامية، وينصر الخنابلة عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامر، وإن كانوا قد يختلفون في مسائل دقيقة، فلهذا عامله الدارقطني بالاحترام، وقد ألف كتابا سماه: 'الإبانة' يقول فيه: فإن قيل: فما الدليل على أن الله وجهها ويدا؟ قال: قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾²، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾³ فأثبت تعالى لنفسه وجهها ويدا. إلى أن قال: فإن قيل: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه. إلى أن قال: وصفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والوجه واليُـدَانِ والعينان والغضب والرضى. فهذا نص كلامه. وقال نحوه في كتاب 'التمهيد' له، وفي كتاب 'الذب عن الأشعري' وقال: قد بينا دين الأمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير.

قلت: فهذا المنهج هو طريقة السلف، وهو الذي أوضحه أبو الحسن

1 السير (192/17-193).

2 الرحمن الآية (27).

3 ص الآية (75).

وأصحابه، وهو التسليم لنصوص الكتاب والسنة، وبه قال ابن الباقلاني، وابن فورك، والكبار إلى زمن أبي المعالي، ثم زمن الشيخ أبي حامد، فوقع اختلاف وألوان، نسأل الله العفو.¹

قال عبدالرحمن الوكيل: وقد سجل الباقلاني: أنه سلفي العقيدة في كتبه الآتية: التمهيد، والإبانة، والحيرة.²

القَابِسي³ (403 هـ)

علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الإمام الحافظ الفقيه العلامة عالم المغرب القروي القابسي صاحب 'الملخص'. حج وسمع من حمزة بن محمد الكتاني الحافظ، وأبي زيد المروزي، وابن مسرور الدباغ وطائفة. وكان عارفا بالعلل والرجال والفقه والأصول والكلام مصنفا يقظا دينا تقيا، وكان ضريرا وهو من أصح العلماء كتبا. قال حاتم الأطرابلسي: كان أبو الحسن القابسي زاهدا ورعا يقظا لم أر بالقيروان إلا معترفا بفضله. تفقه عليه أبو عمران الفاسي وأبو القاسم الليدي وعتيق السوسي وغيرهم. ألف تواليف بديعة. ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. وقد أخذ القراءة عرضا بمصر عن أبي الفتح ابن بدهن وأقرأ الناس بالقيروان دهرا، ثم قطع الإقراء لما بلغه أن بعض أصحابه أقرأ الوالي ثم أعمل نفسه في درس الفقه والحديث حتى برغ فيهما،

1 السير (558/17).

2 الصفات الإلهية بين السلف والخلف (ص. 56).

3 السير (162-158/17) ووفيات الأعيان (320/3-322) ومعالم الإيمان (134/3-143) وتذكرة الحافظ

(1079/3-1080) والبداية والنهاية (375/11) وشذرات الذهب (168/3).

وصار إمام العصر. أثنى عليه بأكثر من هذا أبو عمرو الداني وقال: كتبنا عنه شيئا كثيرا. توفي في ربيع الأخير بالقيروان سنة ثلاث وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

ألف تواليف بديعة ككتاب 'المنقذ من شبه التأويل' وكتاب 'المنبه للفتن من غوائل الفتن' وكتاب 'الاعتقادات' وغير ذلك.¹

الخوارزمي² (403 هـ)

محمد بن موسى بن محمد أبو بكر المفتي العلامة شيخ الحنفية الخوارزمي ثم البغدادي، تلميذ أبي بكر أحمد بن علي الرازي. سمع من أبي بكر الشافعي وغيره. روى عنه البرقاني، ومن تلامذته الشريف الرضي والقاضي الصيمري. وما شهد الناس مثله في حسن الفتوى والإصابة فيها، دعي مرارا إلى الحكم فامتنع. قال ابن كثير: وكان ثقة دينا حسن الصلاة على طريقة السلف. توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

جاء في السير عنه أنه قال: ديننا دين العجائز، لسنا من الكلام في

شيء.³

1 السير (160/17) والديباج المذهب (102/2).

2 السير (235/17) والبداية والنهاية (375-374/11) والروابي بالوفيات (93/5) وتاريخ بغداد (247/3) وشذرات الذهب (170/3).

3 السير (235/17).

سهل بن محمد الصُّغْلُوكِي¹ (404 هـ)

العلامة، شيخ الشافعية بخراسان، الأديب الفقيه، مفتي نيسابور وابن مفتيها، أبو الطيب سهل بن الإمام أبي سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلي الحنفي، انتهت إليه رئاسة أصحاب الحديث بعد والده. تفقه على والده، وسمع من محمد بن يعقوب الأصم وأبي علي الرفاه، وأبي عمرو إسماعيل بن نجيد السلمي. وروى عنه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله وأبو بكر البيهقي وغيرهم.

درس الفقه واجتمع إليه الخلق اليوم الخامس من وفاة الأستاذ أبي سهل، وقد تخرج به جماعة من العلماء بنيسابور وسائر مدن خراسان، وتصدر للفتوى والقضاء والتدريس. قال الحاكم: هو من أنظر من رأينا، تخرج به جماعة، وحدث وأملى. قال: وبلغني أنه كان في مجلسه أكثر من خمس مائة محبرة. وقال: كان أبوه يجله، ويقول: سهل والـد. وقال أبو إسحاق الشيرازي: كان أبو الطيب فقيهاً أديباً، جمع رئاسة الدنيا والدين، وأخذ عنه فقهاء نيسابور. له ألفاظ بديعة منها: من تصدر قبل أوامه، فقد تصدى لهوانه. وكان بعض العلماء يعد أبا الطيب المجدد للأمة دينها على رأس الأربعمائة.

توفي في السنة الرابعة بعد الأربعمائة.

1 السير (207/17-209) والأنساب (64/8) ووفيات الأعيان (436-435/2) والبداية والنهاية (346/11) وشذرات الذهب (173-172/3) والوفاء بالوفيات (13-12/16).

◀ موقفه من الجهمية:

جاء في ذم الكلام: عنه قال: أقل ما في الكلام من الخسار سقوط هيبة الله من القلب.¹

أبو حامد الإسفراييني² (406 هـ)

الأستاذ العلامة، شيخ الإسلام، أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الفقيه الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد. ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. قدم بغداد وهو صغير ابن عشرين سنة. فتفقه على أبي الحسن بن المرزبان وأبي القاسم الداركي، وحدث عن عبدالله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي، وسمع 'السنن' من الدارقطني. وحدث عنه أبو الحسن الماوردي وسليم الرازي وأبو علي السنجي وآخرون. قال الخطيب: حدثونا عن أبي حامد، وكان ثقة، حضرت تدريسه في مسجد ابن المبارك، وسمعت من يذكر أنه كان يحضر درسه سبعمائة فقيه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به. وقال أبو إسحاق الشيرازي: سألت أبا عبدالله الصميري: من أنظر من رأيت من الفقهاء؟ فقال: أبو حامد الإسفراييني. قال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات: انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا ببغداد. توفي في السنة السادسة بعد الأربعمائة.

1 ذم الكلام (ص. 278).

2 السير (197-193/17) وتاريخ بغداد (4/368-370) والأنساب (1/238) ووفيات الأعيان (1/72-74) والوفاء بالوفيات (7/357-358) والبداية والنهاية (12/3-4) وشذرات الذهب (3/178-179).

◀ موقفه من الجهمية:

- جاء في فتاوى شيخ الإسلام: قال الشيخ أبو الحسن -محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي-: وكان الشيخ أبو حامد شديد الإنكار على الباقلائي وأصحاب الكلام، قال أبو الحسن: ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري، ويتراون مما بنى الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبهم عن الحوم حوالياه على ما سمعت عدة من المشايخ والأئمة، منهم الحافظ المؤمن بن أحمد بن علي الساجي يقولون: سمعنا جماعة من المشايخ الثقات قالوا: كان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني إمام الأئمة الذي طبق الأرض علما، وأصحابا، إذا سعى إلى الجمعة من قطيعة الكرخ إلى جامع المنصور، ويدخل الرباط المعروف بالروزي المحاذي للجامع ويقبل على من حضر ويقول: اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، كما قال أحمد بن حنبل لا كما يقول الباقلائي¹، وتكرر ذلك منه في جمعات فليل له في ذلك فقال: حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح ويشيع الخبر في البلاد أني بريء مما هم عليه يعني الأشعري، وبريء من مذهب أبي بكر الباقلائي، فإن جماعة من المتفهمة الغرباء يدخلون على الباقلائي خفية، فيقرءون عليه فيفتنون بمذهبه، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة، فيظن ظان أنهم مني تعلموه وأنا قلته، وأنا بريء من مذهب الباقلائي وعقيدته.

1 مفهوم هذا الكلام يفيد أن الباقلائي يقول بخلق القرآن، وهذا مخالف لما في كتابه التمهيد (ص. 268). وهذا أيضا يناقض ما أثبتناه في مواقف الباقلائي سنة (403هـ) من المؤولة من هذا الكتاب.

قال الشيخ أبو الحسن: وسمعت شيخي الإمام أبا منصور الفقيه الأصبهاني يقول: سمعت شيخنا الإمام أبا بكر الزاذقاني يقول: كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفراييني وكان ينهى أصحابه عن الكلام وعن الدخول على الباقلاني، فبلغه أن نفرا من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام، فظن أني معهم ومنهم وذكر قصة قال في آخرها: إن الشيخ أبا حامد قال لي: يا بني، بلغني أنك تدخل على هذا الرجل يعني الباقلاني، فإياك وإياه فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلال. وإلا فلا تحضر مجلسي، فقلت: أنا عائد بالله مما قيل وتائب إليه، واشهدوا علي أني لا أدخل إليه.

قال: وسمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول: سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد، أظن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أحدهم قالوا: كان أبو بكر الباقلاني يخرج إلى الحمام متبرقا خوفا من الشيخ أبي حامد الإسفراييني. قال وأخبرني جماعة من الثقات كتابة منهم القاضي أبو منصور يعقوبي عن الإمام عبدالله بن محمد بن علي هو شيخ الإسلام الأنصاري قال: سمعت عبدالرحمن بن محمد بن الحسين وهو السلمي يقول: وجدت أبا حامد الإسفراييني وأبا الطيب الضعلوكي وأبا بكر القفال المروزي وأبا منصور الحاكم على الإنكار على الكلام وأهله.¹

✓ التعليق:

ماذا يقول أشاعرة الشافعية في هذه النصوص، هل تحمل التأويل فينبغي أن تصرف عن ظاهرها. أو لا يعترفون أن أبا حامد منهم، أو يعتبرونه شاذاً

عنهم، أو أن شيخ الإسلام اخترع هذا من عنده، أو أن عقولهم أرجح من الشيخ أبي حامد وهم أعلم. ولا أدري ماذا يقول الأشاعرة على العموم في هذا العالم المعترف بعلمه عند الخاص والعام. فإذا كان هذا موقف الشيخ مع أبي بكر بن الباقلاني الذي وصفه شيخ الإسلام بأنه من أجل أصحاب الأشعري الذين معهم شيء من السنة والعقيدة السلفية. فماذا يفعل أبو حامد لو عاصر الجويني والغزالي والرازي وابن العربي والباجي وأما المتأخرون فلا نضع عليهم السؤال... والله المستعان.

انظر نموذجاً من عقيدة الشيخ منقولة من أصول الفقه له في اجتماع الجيوش عند قول الإمام ابن القيم: قول إمام الشافعية في وقته بل هو الشافعي الثاني أبي حامد الإسفراييني: كان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات قلل: مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى، وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله - عز وجل -، وحمله إلى محمد ﷺ، وسمعه النبي ﷺ من جبرائيل عليه السلام، وسمعه الصحابة - رضي الله عنهم - من محمد ﷺ، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله - عز وجل - ليس بمخلوق. ذكره في كتابه في أصول الفقه، ذكره عنه شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية.¹

1 اجتماع الجيوش (ص. 177) ومجموع الفتاوى (12/306).

أبو بكر محمد بن موهب المالكي¹ (406 هـ)

محمد بن موهب بن محمد أبو بكر التميمي المعروف بالقبري الحصار، هو جد أبي الوليد الباجي لأمه. كان من العلماء الزهاد والفضلاء، أخذ ببلده ورحل إلى المشرق فصحب أبا محمد بن أبي زيد واختص به. وكان القاضي ابن ذكوان يقدمه على فقهاء وقته، وكان الأصيلي يعرف حقه ويثني عليه. وله تأليف في الفقه مفيدة وشرح لرسالة شيخه. خرج من الأندلس إلى سبتة فأخذ عنه بها حمزة بن إسماعيل وغيره، ثم عاد إلى الأندلس. توفي في جمادى الأولى سنة ست وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

قال في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني: وأما قوله: (إنه فوق عرشه المجيد بذاته) فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تصديق ذلك. ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث الجارية إلى أن قال: وقد تأتي 'في' في لغة العرب بمعنى فوق، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾² يريد فوقها وعليها وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾³ يريد عليها وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي

1 تاريخ الإسلام (حوادث 401-410/ص. 152-153) والديباج المذهب (234/2) وشجرة النور الزكية (111/1).

2 الملك الآية (15).

3 طه الآية (71).

السَّمَاءِ أَنْ تَحْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ¹ الآيات، قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب: يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة رضي الله عنهم، مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها، وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد إنه فوق عرشه المجيد بذاته ثم بين أن علوه على عرشه إنما هو بذاته لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها وقد كان ولا مكان، ولم يحل بصفاته عما كان إذ لا تجري عليه الأحوال، لكن علوه في استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن يستوي على العرش لأنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ²﴾ و"ثم" أبدا لا يكون إلا لاستئناف فعل يصير بينه وبين ما قبله فسحة، إلى أن قال: وقوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى³﴾ فإنما معناه عند أهل السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته المعتزلة ومن قال بقولهم إنه بمعنى الاستيلاء وبعضهم يقول إنه على المجاز دون الحقيقة. قال: ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره، ما قد علمه أهل العقول أنه لم يزل مستوليا على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها وكان العرش وغيره في ذلك سواء. فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء

1 الملك الآية (16).

2 الحديد الآية (4).

3 طه الآية (5).

الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة، وقال: وكذلك بين أيضا أنه على الحقيقة بقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾¹ فلما رأى المنصفون أفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقروا بصفة الاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قوله، ووقفوا عن تكيف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثل شيء من الأشياء.²

ابن خلدون البلوي³ (407 هـ)

حسن بن خلدون أبو علي البلوي، قرأ على الشيخ أبي الحسن النابلسي. كان البلوي ركنا من أركان أهل السنة. وكان من أهل الكرم يعامل الناس معاملة حسنة وقسم مالا جليلا وفضائله كثيرة، حيث كان يجري النفقة على جماعة من أهل العلم والطلبة ويحضر مائدته جماعة من العلماء والطلبة ويصلهم بالدرهم الكثيرة.

استشهد على يد رجال المعز بن باديس سنة سبع وأربعمائة.

◀ موقفه من الرافضة:

- جاء في معالم الإيمان أنه كان شديدا على أهل البدع والروافض

1 النساء الآية (122).

2 اجتماع الجيوش (173-174).

3 معالم الإيمان (151/3-155).

- وفيها أن سبب قتله: لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت أبيه واستفتاح ولايته وذلك يوم الجمعة منتصف محرم عام سبعة وأربعمائة قتلت العامة الرافضة بالقيروان أقبح قتل، وحرقوهم وانتهبوا أموالهم، وهدموا ديارهم، وقتلوا نساءهم وصبياتهم، وجرحوهم بالأرجل، وكانت صيحة من الله سلطها عليهم وخرج الأمر من القيروان إلى المهديّة وسائر بلادهم، فقتلوا حيث وجدوا وأحرقوا بالنار فلم يترك أحد منهم بمدائن إفريقية إلا من اختفى، ولجأت الرافضة إلى مساجد المهديّة فقتلوا فيها، وهدموا دار الإمارة وتقدمت العامة بذلك إلى جماعة من أهل السنة ومن غيرهم؛ فلقد حُكِيَ أن العامة جاءت متعلقة برجل أتموه برأيهم، فمروا به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به إلى الشيخ أبي علي بن خلدون فننظر ما يأمرنا به فقال لهم الشيخ العامي: لا، اقتلوه الآن، فإن كان رافضيا أصبتم، وإن كان سنيا عجلتم بروحه إلى الجنة الآن أو كما قال: فانتقم الله منهم على أيدي عامة المسلمين وقتلوهم كل مقتل، فرعب المعز منهم وأراد كسر شوكتهم فدبر قتل زعيم أهل السنة وشيخ هذه الدعوة، فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شوال من السنة المذكورة أتى عامل القيروان إلى مسجد الشيخ ومعه خيل ورجال...

فقتلوا أبا محمد الغرياني الفقيه وآخر بدويا ظانين أنه أبو علي، فلما عرفوا مالوا على أبي علي بسكاكينهم، وجرّدوا جماعة ممن كان في المسجد

فحملوا أبا علي إلى داره وقد وقعت فيه ثلاث جراحات إحداها في صدغه أخذت إلى قفاه واثنان في جانبه الأيسر انفذتا مقاتله، توفي في داره بعد العشاء الآخرة وبقي دمه بالمحراب إلى قريب زماننا هذا.¹

طغان خان² (408 هـ)

أحمد بن طغان خان أبو نصر التركي صاحب تركستان وغيرها. هاجمته جيوش الكفر بعدد هائل فحاربهم وانتصر عليهم انتصارا باهرا. وكانت ملحمة مشهودة، وكان دينا عادلا بطلا شجاعا. توفي بعد رجوعه من تلك المعركة سنة ثمان وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

قال الذهبي: قصدته جيوش الصين والخطا في جمع ما سمع بمثله حتى قيل: كانوا ثلاث مئة ألف. وكان مريضا فقال: اللهم عافني لأغزوهم، ثم توفي إن شئت. فعوفي، وجمع عساكره وساق فبيتهم، وقتل منهم نحو مئتي ألف، وأسر مئة ألف، وكانت ملحمة مشهودة في سنة ثمان وأربع مئة، ورجع بغنائم لا تحصى إلى بلاساغون، فتوفاه الله عقيب وصوله.³

1 المعالم (153/3).

2 السير (279-278/17) والكامل في التاريخ (298-297/9).

3 السير (279-278/17).

أبو بكر بن مردويه¹ (410 هـ)

الحافظ، الثبت، العلامة، محدث أصبهان أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني. كان مولده سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. روى عن أبي سهل بن زياد القطان وميمون بن إسحاق وعبدالله بن إسحاق الخراساني ومحمد بن عبدالله بن علم الصفار وطبقتهم. وروى عنه أبو القاسم عبدالرحمن بن منده وأخوه أبو عمرو عبدالوهاب، وأبو بكر العطار وخلقه كثير.

قال أبو بكر بن أبي علي - وذكر أبا بكر بن مردويه -: هو أكبر من أن ندل عليه وعلى فضله، وعلمه وسيره، وأشهر بالكثرة والثقة من أن يوصف حديثه، أبقاه الله، ومتعه بمحاسنه. وكان من فرسان الحديث، بصيرا بالرجال، فهما يقظا متقنا، كثير الحديث جدا، مليح التصانيف.

توفي في السنة العاشرة بعد الأربعمئة.

◀ موقفه من الجهمية:

آثاره السلفية:

له تفسير، أكثر من النقل عنه الحافظ ابن كثير وذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ضمن التفاسير التي اعتنت بنقل عقيدة السلف.²

1 السير (311-308/17) وتذكرة الحفاظ (1051-1050/3) والروافى بالوفيات (201/8) وتاريخ الإسلام (حوادث 411-420/ص 200) وشذرات الذهب (190/3).

2 درء التعارض (22/2).

موقف السلف من

الحاكم العبيدي الرافضي (411 هـ)

بيان زندقته وتجبره وتسلطه:

- قال الذهبي: وكان شيطاناً مريداً جباراً عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر جواداً ممدحاً، له شأن عجيب، ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها. أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع. وأمر عماله بالسب.¹

- وقال: وأنشأ داراً كبيرة ملاًها قيوداً وأغلالاً، وجعل لها سبعة أبواب، وسمها جهنم. فكان من سخط عليه، أسكنه فيها. ولما أمر بجريق مصر، واستباحها، بعث خادمه ليشهد الحال. فلما رجع، قال: كيف رأيت؟ قال: لو استباحها طاغية الروم ما زاد على ما رأيت، فضرب عنقه.²

- وقال: وثم اليوم طائفة من طعام الإسماعيلية الذين يحلفون بغيبة الحاكم، ما يعتقدون إلا أنه باق، وأنه سيظهر. نعوذ بالله من الجهل.³

- وقال ابن كثير: ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة فيها عدم الحاكم بمصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك،

1 السير (174/15).

2 السير (177/15).

3 السير (183/15).

وذلك لأنه كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا. ولنذكر شيئا من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله، جائرا، وقد كان يروم أن يدعي الألوهية كما ادعاها فرعون، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفًا، إعظامًا لذكره واحترامًا لاسمه، فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم، وأمر في وقت لأهل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كرها، ثم أذن لهم في العود إلى دينهم، وخرب كنائسهم ثم عمرها، وخرب القمامة ثم أعادها، وابتنى المدارس. وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم وأخرها، وألزم الناس بغلاق الأسواق نهارًا، وفتحها ليلا، فامثلوا ذلك دهرًا طويلًا، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة في أثناء النهار فوقف عليه فقال: ألم أنهكم؟ فقال: يا سيدي لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر، فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختبار لطاعة العامة له، ليرقى في ذلك إلى ما هو أشد وأعظم منه. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له - وكان لا يركب إلا حمرا - فمن وجده قد غش في معيشة أمر عبدا أسود معه يقال له

مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمرا، ومنعهم من طبخ الملوخية، وأشياء من الرعونات التي من أحسنها منع النساء من الخروج، وكراهة الخمر، وكانت العامة تبغضه كثيرا، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه في صورة قصص، فإذا قرأها ازداد غيظا وحنقا عليهم، حتى إن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها، وفي يدها قصة من الشتم واللعن والمخالفة شيء كثير، فلما رآها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها، فأغضبه ذلك جدا، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققها من ورق ازداد غيظا إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا فامتثلوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا، ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم، وهو في كل يوم قبحة الله، يخرج فيقف من بعيد وينظر ويكي ويقول: من أمر هؤلاء العبيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل، واستغاثوا به، فرق لهم الترك والمشركة وانحازوا إليهم، وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم، وتفاقم الحال جدا، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين، وكف العبيد عنهم، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه، وكان ينفذ إليهم السلاح ويحثهم على ذلك في الباطن، وما انجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها، ونهب قريب من نصفها، وسبيت نساء وبنات كثيرة وفعل

معهن الفواحش والمنكرات، حتى إن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة، واشترى الرجال منهم من سبي لهم من النساء والحريم. قال ابن الجوزي: ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عَنَّ له أن يدعي الربوبية، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت قبحهم الله جميعاً.¹

أحمد بن أبي نصر الصوفي² (412 هـ)

الإمام، المحدث، الزاهد، الجوال، أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل، الأنصاري الهروي، الماليني الصوفي، الملقب بطاووس الفقراء. ارتحل في طلب العلم إلى الآفاق ولقي المشايخ وحَصَلَ وجمع وصنَّف الكتب الطوال والمصنفات الكبار.

حدث عن أبي أحمد بن عدي، وإسماعيل بن نجيد، وأبي بكر القطيعي، ومحمد بن عبد الله السليطي، وخلق كثير. وحدث عنه أبو بكر البيهقي، وأبو بكر الخطيب، وتمام الرازي وعبد الغني المصري، وغيرهم.

قال الخطيب: كان ثقة متقناً صالحاً. وقال: أحد الرحالين في طلب الحديث، والمكثرين منه. وقال أبو إسحاق الحبال: كأن الإسناد، كان يمسك له في البلاد حتى يدركه.

توفي في السنة الثانية عشرة بعد المائة الرابعة.

1 البداية (10/12-11).

2 تاريخ بغداد (371/4-372) وتذكرة الحفاظ (1070/3-1072) والوافي بالوفيات (330/7) والبدية والنهاية

(11/12) وشذرات الذهب (195/3) والسير (301/17).

◀ موقفه من الجهمية:

جاء في ذم الكلام: قال الهروي: سمعت أحمد بن أبي نصر الماليني يقول: دخلت جامع عمرو ابن العاص رضي الله عنه بمصر، في نفر من أصحابي، فلما جلسنا جاء شيخ فقال: أنتم أهل خراسان أهل سنة وهذا هو موضع الأشعرية فقوموا.¹

✓ التعليق:

يؤخذ من هذا النص، أن هذا الشيخ ميز بين أهل السنة في ذلك العصر، وبين أهل البدع الذين هم الأشعرية. وبعد هذا الزمان انقلبت الموازين، فأطلق على المبتدعة أنهم هم أهل السنة، والسنة ما مرت بياهم.

موقف السلف من

محمد بن الحسين السلمى الصوفى (412 هـ)

بيان فضائحه الصوفية:

كان هذا الرجل من كبارهم، وألف لهم كتباً ما تزال عمدة عندهم ومصدراً ومن أشهرها 'طبقات الصوفية' ملاء بكل باطل، و'حقائق التفسير' الذي ستسمع كلام الأئمة فيه.

- قال الخطيب: وقال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان

أبو عبدالرحمن السلمى غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً،

فلما مات الحاكم أبو عبدالله بن البيهق حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. قال: وكان يضع للصوفية الأحاديث.¹

- وجاء في سير أعلام النبلاء عنه قال: من قال لأستاذه لم؟ لا يفلح أبدا.²

✓ التعليق:

هذه الكلمة التي قالها هذا الرجل، أصبحت قاعدة مقدسة عند الصوفية. وهي عندهم بمنزلة الوحي. واستغلها مشايخهم في ارتكاب كل ما يريدون من قول أو فعل، فإن كان قولاً أولوه، وقال: الشيخ يقصد، كذا ويقصد كذا وإن كان فعلاً كذلك حتى أصبحوا يعدون فعل الفاحشة من الكرامات. وقد سمعت أنا شخصياً من بعضهم، حتى لو قرر الشيخ الكفر فلا يجوز الاعتراض عليه. وقالوا نظماً:

وسلم للرجال في كل حال ولا تغتب ولا ترمي إشاره
فإن الرجال بحر عميق لن تدرك له قراره

- قال الإمام تقي الدين ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر رحمه الله أنه قال: صنف أبو عبدالرحمن السلمى حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر.³

1 تاريخ الخطيب (248/2).

2 السير (251/17).

3 فتاوى ابن الصلاح (196/1-197).

- وقال الذهبي: وللسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ والرواة، سؤال عارف، وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية وعدّها بعضهم عرفانا وحقيقة نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.¹

- وقيل بلغت تأليف السلمي ألف جزء وحقائقه قرمطة.²

- وقال ابن الجوزي في تلبس إبليس: وما زال إبليس يخطبهم بفنون البدع، حتى جعلوا لأنفسهم سننا. وجاء أبو عبدالرحمن السلمي، فصنف لهم كتاب: السنن، وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم، من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم. وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن.³

- وقال ابن تيمية رحمه الله - في معرض الحديث عما كذب على جعفر الصادق: حتى نقل عنه أبو عبدالرحمن في 'حقائق التفسير' من الأكاذيب ما نزه الله جعفرًا عنه.⁴

1 السير (252/17).

2 السير (255/17).

3 التلبس (ص 203).

4 المنهاج (54/4).

موقف السلف من

الشيخ المفيد الرافضي (413 هـ)

بيان ضلالاته:

- قال فيه الذهبي: عالم الرافضة، صاحب التصانيف، الشيخ المفيد واسمه: محمد بن محمد بن نعمان البغدادي الشيعي، ويعرف بابن المعلم¹.

- وقال عنه أيضا: يدور على المكاتب وحوانيت الحاكة، فيتلمح الصبي الفطن، فيستأجره من أبويه - يعني فيضله - قال: وبذلك كثر تلامذته².

- قال ابن تيمية في المنهاج: كما صنف المفيد كتابا سماه 'مناسك حج المشاهد' وفيه من الكذب والشرك ما هو من جنس كذب النصارى وشركهم، ومنها تأخير صلاة المغرب، ومضاهاة لليهود، ومنها تحريم ذبائح أهل الكتاب، وتحريم نوع من السمك، وتحريم بعضهم لحم الجمل، واشتراط بعضهم في الطلاق الشهود على الطلاق، وإيجاهم أخذ خمس مكاسب المسلمين، وجعلهم الميراث كله للبنات دون العم وغيره من العصابة، والجمع الدائم بين الصلاتين، ومثل صوم بعضهم بالعدد لا بالهلال، يصومون قبل الهلال ويفطرون قبله، ومثل ذلك من الأحكام التي يعلم علما يقينيا أنها خلاف دين المسلمين، الذي بعث الله به رسوله ﷺ وأنزل به كتابه. وقد قدمنا ذكر بعض أمورهم التي هي من أظهر الأمور إنكارا في الشرع والعقل، ولهم مقالات باطلة وإن كان قد وافقهم عليها بعض المتقدمين: مثل إحلال

1 السير (344/17).

2 السير (344/17).

المتعة، وأن الطلاق المعلق بالشرط لا يقع، وإن قصد إيقاعه عند الشرط، وأن الطلاق لا يقع بالكنايات، وأنه يشترط فيه الإشهاد.¹

علي بن عيسى (414 هـ - سنة وفاة الباشاني)

◀ موقفه من الجهمية:

عن محمد بن الحسين الباشاني قال: حضرت علي بن عيسى فذكر بين يديه من كلام الكرامية شيء فقال: اسكتوا لا تنجسوا مسجدي.²

ابن النحاس³ (416 هـ)

الشيخ، الإمام، المحدث، مسند الديار المصرية، أبو محمد عبدالرحمن بن عمر ابن محمد بن سعيد التجيبي المصري المالكي البزاز. ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. سمع من أبي سعيد بن الأعرابي، وأبي طاهر المدني وعلي ابن عبدالله بن أبي مطر وطبقتهما. وحدث عنه الصوري وأبو عمرو الداني وأبو إسحاق الحبال، وخلق. كان أول سماعه وهو ابن ثمان سنين، وكان الخطيب قد عزم على الرحلة إليه، فلم يقض. توفي في السنة السادسة عشرة بعد المائة الرابعة.

1 المنهاج (419/3-420).

2 ذم الكلام (277) وفيه: الحسين بن محمد الباساني، ولعل الصواب ما أثبتناه. انظر السير (339/17-340).

3 السير (313/17-314) وشذرات الذهب (204/3) والنجوم الزاهرة (263/4) وحسن المحاضرة (373/1) والعبير (428/1).

◀ موقفه من الجهمية:

له من الآثار السلفية: 'رؤية الله' وقد حققه محفوظ الرحمان.

هبة الله اللالكائي¹ (418 هـ)

أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، وهو طبري الأصل الحافظ المجود، المفتي الشافعي اللالكائي. درس الفقه على مذهب الشافعي عند أبي حامد الإسفراييني وبرع فيه. سمع من عيسى بن علي الوزير وأبي طاهر المخلص وعلي بن محمد القصار وعدة. وروى عنه أبو بكر الخطيب وابنه محمد بن هبة الله وأبو بكر أحمد بن علي الطريثي وعدة.

قال ابن كثير: كان يفهم ويحفظ، وعني بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، وله كتاب في السنة وشرفها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك.

توفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

له من الآثار السلفية:

'شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة'، وقد طبع الكتاب والحمد لله رب العالمين بتحقيق صديقنا الشيخ أحمد سعد حمدان، ويعتبر الكتاب من أكبر المصادر في العقيدة السلفية وقد نفعنا الله به في هذا البحث المبارك.

1 السير (419/17-420) وتاريخ بغداد (70/13-71) والكامل في التاريخ (364/9) وتذكرة الحفاظ (1083/3-1085) والبداية والنهاية (26/12) وشذرات الذهب (211/3).

- ومن طيب أقواله فيه ما ذكره في المقدمة قال: أما بعد: فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين.

وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار المتقين ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون.

فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة والآثار المحفوظة المنقولة وطرائق الحق المسلوكة والدلائل اللامحة المشهورة والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها الصحابة والتابعون ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين.

ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين واقتفى آثارهم من المتبعين واجتهد في سلوك سبيل المتقين وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فمن أخذ في مثل هذه المحجة وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أمن في دينه التبعة في العاجلة والآجلة، وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واتقى بالجنة التي يتقى بمثلها ليتحصن بجملتها ويستعجل بركتها ويحمد عاقبتها في المعاد والمآل إن شاء الله.

ومن أعرض عنها وابتغى الحق في غيرها مما يهواه أو يروم سواها مما تعداه أخطأ اختيار بغيته وأغواه، وسلكه سبيل الضلالة، وأرداه في مهاوي

الهلكة فيما يعترض على كتاب الله وسنة رسوله بضرب الأمثال ودفعهما بأنواع المحال والحيدة عنهما بالقييل والقال مما لم يترل الله به من سلطان ولا عرفه أهل التأويل واللسان ولا خطر على قلب عاقل بما يقتضيه من برهان ولا انشرح له صدر موحد عن فكر أو عيان فقد استحوذ عليه الشيطان وأحاط به الخذلان وأغواه بعضيان الرحمن حتى كابر نفسه بالزور والبهتان.¹

- ثم قال: فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدا ودردا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقا وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلا حتى كثرت بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة حتى تقابلت الشبه في الحجج وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقرانا، وأخذانا، وعلى المداهنة خلانا وإخوانا بعد أن كانوا في الله أعداء وأضدادا وفي الهجرة في الله أعوانا يكفروهم في وجوههم عيانا ويلعنوهم جهارا، وشتان ما بين المترلتين، وهيهات ما بين المقامين.

نسأل الله أن يحفظنا من الفتنة في أدياننا وأن يمسكنا بالإسلام والسنة ويعصمنا بهما بفضله ورحمته.

فهلّم الآن إلى تدين المتبعين وسيرة المتمسكين وسبيل المتقدمين بكتاب

الله وسنته والمنادين بشرايعه وحكمته الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلَتْ
وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾¹. وتكبوا سبيل
المكذبين بصفات الله وتوحيد رب العالمين فاتخذوا كتاب الله إماما وآياته
فرقانا، ونصبوا الحق بين أعينهم عيانا وسنن رسول الله ﷺ حنة وسلاحا
واتخذوا طرقها منهاجا، وجعلوها برهانا فلقوا الحكمة ووقوا من شر الهوى
والبدعة، لامتثالهم أمر الله في اتباع الرسول وتركهم الجدال بالباطل ليدحضوا
به الحق.

يقول الله عزوجل فيما يحث على اتباع دينه، والاعتصام بحبله،
والاقتداء برسوله ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا²
وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾³. وقال تبارك وتعالى:
﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾³ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ⁴ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ⁵

1 آل عمران الآية (53).

2 آل عمران الآية (103).

3 الزمر الآية (55).

ذَلِكَمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢٢﴾¹ وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٢٣﴾﴾² وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٤﴾﴾³ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾⁴.

ثم أوجب الله طاعته وطاعة رسوله فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٢٦﴾﴾⁵ وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿١٢٧﴾﴾⁶ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴿١٢٨﴾﴾⁷ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

1 الأنعام الآية (153).

2 الزمر الآيتان (17 و18).

3 آل عمران الآية (31).

4 يوسف الآية (108).

5 الأنفال الآية (20).

6 النساء الآية (80).

7 النور الآية (54).

فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦١﴾¹ وقال: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»². وقال تعالى: «فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»³ قيل في تفسيرها: إلى الكتاب والسنة ثم حذر من خلافه والاعتراض عليه فقال: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَدُسَلِمُوا تَسْلِيمًا»⁴ وقال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا»⁵ وقال: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»⁶.

وروى العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة دمعنا منها الأعين ووجلنا منها القلوب فقلنا: يا رسول الله موعظة مودع فيما

1. الأحزاب الآية (71).

2. النور الآية (52).

3. النساء الآية (59).

4. النساء الآية (65).

5. الأحزاب الآية (36).

6. النور الآية (63).

تعهد إلينا فقال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة ضلالة»¹.

وروى عبدالله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم خط خطوطا يمينا وشمالا ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه - ثم قرأ- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾²». اهـ³.

وعن ابن مسعود قال: اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم.

فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع وذر التكلف والاختراع. فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخصهم بهذا الرسم "أصحاب الحديث" لاختصاصهم برسول الله ﷺ، واتباعهم لقوله وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وأفعاله، فأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرايعه مشاهدة، وأحكامه معاينة من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه واصله. فجاولوها عيانا، وحفظوا عنه شفاها وتلقفوه

1 أخرجه: أحمد (126/4) وأبو داود (4607/15-13/5) والترمذي (2676/43/5) وقال: "حسن صحيح".

وابن ماجه (43/16/1) والحاكم (96-95/1) وقال: "صحيح ليس له علة". ووافقه الذهبي.

2 الأنعام الآية (153).

3 تقدم تحريجه ضمن مواقف الإمام مالك سنة (179هـ).

من فيه رطبا، وتلقنوه من لسانه عذبا، واعتقدوا جميع ذلك حقا وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينا. فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله مشافهة لم يشبه لبس ولا شبهة ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة، والصالفة عن الصالفة، والجماعة عن الجماعة أخذ كف بكف وتمسك خلف بسلف كالحروف يتلو بعضها بعضا ويتسق آخرها على أولها رصفا ونظما.

فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة وانحفظت بهم أصول السنة فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة والدعوة لهم من الله بالمغفرة فهم حملة علمه، ونقله دينه، وسفرته بينه وبين أمته، وأمنائه في تبليغ الوحي عنه فحري أن يكونوا أولى الناس به في حياته ووفاته.

وكل طائفة من الأمم مرجعها إليهم في صحة حديثه وسقيمه، ومعولها عليهم فيما يختلف فيه من أموره.

ثم كل من اعتقد مذهبا فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينسب وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث فإن صاحب مقالتهم: رسول الله ﷺ فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون، وإليه يفزعون وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنته بقريهم منه يصلون فمن يوازيهم في شرف الذكر؟ ويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الاسم؟.

إذ اسمهم مأخوذ من معاني الكتاب والسنة يشتمل عليهما لتحققهم بهما أو لاختصاصهم بأحدهما فهم مترددون في انتسابهم إلى الحديث بين ما

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ¹﴾ فهو القرآن، فهم حملة القرآن وأهله وقراؤه وحفظته -وبين أن ينتموا إلى حديث رسول الله ﷺ فهم نقلته وحملته فلا شك أنهم يستحقون هذا الاسم لوجود المعنيين فيهم لمشاهدتنا أن اقتباس الناس الكتاب والسنة منهم واعتماد البرية في تصحيحهما عليهم لأننا ما سمعنا عن القرون التي قبلنا ولا رأينا نحن في زماننا مبتدعا رأسا في اقراء القرآن وأخذ الناس عنه في زمن من الأزمان ولا ارتفعت لأحد منهم راية في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما خلت من الأيام ولا اقتدى بهم أحد في دين ولا شريعة من شرايع الإسلام والحمد لله الذي كمل لهذه الطائفة سهام الإسلام وشرفهم بجوامع هذه الأقسام وميزهم من جميع الأنام حيث أعزهم الله بدينه ورفعهم بكتابه وأعلى ذكرهم بسنته وهداهم إلى طريقته وطريقة رسوله فهي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية والعصبة الهادية والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة التي لا تريد برسول الله ﷺ بديلا ولا عن قوله تبديلا ولا عن سنته تحويلا ولا يشيهم عنها تقلب الأعصار والزمان ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدشان ولا يصرفهم عن سمتها ابتداع من كاد الإسلام ليصد عن سبيل الله ويغيها عوجا ويصدف عن طرقها جدلا ولجاجا ظنا منه كاذبا وتمنيا باطلا: أنه يظفي نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.²

1 الزمر الآية (23).

2 أصول الاعتقاد (1/19-26).

◀ موقفه من الجهمية:

قال في مقدمة كتابه 'أصول الاعتقاد' -وهو يتحدث عن المعتزلة-:
 قوم لم يتدينوا بمعرفة آية من كتاب الله -في تلاوة أو دراية، ولم يتفكروا في
 معنى آية -ففسروها أو تأولوها على معنى اتباع من سلف من صالح علماء
 الأمة- إلا على ما أحدثوا من آرائهم الحديثة، ولا اغبرت أقدامهم في طلب
 سنة أو عرفوا من شرايع الإسلام مسألة.

فيعد رأي هؤلاء حكمة وعلمًا وحججًا وبراهين، ويعد كتاب الله
 وسنة رسوله حشواً وتقليداً وحملتها جهالاً وبلها، ذلك ظلماً وعدواناً
 وتحكما وطغيانا.

ثم تكفيره للمسلمين بقول هؤلاء إذ لا حجة عندهم بتكفير الأمة إلا
 مخالفتهم قولهم من غير أن يتبين لهم خطوهم في كتاب أو سنة.
 وإنما وجه خطفهم عندهم: إعراضهم عما نصبوا من آرائهم لنصرة
 جدلهم وترك اتباعهم لمقاتلتهم واستحسانهم لمذاهبهم.

فهو كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ۗ تَأْتِيهِ عِطْفَةٌ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ
 لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۗ﴾¹.

ثم ما قذفوا به المسلمين من التقليد والحشو. ولو كشف لهم عن حقيقة
 مذاهبهم كانت أصولهم المظلمة وآراؤهم المحدثه وأقاويلهم المنكرة -كانت

بالتقليد أليق، وبما انتحلوها من الحشو أخلق، إذ لا إسناد له في تمذهبه إلى شرع سابق، ولا استناد لما يزعمه إلى قول سلف الأمة باتفاق مخالف أو موافق.

إذ فخره على مخالفه بحذقه، واستخراج مذاهبه بعقله وفكره من الدقائق، وأنه لم يسبقه إلى بدعته إلا منافق مارق، أو معاند للشريعة مشاقق. فليس بحقيق من هذه أصوله أن يعيب على من تقلد كتاب الله وسنة رسوله واقتدى بهما، وأذعن لهما، واستسلم لأحكامهما، ولم يعترض عليهما بظن أو تخرص واستحالة أن يطعن عليه، لأن بإجماع المسلمين أنه على طريق الحق أقوم وإلى سبل الرشاد أهدى وأعلم وبنور الاتباع أسعد ومن ظلمة الابتداع وتكلف الاختراع أبعد وأسلم من الذي لا يمكنه التمسك بكتاب الله إلا متأولا ولا الاعتصام بسنة رسول الله ﷺ إلا منكرا أو متعجبا ولا الانتساب إلى الصحابة والتابعين والسلف الصالحين إلا متمسخرًا مستهزيا. لا شيء عنده إلا مضغ الباطل والتكذب على الله ورسوله والصالحين من عباده. وإنما دينه الضجاج والبقباق والصياح واللقلاق قد نبذ قناع الحياء وراهه وأدرع سربال السفه فاجتابه وكشف بالخلاعة رأسه وتحمل أوزاره وأوزار من أضله بغير علم ألا ساء ما يزرورن، فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۝﴾ وَلِيَحْمِلُوا أثْقَاهُمْ وَأَتَقَالًا

مَعَ أَثْقَاهِمَ^١ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٠١﴾¹.

فهو في كيد الإسلام وصد أهله عن سبيله ونبز أهل الحق بالألقاب أنهم مجبرة ورمي أولي الفضل من أهل السنة بقله بصيرة والتشنيع عند الجهال بالباطل والتعدي على القوام بحقوق الله والذابين عن سنته ودينه. فهم كلما أوقدوا نارا لحرب أوليائه أطفأها الله، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يجب المفسدين.²

← موقفه من القدرية:

- قال رحمه الله: فلم تزل الكلمة مجتمعة والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف وكلام غير مألوف في أول إمارة الروانية في القدر وتكلم فيه حتى سئل عبدالله بن عمر فروى له عن رسول الله ﷺ الخبير بإثبات القدر والإيمان به وحذر من خلافه، وأن ابن عمر ممن تكلم بهذا أو اعتقده برئ منه وهم براء منه. وكذلك عرض على ابن عباس وأبي سعيد الخدري وغيرهما فقالا له مثل مقالته. وسنذكر هذه الأقاويل بأسانيدها وألفاظها في المواضع التي تقتضيه إن شاء الله.

ثم انظرت هذه المقالة، وانحجر من أظهرها في جحره، وصار ممن اعتقدها جليس منزله، وخبأ نفسه في السرداب كالميت في قبره خوفا من القتل والصلب والنكال والسلب من طلب الأئمة لهم لإقامة حدود الله

1 العنكبوت الآيتان (12 و13).

2 أصول الاعتقاد (1/11-14).

عز وجل فيهم، وقد أقاموا في كثير منهم ونذكر في مواضع أساميتهم وحث العلماء على طلبهم وأمروا المسلمين بمجانبتهم ونهواهم عن مكالمتهم والاستماع إليهم والاختلاط بهم لسلامة أديانهم، وشهروهم عندهم بما انتحلوا من آرائهم الحديثة ومذاهبهم الخبيثة خوفا من مكرهم أن يضلوا مسلما عن دينه بشبهة وامتحان أو بزخرف قول من لسان، وكانت حياتهم كوفاة وأحيائهم عند الناس كالأموات. المسلمون منهم في راحة، وأديانهم في سلامة، وقلوبهم ساكنة وجوارحهم هادية، وهذا حين كان الإسلام في نضارة، وأمور المسلمين في زيادة.¹

- ثم ذكر رحمه الله أبوابا في القدر والرد على القدرية معنونا عليها بقوله: (سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله عز وجل وما روى من سنة رسول الله ﷺ في إثبات القدر وما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة: أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعتها ومعاصيها).

(سياق ما روى عن النبي ﷺ في أن أول شرك يظهر في الإسلام: القدر).

(سياق ما روي عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين في مجانبة أهل القدر وسائر أهل الأهواء).

(سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن القدرية مجوس هذه الأمة ومن كفرهم وتبرأ منهم)...

1 شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1/15-17).

سياق ما روي في منع الصلاة خلف القدرية والتزويج إليهم وأكل ذبائحهم ورد شهادتهم).¹

أبو إسحاق الإسفراييني² (418 هـ)

الإمام العلامة الأوحى، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة، سمع من دعلج السجزي وعبد الخالق بن أبي روبا ومحمد بن يزداد وأبي بكر الإسماعيلي وعدة. وأملى مجالس، حدث عنه: أبو بكر البيهقي وأبو الطيب الطبري وأبو السنابل وعدة.

وبنيت له بنيسابور مدرسة مشهورة، وكان من المجتهدين في العبادة المبالغين في الورع. قال عنه الحاكم في تاريخه: أبو إسحاق الأصولي الفقيه المتكلم المتقدم في هذه العلوم، انصرف من العراق وقد أقر له العلماء بالتقدم، وبرع في المناظرة لتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة في العربية والفقهاء والكلام والأصول ومعرفة الكتاب والسنة.

مات في ثمانى عشرة وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

من تصانيفه كتاب 'جامع الخلفي في أصول الدين والرد على الملحدين'

1 أصول الاعتقاد (4/589-823).

2 السير (17/353-356) والعبير (1/430-431) وتبيين كذب المفتري (ص 243-244) والبداية والنهاية (12/26) ووفيات الأعيان (1/28) وشذرات الذهب (3/209-210).

معمر بن أحمد الأصبهاني الصوفي (418 هـ)

◀ موقفه من الجهمية:

له عقيدة أسماها 'الوصية من السنة' نقلها صاحب الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. كما نقل منها شيخ الإسلام في بعض كتبه.

- وقال رحمه الله في وصيته: وأن القرآن كلام الله عز وجل، ووحيه وتريله، تكلم به وهو غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، ومن قال: إنه مخلوق فهو كافر بالله جهمي، ومن وقف في القرآن فقال: لا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق فهو واقفي جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو لفظي جهمي، ولفظي بالقرآن وكلامي بالقرآن وقراءتي وتلاوتي للقرآن قرآن، والقرآن حيثما تلي وقرئ وسمع وكتب وحيثما تصرف فهو غير مخلوق.²

- وقال: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول، وأنه عز وجل مستو على عرشه، بائن من خلقه، والخلق منه بائون، بلا حلول، ولا مازجة، ولا اختلاط، ولا ملاصقة، لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد، الغني عن الخلق، وأن الله سميع بصير، عليم خبير، يتكلم، ويرضى ويسخط، ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، ويتزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف فيقول:

1 السير (353/17).

2 الحجة في بيان المحجة (231/1-232).

هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر.

قال: ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر التزول وتأول فهو مبتدع ضال.¹

موقف السلف من

المسيحي الرافضي (420 هـ)

بيان رفضه:

قال عنه الذهبي: نال دنيا ورتبة من الحاكم. وكان رافضيا منجما، رديء الاعتقاد.²

محمود بن سبكتكين³ (421 هـ)

سيف الدولة، أبو القاسم محمود بن الأمير ناصر الدولة سبكتكين التركي، صاحب خراسان والهند وغير ذلك. افتتح غزنة، ثم بلاد ما وراء النهر، ثم استولى على سائر خراسان، وعظم ملكه، ودانت له الأمم، وفرض على نفسه غزو الهند كل عام، فافتتح منه بلادا واسعة، وكان على عزم

1 درء التعارض (257-256/6) والاستقامة (169-168/1) والحجة في بيان المحجة (233-232/1).

2 السير (362/17).

3 السير (495-483/17) والكمال في التاريخ (301 و139/9) ووفيات الأعيان (182-175/5) والبداية والنهاية

(33-32/12) وشذرات الذهب (221-220/3).

وصدق في الجهاد. كان مولده سنة إحدى وستين وثلاثمائة. قال عبدالغافر الفارسي: كان صادق النية في إعلاء الدين، مظفرا كثير الغزو، وكان ذكيا بعيد الغور، صائب الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء. وقال: قد صنف في أيام محمود وأحواله لحظة لحظة، وكان في الخير ومصالح الرعية يُسَّر له الإِسار والجنود والهيبة والحشمة مما لم يره أحد. توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

﴿ موقفه من المشركين والرافضة: ﴾

أثنى عليه العلماء والمؤرخون، وذكروا له جهاده الكبير في تحطيم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله في بلاد العجم.

- قال شيخ الإسلام في الفتاوى: ولما كانت مملكة محمود بن سبكتكين من أحسن ممالك بني جنسه، كان الإسلام والسنة في مملكته أعز، فإنه غزا المشركين من أهل الهند، ونشر من العدل ما لم ينشره مثله. فكانت السنة في أيامه ظاهرة، والبدع في أيامه مقموعة.¹

- جاء في السير: قال أبو النضر الفامي: لما قدم التاهرتي الداعي من مصر على السلطان يدعوه سرا إلى مذهب الباطنية، وكان التاهرتي يركب بغلا يتلون كل ساعة من كل لون، ففهم السلطان سر دعوتهم، فغضب، وقتل التاهرتي الخبيث، وأهدى بغله إلى القاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي؛ شيخ هراة، وقال: كان يركبه رأس الملحدين، فليركبه رأس

- وقال الذهبي: قرأت بخط الوزير جمال الدين بن علي القفطي في سيرته: قال كاتبه الوزير ابن الميمندي: جاءنا رسول الملك بيذا على سرير كالنعش؛ بأربع قوائم يحمله أربعة. وكان السلطان يعظم أمر الرسل لما يفعله أصحابهم برسله. قال: فحمل على حالته حتى صار بين يديه، فقال له الهندي: أي رجل أنت؟ قال: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَأَجَاهِدْ مَنْ يَخَالِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ. قال: فما تريد منا؟ قال: أَنْ تَتْرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَتَلْتَزِمُوا شُرُوطَ الدِّينِ، وَتَأْكُلُوا لَحْمَ الْبَقْرِ. وتردد بينهما الكلام، حتى خوفه محمود وهدده، وقال الحاجب للهندي: أتدري لمن تخاطب؟ وبين يدي أي سلطان أنت؟ فقال الهندي: إن كان يدعو إلى الله كما يزعم، فليس هذا من شروط ذلك، وإن كان سلطانا قاهرا لا ينصف، فهذا أمر آخر. فقال الوزير: دعوه. ثم ورد الخبر بتشويش خراسان، وضاق على صاحب الهند الأمر، ورأى أن بلاده تخرب، فنفذ رسولا آخر، وتلطف، وقال: إن مفارقة ديننا لا سبيل إليه، وليس هنا مال نصالحك عليه، ولكن نجعل بيننا هدنة، ونكون تحت طاعتك. قال: أريد ألف فيل وألف منا ذهبا. قال: هذا لا قدرة لنا عليه. ثم تقرر بينهما تسليم خمس مئة فيل وثلاثة آلاف من فضة، واقترح محمود على الملك بيذا أن يلبس خلعته، ويشد السيف والمنطقة، ويضرب السكة باسمه. فأجاب، لكنه استعفى من السكة، فكانت الخلعة قباء نسج بالذهب، وعمامة قصب، وسيفا محلي، وفرسا وخفا، وخاتما عليه اسمه، وقال لرسوله: امض

حتى يلبس ذلك، ويتزل إلى الأرض، ويقطع خاتمه وأصبعه، ويسلمها إليك، فذلك علامة التوثقة. قال وكان عند محمود شيء كثير من أصابع الملوك الذين هادهم.¹

- وقال أيضا: ثم بلغ السلطان أن الهنود قالوا: أخرج أكثر بلاد الهند غضب الصنم الكبير سومنات على سائر الأصنام ومن حولها، فعزم على غزو هذا الوثن، وسار يطوي القفار في جيشه إليه، وكانوا يقولون: إنه يرزق ويحيي ويميت ويسمع ويعي، يحجون إليه، ويتحفونه بالنفائس، ويتغالون فيه كثيرا، فتجمع عند هذا الصنم مال يتجاوز الوصف، وكانوا يغسلونه كل يوم بماء وعسل ولبن، وينقلون إليه الماء من نهر حيل مسيرة شهر، وثلاث مئة يخلقون رؤوس حجاجه ولحاهم، وثلاث مئة يغنون. فسار الجيش من غزنة، وقوى المطوعة بخمسين ألف دينار، وأنفق في الجيش فوق الكفاية، وارتحل من المليا ثاني يوم الفطر سنة 416هـ، وقاسوا مشاق، وبقوا لا يجدون الماء إلا بعد ثلاث، غطاهم في يوم ضباب عظيم، فقالت الكفرة: هذا من فعل الإله سومنات. ثم نازل مدينة أهلوار، وهرب منها ملكها إلى جزيرة، فأخرج المسلمون بلده، ودكوها، وبينها وبين الصنم مسيرة شهر في مفلوز، فساروا حتى نزلوا مدينة دبولوار؛ وهي قبل الصنم بيومين، فأخذت عنوة، وكسرت أصنامها، وهي كثيرة الفواكه، ثم نزلوا سومنات في رابع عشر ذي القعدة، ولها قلعة منيعة على البحر، فوقع الحصار، فنصبت السلام عليها،

فهرب المقاتلة إلى الصنم، وتضرعوا له، واشتد الحال وهم يظنون أن الصنم قد غضب عليهم، وكان في بيت عظيم منيع، على أبوابه الستور الديباج، وعلى الصنم من الحلبي والجواهر ما لا يوصف، والقناديل تضيء ليلاً ونهاراً، على رأسه تاج لا يقوم، يندهش منه الناظر، ويجتمع عنده في عيدهم نحو مئة ألف كافر، وهو على عرش بديع الزخرفة؛ علو خمسة أذرع، وطول الصنم عشرة أذرع، وله بيت مال فيه من النفائس والذهب ما لا يحصى، ففرق محمود في الجند معظم ذلك، وزعزع الصنم بالمعاول، فخر صريعاً، وكانت فرقة تعتقد أنه منات، وأنه تحول بنفسه في أيام النبوة من ساحل جدة، وحصل بهذا المكان ليقصد ويحج معارضة للكعبة. فلما رآه الكفار صريعاً مهيناً، تحسروا، وسقط في أيديهم، ثم أحرق حتى صار كلساً، وألقيت النيران في قصور القلعة، وقتل بها خمسون ألفاً، ثم سار محمود لأسر الملك بهيم، ودخلوا بالمراكب، فهرب، وافتتح محمود عدة حصون ومدائن، وعاد إلى غزنة، فدخلها في ثامن صفر سنة سبع عشرة، ودانت له الملوك، فكانت مدة الغيبة مئة وثلاثة وستين يوماً.¹

- وقال أيضاً: وكان إلبا على القرامطة والإسماعيلية وعلى المتكلمين.²

- قال ابن كثير: وفيها - أي سنة عشرين وأربعمائة - ورد كتاب من

محمود بن سبكتكين أنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً، وصلبا شنيعاً، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي،

1 السير (490/17-491).

2 السير (492/17).

فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثا وثلاثين ولدا بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك.¹

- جاء في التذكرة: وذلك أن السلطان محمودا لما دخل الري وقتل بها الباطنية منع الكل من الوعظ (غير أبي حاتم) وكان من دخل الري يعرض اعتقاده عليه فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه.²

◀ موقفه من الجهمية:

- جاء في طبقات الحنابلة: بالسند إلى أبي مسعود أحمد بن محمد البجلي الحافظ قال: دخل ابن فورك على السلطان محمود فتناظرا. قال ابن فورك لمحمود: لا يجوز أن تصف الله بالفوقية لأنه يلزمك أن تصفه بالتحثية. لأنه من جاز أن يكون له فوق جاز أن يكون له تحت. فقال محمود: ليس أنا وصفته بالفوقية، فتلزمي أن أصفه بالتحثية وإنما هو وصف نفسه بذلك. قال: فبهت.³

- جاء في أصول الاعتقاد: وامثل يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود، يعني ابن سبكتكين، أعز الله نصرته أمر أمير المؤمنين القادر بالله واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وصلبهم وحبسهم ونفيهم، والأمر باللعن عليهم على منابر المسلمين، وإبعاد كل طائفة من أهل

1 البداية (28/12).

2 التذكرة (3/1186) والطبقات (3/52).

3 طبقات الحنابلة (3/12)، والسير (17/487).

البدع، وطردهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين في الآفاق.¹

- وجاء في الدرء: وأظهر السلطان محمود سبكتكين لعنة أهل البدع على المنابر، وأظهر السنة، وتناظر عنده ابن الهيصم وابن فورك في مسألة العلو، فرأى قوة كلام ابن الهيصم، فرجح ذلك، ويقال إنه قال لابن فورك: فلو أردت تصف المعدم كيف كنت تصفه بأكثر من هذا؟ أو قال: فرق لي بين هذا الرب الذي تصفه وبين المعدم؟ وأن ابن فورك كتب إلى أبي إسحاق الإسفراييني يطلب الجواب عن ذلك، فلم يكن الجواب إلا أنه لو كان فوق العرش للزم أن يكون جسما. ومن الناس من يقول: إن السلطان لما ظهر له فساد قول ابن فورك سقاه السم حتى قتله، وتناظر عنده فقهاء الحديث، من أصحاب الشافعي وغيرهم، وفقهاء الرأي، فرأى قوة مذهب أهل الحديث فرجحه، وغزا المشركين بالهند.²

القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي³ (422 هـ)

الإمام القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد، أبو محمد الثغلي العراقي، الفقيه المالكي. ولد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد.

1 أصول الاعتقاد (4/1333/799).

2 درء التعارض (6/253).

3 تاريخ بغداد (11/31-32) وترتيب المدارك (2/272-275) ووفيات الأعيان (3/219-222) والمرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي (40-41) وسر أعلام النبلاء (17/429-432) وتاريخ الإسلام (حراوث 421-430/ص.85-88).

روى عن الحسين بن محمد بن عبيد العسكري وعمر بن سبئ وأبي حفص بن شاهين وغيرهم.

قال الخطيب البغدادي: كتبت عنه وكان ثقة ولم نلق من المالكيين أحدا أفقه منه، وكان حسن النظر، جيد العبارة، وتولى القضاء ببادرايا وباكسايا.

وقال أبو إسحاق الشيرازي: أدركته وسمعته يناظر، وكان قد رأى القاضي الأبهري ولم يسمع منه، وكان فقيها شاعرا متأدبا، وله كتب كثيرة في كل فن من الفقه. وله في خروجه من بغداد:

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها مني سلام مضاعف
فوالله ما فراقته عن قلى لها وإني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي بأسرها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخيل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنأى به وتخالف

روى عنه جماعة منهم: عبدالحق بن هارون الفقيه وأبو عبد الله الملزري وأبو بكر الخطيب والقاضي ابن شماخ الغافقي وغيرهم.

له كتاب النصره لمذهب إمام دار الهجرة وكتاب المعونة لدرس مذهب عالم المدينة وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني وغيرها.

توفي رحمه الله سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

قال في تعليقه على قول أبي زيد القيرواني: [وأرجى القلوب للخير ما

لم يسبق الشر إليه].

قال القاضي رحمه الله: إن القلب إذا لم يسبق الشر إليه يقبل ما يرد عليه من الخير أشد تقبل، ولم يكن هناك مانع منه، ولا قاطع دونه، وإذا سبق إليه اعتقاد الشر، احتيج في تقبله الخير إلى تكلفه زوال ما قد تمكّن فيه، ومشقته في قطع ما قد استولى عليه، ولهذا أمر عليه السلام بأن يؤمر الصبيّان بالصلاة لسبع¹، ليمرنوا عليها ويألفوها، وتسبق إلى قلوبهم حلوة الإيمان، وتتمكن من أفندهم محبة الدين، وهذا حجة لأبي محمد فيما رسمه في هذا الكتاب من تعليم الولدان، ولهذا قال بعض السلف: لا تمكن زائف القلب من أذنيك، حراسة للقلب أن يطرقة من ذلك ما يخاف أن يعلق به.²

◀ موقفه من المشركين:

قال: أما الكلام في نبوته ﷺ وصحة رسالته: فليس من الكلام مع أهل الملة في شيء، وإنما هو كلام مع فرق أهل الكفر الطاعنين على الإسلام وعلى كل ملة، وهم البراهمة وغيرهم ممن ينكر بعث الرسل جملة، ويزعمون أنه محال أن يبعث الصانع جل اسمه رسلا إلى خلقه، وفرق الكتابيين ومن جرى مجراهم من المجوس ومن يقر ببعث الرسل، وينكر بعث نبينا محمد ﷺ، مثل اليهود والنصارى وغيرهم.³

◀ موقفه من الرافضة:

- قال معلقا على قول ابن أبي زيد: [وأن خير القرون قرن الذين رأوا

1 أخرجه: أحمد (2/180 و187) وأبو داود (1/334/495) والحاكم (1/197) من حديث عبد الله بن عمرو.

2 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 16-17).

3 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 68).

رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم].

قال القاضي رضي الله عنه: اعلم أن هذا الذي قاله لا خلاف فيه في الجملة، ثم الذي يدل عليه، إجماع الأمة ونصوص القرآن والسنة على فضيلة السبق والترجيح بالتقدم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾¹ وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾² وأولئك الْمُقْرَبُونَ³ وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾³ الآية، وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁴ الآية: وما اشتهر عن الصحابة من اعتقاد الفضيلة بالسابقة ومقدم الإيمان والهجرة، وأنهم إذا عدوا فضائل الفاضل ومحاسنه ذكروا هجرته وسابقته، وقولهم: والله إنا لنعلم فضلك وسابقتك، ويدلك على فضل السبق على المتأخر: تسميته تعالى لمن جاء بعدهم بأنهم تابعون وترتيبه إياهم بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وتسميتهم بذلك يقتضي فضيلة السابقين

1 التوبة الآية (100).

2 الواقعة الآيتان (10 و11).

3 الحديد الآية (10).

4 الحشر الآية (9).

عليهم، وكذلك كانت الصحابة تقول: أبو بكر السابق، وعمر المصلي، ويدل عليه الخير المشهور، وهو قوله ﷺ: «خيركم القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم»¹ ويدل عليه قوله ﷺ: «ليلي ذوو الأحلام والنهي، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم»². اهـ³

- وقال في قوله: [ولا يذكر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بأحسن الذكر، والإمساك عما شجر بينهم]: هذا لأن الله تعالى ورسوله ﷺ أوجب علينا تعظيمهم وموالاتهم ومدحهم والثناء عليهم وتفضيلهم وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴ وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾⁵ الآية، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁶ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾⁷ وقوله

1 تقدم ترجمته ضمن مواقف أبي بكر الخلال سنة (311هـ-).

2 أخرجه: أحمد (457/1) ومسلم (432/323 [123]) وأبو داود (674/436/1) والترمذي (228/441-440/1)

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

3 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 124-125).

4 الأنفال الآية (64).

5 الفتح الآية (29).

6 الحشر الآية (9).

7 التوبة الآية (111).

تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾² وكل هذا مدح وثناء وتعظيم وتشريف، فوجب علينا إمساك ذلك فيهم.³

◀ موقفه من الجهمية:

واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباع النص، وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤول إلى التجسيم، وإلى قدم الأجسام، وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام، وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، ثم أمر بإخراج السائل.⁴

- وقال معلقا على قوله: [له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لم ينزل

بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة، وأسمائه محدثة...]

قال القاضي رضي الله عنه: اعلم أن هذا الذي قاله رحمه الله، هو الدين

1 آل عمران الآية (110).

2 التوبة الآية (100).

3 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 135-136).

4 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 28).

الصحيح، والمذهب المستقيم، الذي من حاد عنه ابتدع وضل، وفيه رد على المبتدعة والرافضة وغيرهم من ضروب المبتدعة النافين لصفات ذاته تعالى من علمه وقدرته، وسائر صفاته، والزاعمين أنه لا علم له، ولا قدرة ولا حياة، والجاعلين كلامه من صفات فعله، وأنه بمثابة سائر الأعراض التي تبيد وتفتني، وأنه من جنس كلام البشر ولغات الأمم، والقائلين بأن الله تعالى كان في أزله بلا اسم ولا صفة، وأن عباده هم الذين خلقوا له الأسماء والصفات، والبغداديون منهم الذين انتهى علمهم في هذا الوقت إلى طريق البلخي: أن الله ليس بسميع بصير على الحقيقة، وأن وصفه نفسه بذلك مجاز واتساع، وعلى معنى العلم له، دون أن يكون سميعاً على الحقيقة أو بصيراً، رداً لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹، وقوله تعالى منبهاً على وجوب ذلك، ومنع نفيه عنه، مخبراً عن إبراهيم عليه السلام (القائل) لأبيه على عبادة الأصنام: ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾² فسوى بين الله وبين الأصنام، فكان لأبي إبراهيم على قوله أن يقول له في جواب هذا: فلاهك لا يسمع ولا يبصر...²

- وقال القاضي رحمه الله: فأما قوله: [إنه تعالى كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته]، إلى آخر ما قاله في ذلك، فهو الكلام في أن القرآن غير مخلوق، وهو إجماع كافة أهل السنة وأئمة الملة، قبل الجهمية، ومن نشأ

1 مريم الآية (42).

2 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 29-30).

بعدهم من أتباعهم المبتدعة.¹

- وقال في الشفاعة: فمذهب أهل السنة وأئمة الملة، والأخبار متواترة به على المعنى وإن اختلفت ألفاظه... ثم ذكر بعض الأحاديث وقال: ومن المعتزلة من يتأول أخبار الشفاعة ولا يقدم على ردها وجحدها كما يفعل إخوانه، وقد تأولوها على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أراد أن الشفاعة لمن واقع الصغائر وهو محتب للكبائر، وهذا لا معنى له، لأن صاحب الصغيرة إذا فعلها مع اجتناب الكبائر لم يستحق العقاب، ومتى عوقب كان عندهم ظلماً وجوراً، فما معنى الشفاعة في أن لا يعذب من لا يستحق العذاب؟ وهل هذا إلا قول بالشفاعة في أن لا يظلم تعالى ولا يجور. وهذا تكلف يحمل النفس على رد الشرع وجحد السنة.

والتأويل الثاني: أن الشفاعة لمرتكب الكبائر التائب منها، والنادم على فعلها، وهذا تلو الأول في السقوط، لأن التوبة سقطت لاستحقاق العقاب، فأبي تأثير للشفاعة؟!

والثالث - وهو أقربها -: إن قالوا: إن الشفاعة للمؤمنين المجانين للكبائر، وليست شفاعة في إسقاط عقاب مستحق عليهم، لكن في الزيادة لهم في الثواب على قدر ما استحقوه بأعمالهم. وهذا ادعاء لما لم يرد به خبر ولا شرع، ورد لما ورد، لأن الشفاعة التي وردت بها الأخبار، إنما هي في

1 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 34).

القرآن لأهل الكبائر والرغبة إلى الله في العفو عنهم والتجاوز، وهذا غير ما قالوه، والكلام هنا في هذه الشفاعة التي هذا مقصودها فنحن نثبتها، وهم ينفونها، فما تأولوه ليس يخرجهم عن ردها، والله أعلم.¹

- قال القاضي رحمه الله: [قوله: إن الله خلق الجنة والنار]: هذا قول سلف الأمة وأئمة الحديث والسنة، وأما الجنة التي كان بها آدم، وأهبط منها، وهي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون في الآخرة. وقد دل عليه الكتاب والسنة. فأما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾² وهذا يفيد كونها مخلوقة، وأنه قد سكنها وأخرج منها. وقوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾ وإن كانت لم تخلق لكان هابطا من غيرها لا هابطا منها، وخالف المعتزلة في ذلك إلى مذاهب تخالف ما وصفناه، واعلم أنهم ليس يقدمون على إنكار ذلك، وأن الله خلق جنة أسكن بها آدم نبيه وزوجته، ولكن يقولون: ليست هي دار الخلد وجنة المأوى.

إلى أن قال: ودليل أهل السنة على خلقها، قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾³ فإن قالوا: لسنا ننكر أن الله تعالى خلق جنة ونارا، ولكن الخلاف هل هي جنة المأوى التي وعد الله عباده، أو غيرها؟ قلنا: عنه جوابان:

1 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 80-81).

2 البقرة الآيتان (35 و36).

3 البقرة الآية (35) والأعراف الآية (19).

أحدهما: أنه لا يعرف في الشرع لا في الكتاب ولا في السنة، ولا عن أحد من السلف: أن الله خلق جنة غير الجنة التي ذكر أنه أعدها لأولياءه، فمن ادعى جنة غيرها احتاج إلى دليل سمعي، لأن العقل لا مجال له في ذلك، وإنما تتأولون أنتم هذا التأويل لا بتوقيف ولا بسمع منكم.

والثاني: أنه لو كان الأمر على ما قلموه لكان قوله: الجنة والإشارة إليها بلام التعريف يفيد: المعهودة، ولا جنة معهودة في الشرع إلا التي وعدّها الله لأولياءه. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾¹

وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني وجودها.²

- وقال: وأما الدليل على وجود³ رؤيته تعالى في الآخرة، فهو السمع المحض الذي لا مجال للعقل فيه، وهو أدلة الكتاب والسنة المتواترة فيها، منها قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾⁴ قال أصحابنا: والنظر في كتاب الله يرد على وجوه: منها النظر بمعنى التفكير والاعتبار، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁵ وقوله تعالى:

1 آل عمران الآية (133).

2 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 82-84).

3 قال في هامشه: كذا، ولعلها "وجوب". (م.ب).

4 القيامة الآيات (22 و23).

5 الغاشية الآية (17).

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾¹ وما إلى ذلك، يريد: أفلم يعتبروا ويتفكروا. ومنها: النظر بمعنى الانتظار، ومنه قوله تعالى ﴿فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾² أي منتظرة، ومنها: الإنظار، وهو الإمهال، كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتِسِسَ مِنْ نُورِكُمْ﴾³ يريد: أمهلونا، وهو يقرب من معنى ما قبله، ومن أصحابنا من يخرج هذه الأقسام من مجملات القول نظراً، ومنها التعطف والرحمة كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾⁴ يريد: ولا يتعطف عليهم، ومنها: رؤية البصر كقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾⁵ يريد: انظرها بعينك. والقسم الأول غير جائز، لأن الآخرة ليست بدار اعتبار وتفكر، وكذلك الانتظار، لأن ذلك يوجب إضماراً في الظاهر ونقله إلى المجاز بغير دليل، لأن ما ينتظر فيه ليس بذكر، والظاهر يوجب تعلق النظر به تعالى، وكذلك القسم الثالث، وهو الإنظار، لأنه لا يجوز أن يقال: قد أنظرنا ربنا وأمهلنا، وكذلك القسم الآخر الذي هو التعطف والرحمة، لا يجوز أن يقع منها لله تعالى، فلم يبق إلا ما قلناه من رؤية البصر، ووجه آخر، وهو أن النظر إذا قرن بما لذكر الوجه والبصر

1 ق الآية (6).

2 النمل الآية (35).

3 الحديد الآية (13).

4 آل عمران الآية (77).

5 البقرة الآية (259).

عدي بجرف الجر الذي هو قولك إن لم يكن المراد به إلا رؤية البصر، ألا ترى أن نظر الاعتبار إذا عدي بـ (إلى) لم يقرن بالوجه أو البصر، وكذلك نظر التعطف والرحمة وغيره، وقد تأولوه على أن المراد به: ثواب ربحاً منتظرة، وهذا باطل من وجوه، أحدها: إن ثواب الله غيره، والظاهر يوجب أن يكون النظر إليه لا إلى غيره، والثاني: يعود إلى أن النظر بمعنى الانتظار، وذلك ما قد أبنا عن فساد، ومنها: الحديث المأثور، والخير المشهور بالنقل المتواتر أنه ﷺ قال: «إنكم ترون ربكم، لا تضامون في رؤيته، كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب»¹ وهذا الحديث مروى من عدة طرق، وألفاظ مختلفة ومعنى متفق، ورواه نيف وعشرون نفساً من الصحابة، وذكرهم أهل النقل.²

◀ موقفه من الخوارج:

قال معلقاً على قول ابن أبي زيد: [إن مات مصراً على الكبائر فأمره إلى الله، فإن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإنه إن عذبه أخرجته إلى جنته] إلى آخر ما قاله: فإنه صحيح على ما ذكره، وهو مذهب أهل السنة، والمخالف فيه أكثر فرق أهل البدعة، وهم المعتزلة والخوارج والشرأة، ولهذا سميت المعتزلة، لأنهم انفردوا بالبصرة، واعتزلوا عن مجالس أهل الحديث والسنة لما عقدوه بينهم من البدعة، وهم: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيرهم ممن تبعهم، واعتزلوا عن أئمة الدين وخافوا أن يظهر عليهم علماء المسلمين، وركبوا في ذلك ما كان طريقاً لأهل الكبائر إلى الإصرار واليأس من مغفرة

1 تقدم تخرجه في مواقف عبدالعزيز الماجشون سنة (164هـ).

2 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 92-94).

رهم ردا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ ۱﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۗ ۲﴾
 وأمثال هذه الآيات، ولما اجتاز أبو عمرو بن العلاء بعمرو بن عبيد بلبصرة، وهو يتكلم في الوعيد وإثباته، ومنع غفران الله لأهله، قال له أبو عمرو: من العجمة أتيتم، أما علمت أن الكريم إذا وعد وفى، وإذا توعد عفا، ثم أنشده:
 وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي
 فلم يكن عند عمرو من الجواب أكثر من الإعانة والتعلق بعبارة لا طائل فيها.³

إلى أن قال: الدليل على جواز الغفران لأهل الكبائر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۗ ۴﴾
 استثنى الشرك من المعاصي، وجعل غفران ما دونه متعلقا بمشيئته، ويدل عليه قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ ۵﴾. وهذا أيضا نص فيما عدا

1 الزمر الآية (53).

2 النساء الآية (48) والآية (116).

3 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص.75).

4 النساء الآية (48) و(116).

5 الزمر الآية (53).

الكفر والشرك الذي أخبر أنه لا يغفره، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ مَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهْنُونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾¹ والكبائر في هذا الموضع هي الكفر والشرك، بدليل الآية الأخرى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾² والسيئات المرادة في هذا الموضع: ما دون الشرك به، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾³ فاستثنى الكافر من يلحقهم الروح من دونهم من مذنبى أهل الملة على الرجاء، ولهذا الآيات أمثال يطول تتبعها ويعوز جمعها، فثبت بما ذكرنا من الظواهر: جواز الغفران لأهل الكبار. فإن قالوا: فقد وردت ظواهر تعارض ما ذكرتموه، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁵ في نظائر لذلك، والقرآن لا يتناقض.

1 النساء الآية (31).

2 النساء الآية (48) والآية (116).

3 يوسف الآية (87).

4 النساء الآية (14).

5 يونس الآية (27).

فالجواب: أنه ليس في هذا تعارض ولا تناقض، لأن هذه الآية مقصورة على الشرك الذي أخبر أنه لا يغفره، وأنه يغفر ما دونه للظواهر التي تلونها، ونفرض الكلام في أن الإيمان الذي مع الفاسق، والطاعات لا يحبطه ما ركب من الكبائر، وأنه يستحق عليه الجزاء بإخبار الله عن ذلك، والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتٍ﴾¹ ولا حسنة أعلى وأشرف من الإقرار بتوحيد الله، والإيمان به وبرسوله وشريعته وكتابه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنْتَى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى﴾² وقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾³ وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁴ في نظائر ذلك، فدل على أن المؤمن يجازى بإيمانه وطاعته، ويثاب عليها من غير تخصيص لكون من وجد منه ذلك غير عاص بارتكاب الكبائر التي لا تخرجه عن الإيمان.⁵

- وقال في تعليقه على ابن أبي زيد: [ولا يكفر أحد بذنوب من أهل

القبلة]:

قال القاضي: وهذا كما قال، فالمدنيون من أهل الملة مؤمنون مذنبون، ولا يخرجون بذنوبهم من الإسلام ولا عن الإيمان، ولا تحبط ذنوبهم إيمانهم،

1 هود الآية (114).

2 آل عمران الآية (195)

3 الأنعام الآية (160).

4 الزلزلة الآية (7).

5 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 77-78).

هذا قول أئمة السنة، وسلف الأمة، وقالت الخوارج: إن كل ذنب كفر يخرج به صاحبه من الإسلام، وقالت المعتزلة: إن الكبائر يخرج بها صاحبها من الإيمان إلى مترلة بين المترتين لا يسمى مؤمنا ولا كافرا، وقال بعضهم: يسمى منافقا، والذي يدل عليه الدليل أن اسم الإيمان لا يزول عنه بتفسيقه، وأن فسقه لا يخرج عن كونه مصدقا بالله وبرسوله وكتبه وشرائعه، وعن اعتقاده، لكون ما ركبه إثما ومعصية، فإذا كانت حقيقة الإيمان ما وصفناه، وكان هذا موجودا مع فعل الفاسق، وجب أن لا ينفيه.¹

- وفي قوله: [والسمع والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم]:

قال القاضي رحمه الله: هذا لقوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾² فعم ولاة الأمر من العلماء والأمراء، وإن قلنا: إن إطلاق أولي الأمر يختص بالإمامة ومن يلي الحرب والتدبير، كانت الآية مقصورة عليهم؛ وكيف كان الأمر فقد ثبت مما أردناه، وقوله: ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾⁴ فأمر بالرد اليهم عند التنازع

1 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 107).

2 النساء الآية (59).

3 التغابن الآية (16).

4 النساء الآية (83).

والاختلاف، وذلك يعم وصف طاعتهم في أمور الدين والدنيا، وقوله ﷺ: «لو ولي عليكم مجدع فاسمعوا له وأطيعوا»¹ وقوله ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية»² ولأن ذلك إجماع الصحابة، ولأنها كانت تأمر به وتحض عليه، وتحذر من الخلاف على الأئمة وتنتهي عن الشقاق عليهم والاخلال بطاعتهم، وترى ذلك من أوجب أمور الدين، وألزم أحكام الشرع.³

◀ موقفه من المرجئة:

- قال في شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني عند قوله: [وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقص الأعمال، فيكون فيها التقصان وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل]: هذا الذي قاله هو مذهب أهل السنة والسلف الصالح، والذي يدل على أن اعتقاد القلب وإخلاصه إيمان: أن الإيمان في اللغة التصديق، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾⁴ أي مصدق لنا، وقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ ﴾⁵ أي صدقنا به، وقال تعالى

1 تقدم في مواقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة (23هـ).

2 أحمد (296/2) ومسلم (1848/477/3) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

3 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص.137).

4 يوسف الآية (17).

5 النور الآية (47).

عن الأعراب: «قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا»¹ أي لم تصدقوا بقلوبكم، ثم القول باللسان إيمان إذا قصد به التعبير عما في القلب، فإن لم يقارنه ذلك لم يكن إيماناً، لأنه حينئذ يكون حكاية لكلام الغير، أو لغوا وعبثاً، ولذلك قلنا في اليهودي: إنه إذا لفظ بالشهادتين مع الإكراه، أو قاصداً به الحكاية عن غيره، أنه لا يكون ذلك إيماناً منه لما لم يقارنه تصديق القلب، وكذلك العمل بالجوارح الصادر عن تصديق القلب على ما روي في الحديث، وجاء في الحديث في تفسير قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»² أي صلاتكم إلى بيت المقدس، إلا أن زيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية، لا يبلغ به نقصان ارتفاع بالجملة حتى ينتفي اسمه وحكمه، فيكون حرفه التصديق مقارناً للمعاصي بالجوارح كافراً؛ لأنه يسمى إيماناً لما يشبه التصديق، فلا يجب أن يرتفع بارتفاعه، ونحن نذكر هذا الفصل، وقد توقف مالك رضي الله عنه عن الكلام في نقصانه، وعلى القول الذي يقول: يريد به نقص الكمال دون إحباط الأعمال، لأن ذلك لا يكون إلا بانتفاء التصديق.³

- وقال عند قوله [ولا قول ولا عمل إلا بنية]: هذا لقوله تعالى: «وَمَا

أْمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»⁴ فنفي أن يكون ما لم يخلص له

1 المحرات الآية (14).

2 البقرة الآية (143).

3 شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ص. 104-105).

4 البينة الآية (5).

عبادة، والإخلاص هو القصد إليه بالفعل، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾¹ فأخبر أن العمل موقوف على النية، وأنه يجازى عليه على حسب ما ينوي به، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾² فأمر أن لا يلتفت إلى ما يقولونه بألسنتهم إذ في قلوبهم خلافة، فدل على أن المعول على النية دون اللسان، وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» الحديث³، فربط الأعمال بالنيات، ومفهوم هذا أن الانتفاع بالأعمال والاعتداد بها يكون بالنية، وأن النية هي عماد الأعمال ومعلوها، كقولهم: إنما الطائر بجناحيه، وإنما الرعية بإمامها، يريدون: أن ذلك هو عمادها، وكذلك قولهم: إنما الأعمال بخواتيمها، وبين هذا قوله ﷺ في آخر الحديث: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» وهذا خرج على سبب: وهو أن رجلا خرج إلى المدينة يظهر الهجرة وقصده أن يتزوج امرأة، فأخبر النبي ﷺ أن المجازاة على الأعمال الخالصة وهي مما ينويه الإنسان ويقصد له.⁴

1 الحج الآية (37).

2 النساء الآية (63).

3 انظر تحريجه في مواقف الإمام الشافعي سنة (204هـ).

4 شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ص. 105-106).

◀ موقفه من القدرية:

قال القاضي عند شرحه لقول ابن أبي زيد: والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا. ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾¹.

قال القاضي رضي الله عنه: هذا الذي قاله، هو قول أهل السنة وأئمة الحديث، ومذهب السلف الصالح، والأخبار متواترة باللفظ الذي عبر به، وهو قوله ﷺ: «لن يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن لصيبه، وأن كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس»² وفيه أخبار كثيرة مسندة وموقوفة على الصحابة والتابعين، لو لا تعذر جمعها للشغل بالسفر، وضيق الوقت به لذكرنا طرقها واستقصينا جميع ما ورد منها، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾³ فعم ولم يخص. وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَدَرُونَ﴾⁴ وقد زعمت القدرية المعتزلة: أن الله تعالى

1 الملك الآية (14).

2 سيأتي تحريجه في مواقف ابن رجب الحنبلي سنة (797هـ).

3 القمر الآية (49).

4 المرسلات الآية (23).

لم يقدر المعاصي ولا الشر، وأن ذلك جار في خلقه وسلطانه بغير قدرة الله ولا بإرادته، فنفوه عن الله، وأثبتوا لأنفسهم تقدير ذلك، والتفرد بملكه والقدرة عليه دون ربهم، حتى قال بعض طواغيتهم: إنه لو كان طفل على حاجز بين الجنة والنار، لما كان الله موصوفاً بالقدرة على طرحه إلى الجنة، وإبليس موصوف بالقدرة على طرحه إلى النار، وأن الله لا يوصف بالقدرة على ذلك، وزعموا أن خلاف هذا كفر وشرك، واستوجبوا بذلك هذه التسمية التي أجمع المسلمون على كفر من باد بموجها، والأخبار متواترة بتكفير القدرية وإخراجهم من الإسلام وإضافتهم إلى أصناف الكفر، وأن جميع ما يتصرف العباد فيه من خير وشر، وطاعة ومعصية بقدر سابق من الله سبحانه وتعالى، وبتكذيب من نفى ذلك وتكفيره، فمن متواتر الأخبار ومستفيضها: قوله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة»¹ ... ثم أطال في شرح كلام المصنف وساق كثيراً من الأدلة على ذلك² مقرراً بذلك كله منهج السلف في هذا الباب الذي زاغ فيه القدرية عن الصواب، نسأل الله حسن المآب.³

- قال ابن أبي زيد القيرواني: [أو يكون لأحد عنه غنى].

قال القاضي رحمه الله معلقاً: اعلم أن هذا رد على المعتزلة وغيرهم من المبتدعة في قولهم: إنهم مستطيعون لأفعالهم قبل أن يحدثوها، وقادرون على

1 تقدم تخريجه في مواقف محمد بن الحسين الأجرى سنة (360هـ).

2 من (ص.38) إلى (ص.66).

3 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص.38-39).

إيجادها قبل إيجادها، ومستغنون عن ربهم في حال اختراعهم لها أن يقدرهم عليها، لأنهم لا حاجة لهم في تلك الحال بل هم مستغنون عنه، وهذا هو الضلال الذي لا شبهة فيه والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾¹ ويقول: ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾² وهذا يعم سائر أحوالهم، ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾³ ولم يقل في حال دون حال، ومن جهة العقول: فلأن الأدلة قد دلت على استحالة بقاء الأعراس كلها على اختلاف أجناسها من القدر وغيرها، فلو كانت موجودة قبل الفعل لم يخل أن تبقى إلى أن يفعل الفعل بها، وهذا يوجب ما قد قام الدليل على استحالة مردها لها أو يعدم مثل ذلك، وهذا أيضا محال، لأنه يؤدي إلى أن يوقع الفعل بقدرة معدومة، وذلك باطل.⁴

يحيى بن عمار⁵ (422 هـ)

يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنيس الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان أبو زكريا الشيباني نزيل هراة. حدث عن حامد بن محمد الرفاء

1 محمد الآية (38).

2 فاطر الآية (15).

3 الفاتحة الآية (5).

4 شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص. 55-56).

5 السير (17/481-483) وتاريخ الإسلام (حوادث 421-430/ص. 97-99) والعنبر (1/439) وشذرات

الذهب (3/226).

وعبدالله بن عدي بن حمدويه وأخيه محمد بن عدي وعدة. روى عنه أبو نصر الطبسي، وأبو محمد عبدالواحد الهروي، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل عبدالله بن محمد وآخرون. كان متحرقا على المبتدعة والجهمية. وكان فصيحاً مفوهاً حسن الموعظة رأساً في التفسير وكان من كبار المذكرين تحول إلى هراة فعظم بها جداً، وتخرج به أبو إسماعيل الأنصاري. توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. وصلى عليه الإمام عمر بن إبراهيم الزاهد وكانت جنازته مشهودة.

◀ موقفه من الجهمية:

للإمام يحيى رسالة في السنة. نقل منها الحافظ ابن القيم في اجتماع الجيوش ما يتعلق بمسألة الاستواء.

- جاء في اجتماع الجيوش عنه قال في رسالته في السنة بعد كلام: بل نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وهو معنى قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾¹ ورسالته موجودة مشهورة.²

قلت: لعلنا نظفر بها ونستفيد من علومها.

- جاء في السير: وكان متحرقا على المبتدعة والجهمية بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، إلا أنه كان له

1 الحديد الآية (4).

2 اجتماع الجيوش (ص. 254).

جلالة عجيبة بهراة وأتباع وأنصار.¹

- وقال أبو إسماعيل: سمعت يحيى بن عمار يقول: العلوم خمسة، علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه، وعلم هو داء الدين وهو أخبار ما وقع بين السلف، وعلم هو هلاك الدين وهو الكلام. قلت -أي الذهبي-: وعلم الأوائل.²

- وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور، والأشعرية الجهمية الإناث.³

القادر بالله⁴ (422 هـ)

الخليفة أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر العباس أبو العباس مولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة كان ديناً عالماً متعبداً وقوراً من جلة الخلفاء وأمثالهم تفقه على أبي بشر أحمد بن محمد الهروي. قال الخطيب: كان من الدين وإدامة التهجد وكثرة الصدقات على صفة اشتهرت عنه وعرف بها عند كل أحد مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد. صنف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضل الصحابة وإكفار المعتزلة القائلين بخلق القرآن. عاش سبعا وثمانين سنة

1 السير (481/17).

2 السير (482/17).

3 مجموع الفتاوى (359/6).

4 السير (137-127/15) والرواي بالوفيات (241-229/6) وتاريخ بغداد (38-37/4) والسير (438/1)

وشذرات الذهب (223-221/3).

إلا شهرا وثمانية أيام ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله هذا العمر، ولا قام في الخلافة هذه المدة توفي ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

لقد كان هذا الخليفة من خيرة خلفاء بني العباس إذ حمى العقيدة حماية يشكره عليها رب العالمين ويثيبه بجنته إن شاء الله تعالى. فقد طرد الرفضة أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ، ونبذ المعتزلة والجهمية والأشاعرة وجميع أهل البدع. ولم يكتف بفعله وأمره، بل كتب اعتقادا قرأه على العلماء والفقهاء، وأخذ عليهم خطوطهم بالموافقة على الاعتقاد حتى يكون رسميا متفقاً عليه. وهاك الاعتقاد من المنتظم؛ قال ابن الجوزي رحمه الله: (أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد الفراء قال: أخرج الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبو جعفر بن القادر بالله في سنة نيف وثلاثين وأربعمائة الاعتقاد القادري، الذي ذكره القادر، فقرأ في الديوان وحضر الزهاد والعلماء، ومن حضر الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني فكتب خطه تحته قبل أن يكتب الفقهاء، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه أن هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقد فسق وكفر، وهو: يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك، وهو أول لم يزل وآخر لا يزال، قادر على كل شيء غير عاجز عن شيء، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، غني غير محتاج إلى شيء، لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة

ولا نوم، يطعم ولا يطعم، لا يستوحش من وحدة ولا يأنس بشيء، وهو الغني عن كل شيء، لا تخلفه الدهور والأزمان وكيف تغيره الدهور والأزمان وهو خالق الدهور والأزمان والليل والنهار والضوء والظلمة والسموات والأرض وما فيها من أنواع الخلق والبر والبحر وما فيهما وكل شيء حي أو موات أو جماد.

كان ربنا وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش لا لحاجته إليه فاستوى عليه كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق. وهو مدبر السموات والأرضين ومدبر ما فيهما ومن في البر والبحر ولا مدبر غيره ولا حافظ سواه، يرزقهم ويمرضهم ويعافيهم ويميتهم ويحييهم، والخلق كلهم عاجزون والملائكة والنبيون والمرسلون والخلق كلهم أجمعون، وهو القادر بقدرة والعالم بعلم أزلي غير مستفاد، وهو السميع بسمع والمبصر ببصر يعرف صفتها من نفسه لا يبلغ كنهها أحد من خلقه، متكلم بكلام لا بألة مخلوقة كآلة المخلوقين. لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه عليه السلام، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ فهي صفة حقيقية لا مجازية. ويعلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق تكلم به تكليماً، وأنزله على رسوله ﷺ على لسان جبريل بعد ما سمعه جبريل منه، فتلاه جبريل على محمد ﷺ، وتلاه محمد على أصحابه، وتلاه أصحابه على الأمة. ولم يصير بتلاوة المخلوقين مخلوقاً لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به فهو غير مخلوق، فبكل حال متلوا ومحفوظا ومكتوباً ومسموعاً؛ ومن قال إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر حلال الدم

بعد الاستتابة منه.

ويعلم أن الإيمان قول وعمل ونية، وقول باللسان وعمل بالأركان والجوارح وتصديق به، يزيد وينقص: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو ذو أجزاء وشعب؛ فأرفع أجزائه لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. والإنسان لا يدري كيف هو مكتوب عند الله ولا بماذا يحتتم له، فلذلك يقول: مؤمن إن شاء الله، وأرجو أن أكون مؤمناً، ولا يضره الاستثناء والرجاء، ولا يكون بهما شاكاً ولا مرتاباً؛ لأنه يريد بذلك ما هو مغيب عنه عن أمر آخرته وخاتمته. وكل شيء يتقرب به إلى الله تعالى ويعمل لخالص وجهه من أنواع الطاعات فرائضه وسننه وفضائله فهو كله من الإيمان، منسوب إليه. ولا يكون للإيمان نهاية أبداً؛ لأنه لا نهاية للفضائل ولا للمتبوع في الفرائض أبداً.

ويجب أن يحب الصحابة من أصحاب النبي ﷺ كلهم ونعلم أنهم خير الخلق بعد رسول الله ﷺ، وأن خيرهم كلهم وأفضلهم بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويشهد للعشرة بالجنة، ويترحم على أزواج رسول الله ﷺ، ومن سب سيدتنا عائشة رضي الله عنها فلا حظ له في الإسلام، ولا يقول في معاوية رضي الله عنه إلا خيراً، ولا يدخل في شيء شجر بينهم، ويترحم على جماعتهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

غَلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾. وقال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَبِلِينَ ﴿٢﴾﴾.

ولا يكفر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها؛ فإنه من تركها من غير عذر وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الأخرى فهو كافر، وإن لم يجحد لها لقوله ﷺ: «بين العبد والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر»³، ولا يزال كافرا حتى يندم ويعيدها؛ فإن مات قبل أن يندم ويعيد أو يضمن أن يعيد لم يصل عليه، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف، وسائر الأعمال لا يكفر بتركها وإن كان يفسق حتى يجحدها.

ثم قال: هذا قول أهل السنة والجماعة الذي من تمسك به كان على الحق المبين وعلى منهاج الدين والطريق المستقيم، ورجي به النجاة من النار ودخول الجنة إن شاء الله تعالى. وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة قيل: لمن يلد رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم»⁴، وقال عليه السلام: «أبما عبد جاءته موعظة من الله تعالى في دينه فأبى نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها يشكر، وإلا كانت حجة عليه من الله يزداد بها إثما

1 الحشر الآية (10).

2 الحجر الآية (47).

3 مسلم (82/88/1) وأبو داود (4678/59-58/5) والترمذي (2620/15-14/5) والنسائي (463/251/1)

وابن ماجه (1078/342/1) من حديث جابر.

4 تقدم تخرجه ص ضمن مواقف محمد بن نصر المروزي سنة (294هـ).

ويزاد بها من الله سخطا»¹. جعلنا الله لآلئه من الشاكرين ولنعمائه ذاكرين وبالسنة معتصمين وغفر لنا ولجميع المسلمين.²

✓ التعليق:

من قرأ هذا الاعتقاد علم ما كان عليه هؤلاء الخلفاء في الجمع بين العلم والحكم، ومن أمعن فيه النظر يجده يرد على جميع المبتدعة، بما فيهم المعتزلة والشيعة وغيرهم. ومن أمعن النظر يرى شدة اهتمام هؤلاء الخلفاء بالعقيدة السلفية ولم يكن همهم هو الاشتغال بملذات الحياة وشهواتها، ويرى على الاعتقاد نفس الصالحين العالمين بما يجري في رعاياهم من الدخيل. ومن قارن بين الأمس واليوم ومخاطبة الحكام لرعاياهم يجد همهم اليوم هو السعي في تثبيت الحاكم نفسه في نفوس رعيته. وأما الأمس فترى الحاكم يثبت عقيدته في نفس رعيته، لا كلام في معيشة ولا في غيرها مما يعد إغراء فقط للرعية، إلا من شاء الله، فليكن البصير بهذا على بينة.

استتابته لأهل البدع:

جاء في أصول الاعتقاد: قال الشيخ أبو القاسم الطبري الحافظ رحمه الله: واستتاب أمير المؤمنين القادر بالله -حرس الله مهجته وأمد بالتوفيق أموره ووقفه من القول والعمل بما يرضي مليكه- فقهاء المعتزلة الخنيفة في

1 أبو نعيم في الحلية (136/6) والبيهقي في الشعب (7410/29/6) من حديث عطية بن بشر وقال العراقي في تحريج الأحياء (1368/3): "رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وفيه أحمد بن عبيد بن ناصح"، وعزاه الألباني لابن عساكر عن عطية بن قيس وقال: "ضعيف". ضعيف الجامع (2245).

2 المنتظم (15/279-282).

سنة ثمان وأربعمائة فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال.

ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقاتلات المخالفة للإسلام والسنة، وأخذ خطوطهم بذلك وأنهم مهما خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم.

وامتثل يمين الدولة وأمين الملة: أبو القاسم محمود أعز الله نصرته أمر أمير المؤمنين القادر بالله، واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وصلبهم وحبسهم ونفيهم، والأمر باللعن عليهم على منابر المسلمين، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم.

وصار ذلك سنة في الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين في الآفاق. وجرى ذلك على يدي الحاجب أبي الحسن علي بن عبد الصمد رحمه الله، في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة تمم الله ذلك وثبته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.¹

✓ التعليق:

إن قراءة مثل هذه المواقف تسلي السلفي وتفرج ما به من غموم وحزن على ما نحن فيه من بدع ومبتدعة ملئت بهم الأرض. فلعل الله ييسر للمسلمين مثل هذا الخليفة العادل يزيل عنهم الضيم ويرجع المسلمين إلى صدرهم الأول عقيدة نقية وعبادة سنية، وسلوكا نبويا يجلب الراحة والاطمئنان.

← موقفه من الرفضة:

كان أمير المؤمنين من أكبر الخلفاء الراضين للرفض كيفما كان شكله ونوعه، ولم يفرق بين الغالية والمتساهلة، ولكن الرفض المطلق. انظر إلى فعلته بكتاب الداعي الذي أرسله الحاكم الراضي:

- جاء في السير: وبعث ابن سبكتكين إلى القادر بأنه ورد إليه الداعي من الحاكم يدعوه إلى طاعته فحرق كتابه وبصق عليه.¹

- وفيها: وفي هذا الوقت انبث دعاة الحاكم في الأطراف، فأمر القادر بعمل محضر يتضمن القدح في نسب العبيدية، وأهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، فشهدوا جميعاً أن الناجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكم الله عليه بالبوار، وأن جددهم لما صار إلى الغرب تسمى بالمهدي عبيدالله، وهو وسلفه أرجاس أنجاس خوارج أديعاء، وأنتم تعلمون أن أحداً من الطالبين لم يتوقف عن إطلاق القول بأهم أديعاء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية.²

- وفيها: واستتاب القادر فقهاء المعتزلة، فتيروا من الاعتزال والرفض، وأخذت خطوطهم بذلك.³

- وفيها: وامتلأ ابن سبكتكين أمر القادر، فبث السنة بمملكه، وتهدد

1 السير (133/15).

2 السير (132/15).

3 السير (134/15).

بقتل الرافضة والإسماعيلية والقرامطة، والمشبهة والجهمية والمعتزلة. ولعنوا على المنابر.¹

✓ التعليق:

ولم يكتف القادر بالله بعمله الشخصي مع الروافض أعداء الله، بل جمع لذلك أهل العلم المعتبرين في ذلك الوقت، وما يزال هؤلاء العلماء هم العمدة كل واحد في فنه وتخصصه، فجزاه الله وجزاهم خيرا على هذا الميراث الدائم الذي سيثابون عليه إن شاء الله، تقبل الله منه ومنهم.

- جاء في المنتظم: وفي هذا الشهر كتب في ديوان الخلافة محاضر في معنى الذين بمصر والقدح في أنسابهم ومذاهبهم، وكانت نسخة ما قرئ منها ببغداد وأخذت فيه خطوط الأشراف والقضاة والفقهاء والصالحين والمعدلين والثقات والأمثال بما عندهم من العلم والمعرفة بنسب الديصانية وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، أحزاب الكافرين ونطف الشياطين شهادة متقرب إلى الله جلّت عظمته ومتمعض للدين والإسلام ومعتقد إظهار ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتمونونه، شهدوا جميعا أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستئصال بن معد بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن سعيد لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى الغرب تسمى بعبيدالله وتلقب بالمهدي ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين،

أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون منه بسبب، وأنه مزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم ودعواهم شائعا بالحرمين، وفي أول أمرهم بالغرب منتشرا انتشارا يمنع من أن يتدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية. وكتب في ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعمائة.

وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير من العلويين: المرتضى والرضي وابن الأزرق الموسوي وأبو طاهر بن أبي الطيب ومحمد بن محمد بن عمر وابن أبي يعلى ومن القضاة: أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الخزني وأبو العباس السوري. ومن الفقهاء أبو حامد الاسفراييني وأبو محمد الكشغلي وأبو الحسين القدوري وأبو عبدالله الصيمري وأبو عبدالله البيضاوي وأبو علي بن حنبلان ومن الشهداء: أبو القاسم التنوخي وقرئ بالبصرة وكتب فيه خلق كثير.¹

◀ موقفه من الجهمية:

- قال الذهبي في سيره: وصنف كتابا في الأصول، ذكر فيه فضل الصحابة، وإكفار من قال: بخلق القرآن. وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل

جمعة في حلقة أصحاب الحديث، ويحضره الناس مدة خلافته، وهي إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر.¹

- وقال: واستتاب القادر فقهاء المعتزلة، فتيروا من الاعتزال والرفض، وأخذت خطوطهم بذلك.²

- وقال: وامثل ابن سيكتين أمر القادر، فبث السنة بمالكه، وتهدد بقتل الراضية والإسماعيلية والقرامطة، والمشبهة والجهمية والمعتزلة. ولعنوا على المنابر.³

الفَشيْدِيُّزَجِي ⁴ (424 هـ)

الحسين بن الخضر بن محمد البخاري أبو علي قاضي بخارى نعمان زمانه، انتهت إليه إمامة أهل الرأي وقد قدم بغداد وتفقه وناظر وسمع من أبي الفضل الزهري وسمع ببخارى من أبي عمرو محمد بن محمد بن صابر. وانتشر له التلامذة وآخر من حدث عنه سبطه علي بن محمد البخاري. ولأبي علي سماع من ابن شويه وجعفر بن فناكي. توفي في شعبان سنة أربع وعشرين وأربعمائة.

◀ موقفه من الراضية:

جاء في السير: قيل: ناظره الشريف المرتضى الشيعي في خير: ماتركنا

1 السير (128/15).

2 السير (134/15).

3 السير (135/15).

4 السير (426-424/17) والوفاء بالوفيات (361/12) والعبير (441/1) والأنساب (388-387/4) وشذرات

الذهب (227/3).

صدقة. فقال للمرتضى: إذا صيرت "ما" نافية، خلا الحديث من فائدة، فكل أحد يدري أن الميت يرثه أقرباؤه، ولا تكون تركته صدقة. ولكن لما كان المصطفى بخلاف الأمة، بين ذلك، وقال: «ما تركناه صدقة»¹. اهـ²

المنيبي³ (426 هـ)

محمد بن رزق الله بن عبيدالله المنيني الأسود أبو بكر الإمام المقرئ خطيب منين، سمع علي بن أبي العقب وأبا عبدالله محمد بن إبراهيم والحسين ابن أحمد بن أبي ثابت وأبا علي بن آدم. وروى عنه أبو الوليد الدربندي وعبدالعزیز الكتاني وأبو القاسم بن أبي العلاء وآخرون. وكان المنيني يحفظ القرآن بأحرف. قال الحافظ الدربندي: كان من ثقات المسلمين. مات سنة ست وعشرين وأربعمائة.

موقفه من الرافضة:

قال الدربندي: لم يكن في جميع الشام من يكنى بأبي بكر غيره، وكلن ثقة. قال الذهبي: وكذا لم يكن يوجد بمصر منذ تملك بنو عبيد أحد يكنى بأبي بكر، وكانت الدنيا تغلي بهم رفضاً وجهلاً⁴.

1 أحمد (25/1) والبخاري (5358/627/9) ومسلم (1757/1377/3) (49)) وأبو داود (2963/366-365/3) والترمذي (1610/136-135/4) والنسائي (4159/154-153/7) من طرق عن مالك بن أنس رضي الله عنه.

2 السير (425/17).

3 السير (453-452/17) والوفاي بالوفيات (70/3) والعبير (443/1) والأنساب (401/5) وشذرات الذهب (230/3).

4 السير (453/17).

الظاهر لإعزاز دين الله العبيدي الرافضي الخبيث الدعي (427 هـ)

في ولاية هذا الخبيث حاول بعض العبيدين تقديم البيت.

- جاء في السير: قال المحدث محمد بن علي بن عبدالرحمن العلوي الكوفي: في سنة ثلاث عشرة لما صليت الجمعة والركب بعد بمنى، قام رجل، فضرب الحجر الأسود بدبوس ثلاثاً، وقال: إلى متى يعبد الحجر فيمنعني محمد مما أفعله؟ فإني اليوم أهدم هذا البيت، فاتقاه الناس، وكاد يفلت، وكان أشقر، أحمر، جسيماً، تام القامة، وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه. فاحتسب رجل، فوجأه بخنجر، وتكاثروا عليه، فأحرق، وقتل جماعة من أصحابه وثارَت الفتنة، فقتل نحو العشرين، ونهب المصريون وقيل: أخذ أربعة من أصحابه، فأقروا بأنهم مائة تبايعوا على ذلك، فضربت أعناق الأربعة، وهشم وجه الحجر. وتساقط منه شظايا. وخرج مكسره أسمر إلى صفرة.¹

موقف السلف من

ابن سينا الفيلسوف وضلاله (428 هـ)

- قال الذهبي: قد سقت في 'تاريخ الإسلام' أشياء اختصرتها، وهو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة. وله كتاب 'الشفاء' وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في

كتاب 'المنقذ من الضلال' وكفر الفارابي.¹

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ضلال ابن سينا: وابن سينا تكلم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع، لم يتكلم فيها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغت علمهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية. وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد، وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن ييطنون الكفر المحض...

والمقصود هنا: أن ابن سينا أخبر عن نفسه أن أهل بيته وأباه وأخاه كانوا من هؤلاء الملاحدة، وأنه إنما اشتغل بالفلسفة بسبب ذلك، فإنه كان يسمعون يذكرون العقل والنفس، وهؤلاء المسلمون الذين ينتسب إليهم، هم مع الإلحاد الظاهر والكفر الباطن، أعلم بالله من سلفه الفلاسفة: كأرسطو وأتباعه، فإن أولئك ليس عندهم من العلم بالله ما عند عباد مشركي العرب ما هو خير منه...

وابن سينا لما عرف شيئاً من دين المسلمين، وكان قد تلقى ما تلقاه عن الملاحدة وعمن هو خير منهم من المعتزلة والرافضة، أراد أن يجمع بين ما عرفه بعقله من هؤلاء وبين ما أخذه من سلفه. ومما أحدثه: مثل كلامه في النبوات وأسرار الآيات والمنامات، بل وكلامه في بعض الطبيعيات، وكلامه في واجب الوجود ونحو ذلك.²

1 السير (535/17).

2 مجموع الفتاوى (135-133/9) باختصار.

- وقال: والمعنى الثالث، الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا وأمثاله، قالوا: نقول العالم محدث، أي معلول لعلة قديمة أزلية أوجبت، فلم يزل معها، وسموا هذا الحدوث الذاتي وغيره: الحدوث الزماني. والتعبير بلفظ "الحدوث" عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات، لا العرب ولا غيرهم، إلا من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى. والقول بأن العالم محدث بهذا المعنى فقط ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم، ولا أمة من الأمم العظيمة، ولا طائفة من الطوائف المشهورة التي اشتهرت مقالاتها في عموم الناس، بحيث كان أهل مدينة على هذا القول، وإنما يقول هذا طوائف قليلة مغمورة في الناس.

وهذا القول، إنما هو معروف عن طائفة من المتفلسفة المليون، كابن سينا وأمثاله. وقد يحكون هذا القول عن أرسطو، وقوله الذي في كتبه: أن العالم قديم، وجمهور الفلاسفة قبله يخالفونه، ويقولون: إنه محدث، ولم يثبت في كتبه للعالم فاعلا موجبا له بذاته، وإنما أثبت له علة يتحرك للتشبه بها، ثم جاء الذين أرادوا إصلاح قوله فجعلوا العلة أولى لغيرها، كما جعلها الفارابي وغيره، ثم جعلها بعض الناس آمرة للفلك بالحركة، لكن يتحرك للتشبه بها كما يتحرك العاشق للمعشوق، وإن كان لا شعور له ولا قصد، وجعلوه مدبرا بهذا الاعتبار - كما فعل ابن رشد وابن سينا - جعلوه موجبا بالذات لما سواه، وجعلوا ما سواه ممكنا.¹

- وقال: وهذه الطرق التي أخذها ابن سينا عن المتكلمين، من المعتزلة

ونحوهم، وخلطها بكلام سلفه الفلاسفة، صار بسبب ما فيها من البدع المخالفة للكتاب والسنة، يستطيل بها على المسلمين، ويجعل القول الذي قاله هؤلاء هو قول المسلمين. وليس الأمر كذلك، وإنما هو قول مبتدعتهم، وهكذا عمل إخوانه القرامطة الباطنية: صاروا يلزمون كل طائفة من طوائف المسلمين بالقدر الذي وافقوهم عليه مما هو مخالف للنصوص، ويلزمونهم بطرد ذلك القول حتى يخرجوهم عن الإسلام بالكلية.

ولهذا كان هؤلاء وأمثالهم نصيب من حال المرتدين، الذين قال الله تعالي فيهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَتَخَفُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ¹﴾. ولهذا آل الأمر بكثير من هؤلاء إلى عبادة الأوثان، والشرك بالرحمن، مثل دعوة الكواكب والسجود لها، أو التصنيف في ذلك، كما صنفه الرازي وغيره في ذلك.²

- وقال: وهذا الذي ذكرته يجده من اعتبره في كتب ابن سينا كالإشارات وغيرها، ويتبين للفاضل أنه إنما بنى إحداه في قدم العالم على نفى الصفات، فإنهم لما نفوا الصفات والأفعال القائمة بذاته، وسموا ذلك توحيداً، ووافقهم ابن سينا على تقرير هذا النفي الذي سموه توحيداً، بين امتناع القول بحدوث العالم مع هذا الأصل، وأظهر تناقضهم. ولكن قوله في قدم العالم

1 المائدة الآية (54).

2 درء التعارض (239/8).

أفسد من قولهم، ويمكن إظهار تناقض قوله، أكثر من إظهار تناقض أقوالهم. فلهذا تجده في مسألة قدم العالم يردد القول فيها، ويحكي كلام الطائفتين وحثهم كأنه أجنبي، ويحيل الترجيح بينهما إلى نظر الناظر، مع ظهور ترجيحه لقول القائلين بالقدم. وأما مسألة نفي الصفات فيجزم بها، ويجعلها من المقطوع به الذي لا تردد فيه، فإنهم يوافقون عليها، وهو بما تمكن من الاحتجاج عليهم في قدم العالم، وبما تمكن من إنكار المعاد، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقال: نقول في النصوص الواردة في المعاد كما قلت في النصوص الواردة في الصفات، وقال: كما أن الكتب الإلهية ليس فيها بيان ما هو الحق في نفس الأمر في التوحيد، يعني التوحيد الذي وافقته عليه المعتزلة، وهو نفي الصفات بناء على نفي التجسيم والتركيب؛ فكذلك ليس فيها بيان ما هو الحق في نفس الأمر في أمر المعاد. وبني ذلك على أن الإفصاح بحقيقة الأمر لا يمكن خطاب الجمهور به، وإنما يخاطبون بنوع من التخيل والتمثيل الذي ينتفعون به فيه، كما تقدم كلامه. وهذا كلام الملاحدة الباطنية الذين ألدوا في أسماء الله وآياته، وكان منتهى أمرهم تعطيل الخالق، وتكذيب رسله، وإبطال دينه. ودخل في ذلك باطنية الصوفية، أهل الحلول والاتحاد، وسموه تحقيقا ومعرفة وتوحيدا. ومنتهى أمرهم هو إلحاد باطنية الشيعة، وهو أنه ليس إلا الفلك وما حواه وما وراء ذلك شيء.¹

- وقال: ليس مراد ابن سينا بالتوحيد: التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب

لشيء من الممكنات سواه، فإن إخوانه من الفلاسفة من أبعد الناس عن هذا التوحيد، إذ فيهم من الإشراف بالله تعالى، وعبادة ما سواه، وإضافة التأثيرات إلى غيره، بل ما هو معلوم لكل من عرف حالهم، ولازم قولهم إخراج الحوادث كلها عن فعله. وإنما مقصوده التوحيد الذي يذكره في كتبه: وهو نفي الصفات، وهو الذي شارك فيه المعتزلة وسموه أيضا توحيدا. وهذا النفي الذي سموه توحيدا، لم يترل به كتاب، ولا بعث به رسول، ولا كان عليه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هو مخالف لصريح المعقول، مع مخالفته لصحيح المنقول.¹

- وقال: وحدثني غير مرة رجل، وكان من أهل الفضل والذكاء والمعرفة والدين، أنه كان قد قرأ على شخص سماه لي، وهو من أكابر أهل الكلام والنظر، دروسا من 'المحصل' لابن الخطيب، وأشياء من 'إشارات' ابن سينا. قال: فرأيت حالي قد تغير. وكان له نور وهدى، ورؤيت له منامات سيئة، فراه صاحب النسخة بحال سيئة، فقص عليه الرؤيا، فقال: هي من كتابك. و'إشارات' ابن سينا يعرف جمهور المسلمين الذين يعرفون دين الإسلام أن فيها إلحادا كثيرا، بخلاف 'المحصل' يظن كثير من الناس أن فيه مجوثا تحصل المقصود. قال فكتبت عليه:

محصل في أصول الدين حاصله	من بعد تحصيله أصل بلا دين
أصل الضلالات والشك المبين فما	فيه فأكثره وحي الشياطين

قلت: وقد سئلت أن أكتب على 'المحصل' ما يعرف به الحق فيما ذكره، فكتبت من ذلك ما ليس هذا موضعه.

وكذلك تكلمت على ما في 'الإشارات' في مواضع آخر.¹

الحسن بن شهاب أبو علي العكبري² (428 هـ)

الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي، أبو علي العكبري الحنبلي. مولده سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. سمع من أبي علي بن الصواف، وأبي بكر ابن خلاد وأبي بكر القطيعي وغيرهم. وسمع منه أبو بكر الخطيب، وعيسى ابن أحمد الهمداني. شيخ جليل معمر طلب الحديث وهو كبير وكان يضرب المثل بحسن كتابته. برع في المذهب، وكان من أئمة الفقه والعربية والشعر. وثقه أبو بكر البرقاني. مات ابن شهاب في رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

◀ موقفه من الرافضة:

قال ابن أبي يعلى في الطبقات: قرأت بخط أبي القاسم قال: سمعت أبا الحسن الزاهد يقول: سمعت أبا علي ابن شهاب يقول: أقام أخي أبو الخطاب معي في الدار عشرين سنة ما كلمته. وأشار إلى أنه ينسب إلى الرفض.³

1 المنهاج (433/5-434).

2 تاريخ بغداد (329/7-330) وطبقات الحنابلة (186/2-187) والسير (542/17-543) والسواقي بالوفيات (55/12) والبداية والنهاية (43/12-44).

3 طبقات الحنابلة (187/2).

أبو علي بن أبي موسى الهاشمي¹ (428 هـ)

محمد بن أحمد بن أبي موسى الشريف أبو علي الهاشمي البغدادي. مولده في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. سمع محمد بن المظفر وأبا الحسين بن سمعون وغيرهما، وسمع منه أبو بكر الخطيب والقاضي أبو يعلى بن الفراء وتفقه به، وأبو الحسين بن الطيوري وآخرون. كان سامي الذكر، شيخ الحنابلة علم النظير، صاحب التصانيف المذكورة، له وجهة عند الخليفين القادر والقائم، صنف الإرشاد في المذهب، كانت حلقة بجامع المنصور، يفتي ويشهد. مات في يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

قال شيخ الإسلام: قال القاضي الشريف أبو علي بن أبي موسى في 'الإرشاد' وهو ممن يعتمد نقله: ومن سب رسول الله ﷺ قتل ولم يستتب، ومن سبه ﷺ من أهل الذمة قتل وإن أسلم.²

◀ موقفه من الرافضة:

قال ابن أبي موسى: ومن سب السلف من الروافض فليس بكفؤ ولا يزوج، ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين،

1 تاريخ بغداد (354/1) وطبقات الحنابلة (182/2-186)، وتاريخ الإسلام (حوادث 421-430/ص.240)

والوافي بالوفيات (63/2-64) والبداية (44/11).

2 الصارم (310).

و لم ينعقد له نكاح على مسلمة، إلا أن يتوب ويظهر توبته.¹

◀ موقفه من الجهمية:

عقيدته السلفية:

جاء في طبقات الحنابلة: عنه قال: باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفتدة من واجب الديانات: حقيقة الإيمان عند أهل الأديان: الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان: أن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لا يغيره الأبد ليس له والد ولا ولد وأنه سميع بصير بديع قدير حكيم خبير علي كبير ولي نصير قوي مجير، ليس له شبيه ولا نظير ولا عون ولا ظهير ولا شريك ولا وزير ولا ند ولا مشير، سبق الأشياء فهو قدم لا كقدمها، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها، لم تملكه الخواطر فتكيفه ولم تدركه الأبصار فتصفه، ولم يخل من علمه مكان فيقع به التأين ولم يقدمه زمان فينطلق عليه التأوين، ولم يتقدمه دهر ولا حين ولا كان قبله كون ولا تكوين. ولا تجرى ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال ولا يدخل في الأمثال والأشكال صفاته كذاته ليس يجسم في صفاته جل أن يشبه بمبتدعاته أو يضاف إلى مصنوعاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾²، أراد ما الخلق فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو أراد أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلائق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم. لا سمي له في أرضه وسماوته، على

1 الصارم (571).

2 الشورى الآية (11).

العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالأشياء. كذلك سئل الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه عن قوله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾¹ فقال: علمه.

والقرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته غير مخلوق ولا محدث كلام رب العالمين في صدور الحافظين وعلى ألسن الناطقين وفي أسماع السامعين وأكف الكاتبين وملاحظة الناظرين، برهانه ظاهر وحكمه قاهر ومعجزه باهر، وأن الله عز وجل كلم موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا هشيمًا وأنه خلق النفوس وسواها وألهمها فجورها وتقواها.

والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن مع كل عبد رقيبا وعتيدا وحفيظا وشهيدا يكتبان حسناته ويحصيان سيئاته وأن كل مؤمن وكافر وبر وفاجر، يعاين عمله عند حضور منيته ويعلم مصيره قبل ميته. وأن منكرا ونكيرا إلى كل أحد يترلان -سوى النبيين- فيسألان ويمتحنان عما يعتقدونه من الأديان. وأن المؤمن يخبر في قبره بالنعيم والكافر يعذب بالعذاب الأليم، وأنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور ولن يتجاوز ما خُط في اللوح المسطور وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور. وأنه جل اسمه يعيد خلقهم كما بدأهم ويحشرهم كما ابتدأهم من صفائح القبور وبطن الحيتان في تخوم البحور وأجواف السباع وحواصل النسور. وأن الله

تعالى يتجلى في القيامة لعباده الأبرار فيرونه بالعيون والأبصار وأنه يخرج أقواما من النار فيسكنهم الجنة دار القرار، وأنه يقبل شفاعة محمد المختار في أهل الكبائر والأوزار. وأن الميزان حق، توضع فيه أعمال العباد فمن ثقلت موازينه نجا من النار ومن خفت موازينه أدخل جهنم وبئس القرار. وأن الصراط حق يجوزه الأبرار، وأن حوض رسول الله ﷺ حق يرده المؤمنون ويذاذ عنه الكفار. وأن الإيمان غير مخلوق فهو قول وإخلاص بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. وأن محمدا ﷺ خاتم النبيين وأفضل المرسلين وأتمه خير الأمم أجمعين وأفضلهم: القرن الذين شاهدوه وآمنوا به وصدقوه وأفضل القرن الذي صحبوه: أربع عشرة مائة بايعوه بيعة الرضوان وأفضلهم: أهل بدر إذ نصروه وأفضلهم: أربعون في الدار كنفوه وأفضلهم: عشرة عزروه ووقروه شهد لهم بالجنة وقبض وهو عنهم راض وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار: الخلفاء الراشدون المهديون الأربعة الأخيار، وأفضل الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليهم السلام وأفضل القرون القرن الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يتبعونهم.

وأن نتولى أصحاب محمد ﷺ بأسرهم، ولا نبحت عن اختلافهم في أمرهم ونمسك عن الخوض في ذكرهم إلا بإحسان الذكر لهم. وأن نتولى أهل القبلة ممن ولي حرب المسلمين على ما كان فيهم من علي وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضوان الله عليهم ولا ندخل فيما شجر بينهم اتبعا لقول رب العالمين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

لَنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾²

الإمام الكبير أبو عمر الطلمنكي³ (429 هـ)

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى، المحدث،
الحافظ، الأثري، المعافري الأندلسي الطلمنكي، نزيل قرطبة، وطمنكة مدينة
بالأندلس. حدث عن أبي بكر الزبيدي، وأبي الحسن الأنطاكي وأبي محمد
الباجي وأبي عيسى الليثي وابن أبي زيد وعدة. وأخذ القراءة عن الأنطاكي
وابن غلبون ومحمد بن الحسين بن النعمان. وحدث عنه أبو عمر بن عبد البر
وأبو محمد بن حزم وعبد الله بن سهل المقرئ وعدة.

قال ابن بشكوال: كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعا
لهم، غيورا على الشريعة، شديدا في ذات الله، أقرأ الناس محتسبا، وأسمع
الحديث، والتزم للإمامة بمسجد منعة، ثم خرج، وتحول في الثغر، وانتفع
الناس بعلمه، وقصد بلده في آخر عمره، فتوفي بها. أدخل الأندلس علما جملا
نافعا، وكان عجا في حفظ علوم القرآن، قراءته ولغته وإعرابه وأحكامه
ومنسوخه ومعانيه.

1 الحشر الآية (10).

2 طبقات الحنابلة (2/183-185).

3 السير (17/566-569) والوافي بالوفيات (8/32-33) وتذكرة الحفاظ (3/1098-1100) وشذرات الذهب

(3/243-244)

توفي في ذي الحجة، سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

كان هذا الإمام سيفاً مسلولاً على أهل البدع، وبارك الله له في العمر فعمّر، وترك آثاراً سلفية، وكتب الله له الذكر الحسن على السنة الموحدين، أما المبتدعة فكلامهم فيه يرفع الله به الدرجات هو وأمثاله ممن سلوا سيوفهم القلمية والكلامية ضد المبتدعة.

قال عنه ابن بشكوال: كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعا لهم، غيورا على الشريعة، شديدا في ذات الله، أقرأ الناس محتسبا، وأسمع الحديث، والتزم للإمامة لمسجد منعة.¹

وقول الإمام الذهبي: عاش تسعين عاما سوى أشهر وقد امتحن لفرط إنكاره، وقام عليه طائفة من أصداده، وشهدوا عليه بأنه حروري يرى وضع السيف في صالحه المسلمين، وكان الشهود عليه خمسة عشر فقيها، فنصره قاضي سرقسطة في سنة خمس وعشرين وأربعمائة وأشهد على نفسه بإسقاط الشهود وهو القاضي محمد بن عبدالله بن قرون.²

آثاره السلفية:

1- 'الوصول إلى معرفة الأصول'. ذكره غير واحد وذكره شيخ

الإسلام في الدرء.³

1 الصلة (45/1) وتذكرة الحفاظ (1099/3).

2 السير (568/17).

3 (250/6).

2- 'كتاب السنة'. ذكره الذهبي في السير وقال: رآه في مجلدين وقال عامته جيد وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبدا مثل باب الجنب لله، وذكر فيه «يَحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ»¹ فهذه زلة عالم.

هذا إذا لم يكن كتابه هذا هو 'الوصول' وإلا فهما كتابان.²

3- 'الرد على الباطنية'. ذكره الذهبي وذكر جملة منه قال: ومنهم قوم تعبدوا بغير علم، وزعموا أنهم يرون الجنة كل ليلة، ويأكلون من ثمارها، وتزل عليهم الحور العين، وأنهم يلوذون بالعرش، ويرون الله بغير واسطة، ويجالسونه.³

← موقفه من الجهمية:

قال الشيخ أبو عمر الطلمنكي المالكي، أحد أئمة وقته بالأندلس، في كتاب 'الوصول إلى معرفة الأصول' قال: وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»⁴ ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء.

وقال أيضا: قال أهل السنة في قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»

⁵ أن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز.⁶

1 الزمر الآية (56).

2 (569/17).

3 السير (569/17).

4 الحديد الآية (4).

5 طه الآية (5).

6 درء التعارض (250/6) ومجموع الفتاوى (219/3-220).

أبو نعيم الأصبهاني¹ (430 هـ)

أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الحافظ، العلامة، أبو نعيم الأصبهاني، أحد الأعلام. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. سمع من أبي أحمد العسال وأبي القاسم الطبراني وأبي بكر القطيعي وأبي أحمد الحاكم وأبي بكر الآجري، وخلق كثير. وروى عنه أبو بكر الخطيب وأبو سعد الماليني، وأبو بكر بن أبي علي الهمداني، وأبو علي الوخشي، وعدة.

قال أبو محمد السمرقندي: سمعت أبا بكر الخطيب يقول: لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين، أبو نعيم الأصبهاني وأبو حازم العبدوي. وقال أحمد ابن محمد بن مردويه: كان أبو نعيم في وقته مرحولا إليه. ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر، فإذا قام إلى داره، ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء، وكان لا يضجر.

وقال حمزة بن العباس العلوي: كان أصحاب الحديث يقولون: بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير، لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى منه إسنادا ولا أحفظ منه.

توفي في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة وله أربع وتسعون سنة.

1 معجم المؤلفين (282/1) والسير (453/17-464) والكامل في التاريخ (466/9) ووفيات الأعيان (91/1-92) وتذكرة الحفاظ (1092/3-1098) والوفاء بالوفيات (81/7-84) والبداية والنهاية (48/2-49) ولسان الميزان (201/1) وشذرات الذهب (245/3).

◀ موقفه من المبتدعة:

قال أبو نعيم عقب حديث: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي»¹: وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها. لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخا وذكرا.²

1 أخرجه: ابن أبي شيبة في مسنده (207/1-306/208) في المصنف (6/325/31788) ومن طريقه أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (177/5) وأبو يعلى (8/427-5011/428) وابن حبان (3/911/192/3) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (رقم 63) وأخرجه الطبراني (10/17-9800/18) والبخاري (4/1446/278/4) كلهم من طريق خالد بن مخلد بن موسى بن يعقوب الزمعي قال أخبرني عبدالله بن كيسان قال أخبرني عبدالله بن شداد بن الهاد عن أبيه عن عبدالله بن مسعود به. وفي إسناده عبدالله بن كيسان، قال فيه ابن القطان (الوهم والإيهام 3/613/1422): "وعبدالله بن كيسان لا تعرف حاله، ولا يعرف روى عنه إلا موسى بن يعقوب الزمعي وقال ابن حجر في التقریب: مقبول، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا".

قال الألباني في تخريج المشكاة (1/291): "وإسناده ضعيف، فيه عبدالله بن كيسان، لم يوثقه غير ابن حبان. وموسى بن يعقوب اختلف فيه، فضعه ابن المديني، وقال النسائي: "ليس بالقوي"، وقال أحمد: "لا يعجبني حديثه" وقال الدارقطني في العلل (5/113): "والاضطراب فيه من موسى بن يعقوب ولا يحتج به". وقال ابن حجر في التقریب: "صدوق سيء الحفظ".

قلت: وقد وقع الاختلاف في إسناده.

فرواه الترمذي (2/484/354) وقال: "حسن غريب"، والبخاري في التاريخ الكبير (177/5) والبيهقي في شرح السنة (3/196-686/197) والبخاري (5/1789/190) لم يذكروا الوسطة بين عبدالله بن شداد وبين عبدالله بن مسعود، وقد بين هذا الاختلاف الدارقطني في العلل (5/111-113). وهناك اختلاف آخر في إسناده، فقد ذكر البخاري في تاريخه (177/5) إسنادين آخرين: الأول: من طريق موسى عن عبدالله بن كيسان عن عتبة بن عبدالله عن عبدالله بن مسعود به. الثاني: من طريق قاسم بن أبي زياد عن عبدالله بن كيسان عن سعيد بن أبي سعيد عن عتبة بن مسعود أو عبدالله بن مسعود به، ولذلك حكم عليه الدارقطني في العلل بالاضطراب.

2 شرف أصحاب الحديث (35).

◀ موقفه من الجهمية:

كان هذا الإمام سلفيا في عقيدة الأسماء والصفات، يتبين ذلك من عقيدته التي ألفها، وقد نقل منها شيخ الإسلام في الدرء والفتاوى، وكذلك الحافظ ابن القيم والحافظ الذهبي في العلو.

وأما التصوف فكان صوفيا حتى إنه ألف كتابه المشهور المسمى 'الحلية' وذكر فيه جملة من السلف هم بريئون مما عمل. وإليك نموذجا من عقيدته.

- جاء في مختصر العلو: طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول، لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلمنا بكلام، ثم أحدث الأشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله وكذلك سائر كتبه المتزلة. كلامه غير مخلوق وأن القرآن في جميع الجهات مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله حقيقة، لا حكاية ولا ترجمة وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق وأن الواقعة واللفظية من الجهمية وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية وأن الجهمي عندهم كافر إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكيف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه.¹

- وقال أبو طاهر السلفي: سمعت أبا العلاء محمد بن عبد الجبار

1 مختصر العلو (ص. 261) ومجموع الفتاوى (5/60).

الفرساني يقول: حضرت مجلس أبي بكر بن علي الذكواني المعدل في صغري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسان: من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم، فليقم. وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجورا بسبب المذهب، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد الرجل يقتل. قلت -أي الذهبي-: ما هؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم.¹

قلت: وأما التصوف فيؤيد ما ذكرناه ما قاله الإمام ابن الجوزي في تلييس إبليس: وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل.²

أبو عمران الفاسي³ (430 هـ)

موسى بن عيسى بن أبي حاج واسمه يحج الإمام أبو عمران الفاسي الدار البربري الفقيه المالكي نزيل القيروان ولد هو وابن عبدالبر في عام واحد سنة ثمان وستين وثلاثمائة. سمع من عبدالوارث بن سفيان وسعيد بن نصر

1 السير (17/459).

2 التلييس (ص. 204).

3 ترتيب المدارك (280/2-283) وتاريخ الإسلام (حوادث 421-430/ص. 299-301) والسير (17/545-548).

وأحمد ابن القاسم التاهرتي، وتفقه بأبي الحسن القاسبي وهو أكبر تلامذته، تخرج بهذا الإمام خلق من الفقهاء والعلماء.

كان أبو عمران من أعلم الناس وأحفظهم جمع الفقه إلى الحديث ومعرفة معانيه. وكان يقرأ القراءات ويجودها مع معرفته بالرجال والجرح والتعديل. وقال ابن بشكوال: أقرأ الناس مدة بالقيروان، ثم ترك الإقراء ودرس الفقه وروى الحديث.

توفي رحمه الله في ثالث عشر رمضان من سنة ثلاثين وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

قال الذهبي: وحكى القاضي عياض قال: حدث في القيروان مسألة في الكفار، هل يعرفون الله تعالى أم لا؟ فوقع فيها اختلاف العلماء، ووقعت في السنة العامة، وكثر المرءاء، واقتتلوا في الأسواق إلى أن ذهبوا إلى أبي عمران الفاسي، فقال: إن أنصتكم، علمتكم. قالوا: نعم. قال: لا يكلمني إلا رجل، ويسمع الباؤون. فنصبوا واحدا، فقال له: رأيت لو لقيت رجلا، فقلت له: أتعرف أبا عمران الفاسي؟ قال: نعم. فقلت له: صفه لي. قال: هو يقال في سوق كذا، ويسكن سبتة، أكان يعرفني؟ فقال: لا. فقال: لو لقيت آخر فسألته كما سألت الأول، فقال: أعرفه، يدرس العلم، ويفتي، ويسكن بغرب الشماط، أكان يعرفني؟ قال: نعم. قال: فكذلك الكافر قال: لربه صاحبة وولد، وأنه جسم، فلم يعرف الله ولا وصفه بصفته بخلاف المؤمن. فقالوا: شفيتنا. ودعوا له، ولم يخوضوا بعد في المسألة.¹

جعفر المستغفري¹ (432 هـ)

أبو العباس، جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر بن الفتح النسفي، الإمام، الحافظ، العلامة، صاحب التصانيف الكثيرة، كان مولده بعد الخمسين والثلاثمائة بيسير. حدث عن زاهر بن أحمد السرخسي، وإبراهيم بن لقمان، وأبي سعيد عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الرازي، وخلق كثير. وحدث عنه الحسن بن عبدالملك النسفي، والحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ، وآخرون. وكان يحدث ما وراء النهر في زمانه. مات بنسف سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة عن ثمانين سنة، رحمه الله.

◀ موقفه من الجهمية:

جاء في الأنساب للسمعاني: عنه قال: لا أستجيز الرواية عنه، لأنه كان داعية إلى الاعتزال - يريد شيخ المعتزلة عبدالله بن أحمد الكعبي².

موقف السلف من

أبي ذر الهروي (434 هـ)

دخول علم الكلام إلى بلاد المغرب والأندلس:

قدمنا غير ما مرة أن العقيدة السلفية هي عقيدة الصدر الأول، ولا يعرفون غيرها لأنها هي المتلقاة عن صاحب الشرع. ولذا كانت البلاد التي

1 السير (564/17-565) وتذكرة الحفاظ (1102/3-1103) والوافي بالوفيات (149/11-150) وشذرات

الذهب (249/3-250) ومعجم المؤلفين (150/3) وكشف الظنون (1/296-308).

2 الأنساب (1/444).

يفتحونها أو يدخلونها ويسلم أهلها لا ينشر فيها إلا العقيدة السلفية. ولكن بعد دخول طاغوت الكلام الذي عكر الجوى، وأفسده وجد له دعاة ينشرونه في البلاد التي كانت لا تعرف إلا العقيدة السلفية. وبلاد المغرب والأندلس من البلاد التي فتحها الصدر الأول ونشر فيها عقيدة السلف.

- يقول المؤرخ الكبير الذهبي في كتاب السير في ترجمة أبي ذر الهروي: أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبث ذلك بمكة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس، وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام؛ بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات وعلى ذلك كان الأصيلي وأبو الوليد بن الفرضي وأبو عمر الظلمنكي ومكي القيسي وأبو عمرو الداني وأبو عمر بن عبد البر والعلماء.¹

قلت: وهذا ما يؤكد المؤرخ المغربي الكبير؛ أبو العباس أحمد الناصري في كتاب الاستقصا وهو يتحدث عن حال أهل المغرب قال: وأما حالهم في الأصول والاعتقادات، فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أو الرافضية ثانيا، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف - يعني متبعون لهم - رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التزيه عن الظاهر، وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها والله در القائل:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء، عقيدة صائب
 نسلم آيات الصفات بأسرها وأخبارها للظاهر المتقارب
 ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا وتأويلنا، فعل اللبيب المراقب
 ونركب للتسليم سفنا، فإنها لتسليم دين المرء خير المراكب
 واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي
 الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب
 الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه من الجزم بعقيدة السلف مع
 تأويل المتشابه من الكتاب والسنة، وتخريجه على ما عرف في كلام العرب من
 فنون مجازاتها وضروب بلاغتها، مما يوافق عليه النقل والشرع ويسلمه العقل
 والطبع ثم عاد محمد بن تومرت إلى المغرب، ودعا الناس إلى سلوك هذه
 الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره، وسمى أتباعه الموحدين تعريضا
 بأن من خالف طريقته ليس بموحد وجعل ذلك ذريعة إلى الانتزاع على ملك
 المغرب حسب ما تقف عليه مفعلا بعد إن شاء الله، لكنه ما أتى بطريقة
 الأشعري خالصة بل مزجها بشيء من الخارجية والشيعة حسبما يعلم ذلك
 بإمعان النظر في أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده، ومن ذلك الوقت
 أقبل علماء المغرب على تعاطي مذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا
 وتأليفا إلى الآن وإن كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما والله
 أعلم.¹

من تصانيفه:

قال الذهبي: ولأبي ذر الهروي مصنف في الصفات على منوال كتاب أبي بكر البيهقي بحدثنا وأخبرنا.¹

المهلب بن أحمد بن أسيد² (435 هـ)

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أبو القاسم الأندلسي، سكن المريّة، وصحب الأصبلي، وسمع منه، وتفقه معه، وسمع من غيره عن شيوخ الأندلس ثم رحل إلى القيروان ومصر وسمع من جماعة منهم أبو الحسن القابسي، وأبو ذر الهروي وحدث عنه القاضي بن المرابط، وأبو عمر بن الحذاء، وأبو العباس الدلائي. وكان من أهل العلم الراسخين فيه، والمتفنين في الفقه والحديث. قال أبو عمر بن الحذاء: كان أذهن من لقيته وأفصحهم وأفهمهم. له شرح واختصار لصحيح البخاري سماه: 'كتاب النصيح في اختصار الصحيح'!

توفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

قال الحافظ في فتح الباري: قال المهلب: هذا الباب والذي قبله - يعني باب (إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة) وباب (قول النبي ﷺ): «لتتبعن

1 السير (559/17).

2 ترتيب المدارك (313/2) وسير أعلام النبلاء (579/17) وشذرات الذهب (255/3) وتاريخ الإسلام (حوادث 431-440/ص.422) وشجرة النور الزكية (114/1) والديباج المذهب (346/2).

سنن من كان قبلكم»¹ - في معنى التحذير من الضلال، واجتناب البعد ومحدثات الأمور في الدين، والنهي عن مخالفة سبيل المؤمنين.²

موقف السلف من

المرتضى الشريف الرافضى الخبيث (436 هـ)

بيان رفضه:

جاء في السير: قال ابن حزم: الإمامية كلهم على أن القرآن مبـدل، وفيه زيادة ونقص سوى المرتضى، فإنه كفر من قال ذلك، وكذلك صاحبه أبو يعلى الطوسي، وأبو القاسم الرازي.

قال الذهبي: وفي توأيفه سب أصحاب رسول الله ﷺ فعوذ بالله من علم لا ينفع.³

قال ابن كثير ناقلا عن ابن الجوزي: وأعجب منها - أي من أقواله ومذاهبه العجيبة - ذم الصحابة رضي الله عنهم. ثم سرد - أي ابن الجوزي - من كلامه شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضي الله عنهم وأخزاه الله وأمثاله من الأرجاس الأنجاس، أهل الرفض والارتكاس، إن لم يكن تاب؛ فقد روى ابن الجوزي قال: أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيوري قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت

1 تقدم تخريجه ضمن مواقف علي بن المديني سنة (234هـ).

2 الفتح (302/13).

3 السير (590/17).

على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول: أبو بكر وعمر وليا فعديلا واسترحما فرحما؛ فأنا أقول: ارتدا بعدما أسلما؟ قال: فقممت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه.¹

مكي بن أبي طالب² (437 هـ)

أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم القرطبي، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. سمع من أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وأحمد بن فراس المكي وعدة، تلا عليه خلق منهم: عبدالله بن سهل ومحمد بن أحمد بن مطرف، كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، غلب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه. وكان خيرا فاضلا، متدينا، متواضعا، مشهورا بالصلاح، أقرأ بجامع قرطبة، وعظم اسمه، وبعد صيته. قال ابن بشكوال: قلده أبو الحزم جهور خطابة قرطبة. توفي رحمه الله في المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

موقفه من القدريّة:

قال الحافظ في الفتح: وقال مكي بن أبي طالب في إعراب القرآن له

قالت المعتزلة (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾³ موصولة فرارا من أن

1 البداية والنهاية (57/12) وانظر المنتظم (300-294/15).

2 ترتيب المدارك (304/2) ووفيات الأعيان (277-274/5) وتاريخ الإسلام (حوادث 431-440/ص. 452-455) والسير (593-591/17).

3 الصفات الآية (96).

يقروا بعموم الخلق لله تعالى، يريدون أنه خلق الأشياء التي تنحت منها الأصنام، وأما الأعمال والحركات فإنها غير داخلية في خلق الله، وزعموا أنهم أرادوا بذلك تزيه الله تعالى عن خلق الشر، ورد عليهم أهل السنة بأن الله تعالى خلق إبليس وهو الشر كله، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾¹ من شرِّ ما خلق² فأثبت أنه خلق الشر، وأطبق القراء حتى أهل الشذوذ على إضافة شر إلى "ما" إلا عمرو بن عبيد رأس الاعتزال فقرأها بتنوين شر ليصحح مذهبه، وهو محجوج بإجماع من قبله على قراءتها بالإضافة، قال: وإذا تقرر أن الله خالق كل شيء من خير وشر وجب أن تكون "ما" مصدرية، والمعنى خلقكم وخلق عملكم انتهى.²

عبدالله بن يوسف الجويني³ (438 هـ)

شيخ الشافعية، أبو محمد، عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الطائي السنبسي الجويني، والد إمام الحرمين. وجوين ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على قرى كثيرة. سمع وتفقه على أبي الطيب الصعلوكي وأبي بكر القفال وأبي نعيم الاسفراييني وطائفة. وروى عنه ابنه أبو المعالي، وعلي بن أحمد بن الأحزم وسهل بن إبراهيم المسجدي

1 الفلق الأبتان (1و2).

2 فتح الباري (529/13).

3 السير (617/17-618) والكامل في التاريخ (535/9) ووفيات الأعيان (47/3-48) والبداية والنهاية

(59/12) وشذرات الذهب (261/3-262).

وغيرهم. كان فقيها مدققا محققا، نحويا مفسرا، مجتهدا في العبادة، مهيبا بين التلامذة، صاحب جد ووقار وسكينة. قال ابن شهبة في طبقاته: كان يلقب ركن الإسلام. وقال أبو عثمان الصابوني: لو كان الشيخ أبو محمد في بني إسرائيل لنقلت إلينا شمائله، وافتخروا به. توفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

هذا والد أبي المعالي عبد الملك المشهور بإمام الحرمين، وإذا أطلق الجويني انصرف إلى الابن. وكان الوالد مجرا في شتى العلوم كما بين ذلك ابن السبكي في طبقاته، وهو كغيره في وقته تربي على الأشعرية وتلقى العلوم على مشايخها، وبصيرته بنصوص القرآن والسنة والفطرة السلفية جعلته يتوقف ويشك في صحة ما يقوله مشايخ الأشاعرة من التأويل والتعطيل. ثم أخيرا هداه الله وشرح صدره لعقيدة السلف، فكتب في ذلك رسالته التي بين فيها أعظم المسائل في العقيدة السلفية وهي إثبات الفوقية والاستواء والحرف والصوت لله رب العالمين.

وهذه الرسالة طبعت منفردة ومع مجموعة الرسائل المنيرية.

وأما ابنه عبد الملك فسمح في بحر الأشعرية وتخطب مدة طويلة من الزمن، ثم رجع وكتب رجوعه في العقيدة النظامية، ولكن إلى عقيدة التفويض. انظر الصفات الإلهية بين الخلف والسلف.¹

نموذج من رسالة الجويني الوالد:

وبعد أن ذكر خطبة الرسالة قال: وبعد، فهذه نصيحة كتبتها إلى إخواني في الله أهل الصدق والصفاء والإخلاص والوفاء لما تعين علي من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل، فإن المرء لا يكمل إيمانه حتى يجب لأخيه ما يحبه لنفسه. وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم¹. وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثا، قال: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»². أعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده ووقفهم لطاعته ومزيده أني كنت برهة من الدهر متحيرا في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيرا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو إمرارها والوقوف فيها أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات وكذلك في إثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول التزول بتزول الأمر

1 أحمد (365/4) والبخاري (182/1-57/183) ومسلم (56/75/1) والترمذي (1925/286/4) ورواه أبو داود (4945/234/5) والنسائي (4168/159-158/7) كلاهما بلفظ: «... على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم».

2 أخرجه: أحمد (102/4) ومسلم (55/74/1) وأبو داود (4944/234-233/5) والنسائي (4208/176/7) عن تميم الداري. والحديث ذكره البخاري تعليقا (182/1). قال ابن حجر في الفتح: "هذا الحديث أورده المصنف هنا ترجمة باب، ولم يخرج مسندا في هذا الكتاب لكونه على غير شرطه، ونبه بإيراده على صلاحيته في الجملة".

ويؤول اليدين بالقدرتين أو نعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

ومن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها، قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين، لأني على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها. فكنت كالمضطرب في تحيره المتململ من قلبه في قلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والتزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول ﷺ قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه ﷺ كان يحضر في مجلسه: الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والحنافي، ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الأمر للتزول وغير ذلك ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه ممن الفوقية واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني

آخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرئية ويد النعمة والقدرة وغير ذلك. وأجد الله عز وجل يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾¹.. ثم ذكر آيات الاستواء وأحاديثه ثم قال -فصل-: إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعمارة التعطيل وحماسة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تشرح له فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وعي مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقونا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها فما وصف لنا نفسه به إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حماسة وجهالة فمن وفقه الله تعالى للإثبات بلا تحريف ولا تكيف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى.

ثم قال -فصل-: والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، والتزول بتزول الأمر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكيف ولا تشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به.²

1 طه الآية (5).

2 مجموعة الرسائل المنبرية (1/175-181).

✓ التعليق:

ماذا يقول علماء الأشاعرة في هذه الرسالة السلفية؟ هل اخترعت على الجويني أم هي حقيقة من تأليفه ينبغي أن يؤول ما فيها أو يرفض لأنه لا يتفق والعقيدة الأشعرية. والله إن هذا لهو الحق المبين مهما كان الأمر ومهما قيل.

انظر رحمك الله إلى عبارات هذا الإمام في التأويل والتشبيه يستطيع شيخ الإسلام ومن سار على طريقه أن يعبر أكثر من هذا التعبير في الوصف بالعمارة والحماقة؟ فهذا تعبير لا مزيد عليه. وابن تيمية إنما يشرح كلام أمثال هؤلاء الفحول ويبينها لا غير، إذا فليرجع أئمة الأشاعرة إلى عقيدة السلف ويكفوا عقيدة أهل اليونان ويرموها في مكان سحيق حتى لا يتأذى الناس بشرها. أو يندبون خدودهم على مثل هذه العقائد السلفية من أئمة كانوا فحولاً في العقيدة الأشعرية، فارجو الله أن يرجع بإخواننا إلى الصراط المستقيم إنه سميع مجيب.

محمد بن علي الصوري¹ (441 هـ)

الإمام الحافظ الحجة، أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله الشامي الصوري ولد سنة ست أو سبع وسبعين وثلاثمائة. سمع محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، ومحمد بن عبدالصمد الزراني وعبدالغني بن سعيد المصري. وحدث عنه شيخه الحافظ عبدالغني، وأبو بكر الخطيب، والقاضي أبو عبدالله

1 السمر (627/17-631) وتاريخ بغداد (103/3) وتذكرة الحفاظ (1114/3) والأنساب (565/3).

الدامغاني، قال الخطيب: كان الصوري من أحرص الناس على الحديث. قال أبو الحسين بن الطيوري: كتبت عن عدة، فما رأيت فيهم أحفظ من الصوري، كان يكتب بفرد عين، وكان متفننا يعرف من كل علم، وقوله حجة، وعنه أخذ الخطيب علم الحديث. قال الذهبي: كان من أئمة السنة وله شعر رائع.

توفي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

﴿ موقفه من المبتدعة: ﴾

روى له الخطيب أبياتا في أهل الحديث وهي:

قل لمن عاند الحديث وأضحى	عائبا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا ابن لي	أم يجهل فالجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الديـ	ن من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه	راجع كل عالم وفقيه ¹

القزويني الحربي² (442 هـ)

الإمام القدوة شيخ العراق أبو الحسن، علي بن عمر بن محمد البغدادي الحربي الزاهد، سمع أبا حفص بن الزيات وأبا بكر بن شاذان والقاضي أبا الحسن الجراحي وطبقتهم وأملى عدة مجالس، حدث عنه: الخطيب وابن

1 شرف أصحاب الحديث (77-78).

2 السير (609/17-613) والعتق (459/1) والبداية والنهاية (66/12) والنجوم الزاهرة (49/5) وشذرات الذهب (268/3-269).

خيرون وأبو الوليد الباجي وخلق.

قال الخطيب: كتبنا عنه، وكان أحد الزهاد، ومن عباد الله الصالحين،
يقرأ القرآن، ويروي الحديث، ولا يخرج من بيته إلا للصلاة.

عليه بعض المؤاخذات فيما حكى عنه من مبالغات في بعض الكرامات

كشهوده عرفة وهو ببغداد!!!

توفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المتدعة:

من آثاره السلفية: 'السنة' ذكره في 'الحجة في بيان المحجة'.¹

عثمان أبو عمرو الداني² (444 هـ)

الإمام، الحافظ، عالم الأندلس، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان
ابن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي المقرئ، الداني، ويعرف قديماً بابن
الصيرفي، والداني: نسبة إلى دانية، مدينة بالأندلس.

كان مولده سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. سمع أبا مسلم محمد بن أحمد
الكاتب وأحمد بن فراس المكي وعبدالرحمن بن عثمان القشيري الزاهد وعدة.
وحدث عنه وقرأ عليه عدد كثير، منهم ولده أبو العباس وخلف بن إبراهيم
الطليطلي.

1 (ص. 171).

2 السير (85-77/18) وتذكرة الحفاظ (1120/3-1121) والديباج المذهب (84/2-85) وشذرات الذهب (272/3) وشجرة النور الزكية (115/1) وتاريخ الإسلام (حوادث 441-450/ص. 97-101).

قال ابن بشكوال: كان أبو عمرو أحد الأئمة في علم القرآن، رواياته وتفسيره ومعانيه، وطرقه وإعرابه، وجمع في ذلك كله تواليف حسانا مفيدة، وله معرفة بالحديث وطرقه، وأسماء رجاله ونقلته، وكان حسن الخط، جيد الضبط، من أهل الذكاء والحفظ، والتفنن في العلم، دينا فاضلا، ورعا سنيا.

قال الذهبي: إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو، وغير ذلك.

مات سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن بمقبرة دانية.

﴿ موقفه من المبتدعة والجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة: ﴾

كان أبو عمرو الداني من كبار العلماء في بلاد الأندلس، من الله عليه بدراسة عقيدة السلف، وبدا ذلك عليه في أرجوزته المسماة بالمنبهة فذكر في مطلعها عقيدة أصول البدع وبينها. وعلى كل حال، فأبو عمرو في هذه الأرجوزة دافع عن عقيدة السلف. وكان صاحب سنة كما قال فيه الذهبي.

دفاعه عن العقيدة السلفية في أرجوزته المنبهة:

القول في عقود السنة:

ومن عقود السنة الايمان	بكل ما جاء به القرآن
وبالحديث المسند المروى	عن الأئمة عن النبي
وأن ربنا قلتم لم يزل	وهو دائم إلى غير أجل
ليس له شبه ولا نظير	ولا شريك لا ولا وزير
ولا له ند ولا عديل	ولا انتقال لا ولا تحويل
ولا له صاحبة ولا ولد	بل هو فرد صمد وتر أحد

كان وما كان شيء قبله
 جل عن الوصف وكيف كانا
 كلم موسى عنده تكليما
 كلامه وقوله قسدم
 والقول من كتابه المفضل
 على رسوله النبي الصادق
 من قال فيه انه مخلوق
 والوقف فيه بدعة مضلة
 كلا الفريقين من الجهمية
 هو القرآن لا يسوغ فيه
 بل الذي أجمع أهل السنة
 و نظرائه من الأئمة
 أهون بقول جهم الخسيس
 ذي السخف والجهل وذي العناد
 وابن عبيد شيخ الاعتزال
 والجاحظ القادح في الاسلام
 والفاسق المعروف بالجبائي
 واللاحقي وأبي الهذيل
 وذي العمى ضرار المرتاب
 جميعهم قد غالط الجهالا
 أجل ولا شيء يكون مثله
 سبحانه من بارئ سبحانا
 ولم يزل مدبرا حكيما
 وهو فوق عرشه العظيم
 بأنه كلامه المزل
 ليس بمخلوق ولا بخالق
 أو محدث فقول له مروق
 ومثل ذلك اللفظ عند الجلة
 الواقفون فيه واللفظية
 مقال ذي الشك وذي التمويه
 عليه كابن حنبل ذي المحنة
 ذوي التقى سرج هذه الأمة
 وواصل وبشر المريسي
 ومعمار وابن أبي دؤاد
 وشارع البدع والضلال
 وجبت هذه الأمة النظام
 ونجله السفية ذي الخناء
 مؤيد الزيغ بكل ويمل
 وشبههم من أهل الارتباب
 وأظهر البدعة والضلال

وعد ذاك شـرعة وديننا
وعن قريب منهم ينقم
وبعد فالإيمان قول وعمل
هو على ثلاثة مبني
وتارة يزيد بالتشـمير

القول في حب أصحاب النبي ﷺ:

ما كان من عصيان أو من طاعة
بل للإله العلم والقضية
وحب أصحاب النبي فرض
وأفضل الصحابة الصديق
وبعد عثمان ذو النورين
وبعد هؤلاء باقي العشرة
أهل الخشوع والتقوى والخوف
ثمت سعد بعدهم وعامر
وسائر الصحب فهم أبرار
وربنا جللهم إنعامه
والسمع والطاعة للأئمة
وهم على ما جاء من قريش
وأمرأؤهم كلهم في الطاعة
من مات وهو لا يرى إماما

فماله فيه من استطاعة
في كل شيء وله المشيئة
ومدحهم تزلف وقـرض
وبعد المهدب الفاروق
وبعد علي أبو السـبطين
الأتقياء المرتضين البررة
طلحة والزبير وابن عوف
ثم سعيد بن نـفيل العاشر
منتخبون سادة أـخيار
وخصهم بالفضل والكرامه
مفترض على جميع الأمة
بذا أدين الله طول عيشي
هذا الذي تقوله الجماعة
فقد هوى إذ فارق الإسلاما

ومن يموت منا على العصيان
ان شاء عذب وان شاء غفر
والنار والجنة قد خلقتا
فالمؤمنون في النعيم سرمدا
وكل ما أحدثه أهل البدع
والبدع الأصول فاعلم أربعة
أحسس بهم وما به قد جاءوا
وكل فرقة فقد تفرقت
فاستكملت صدقا بغير مين
وهي التي في مسند الأخبار
كذا روينا عن أولينا

القول في باقي العقود:

ومن صريح السنة الاقرار
فمن صحيح ما أتى به الأثر
نزول ربنا بلا امتراء
بغير ما حد ولا تكييف
ورؤية المهيمن الجبار
يوم القيامة بلا ازدحام
وضغطة القبر على المقبور
ونحو هذا من أصول الدين

فهو في مشيئة الرحمان
وليس يصلى النار إلا من كفر
ولللخلود دائما أعـدـتـا
والجاحدون في العذاب أبدا
فبدعة مضلة لا تتبع
قول الشراة مذهب ما أفضعه
والرفض والقدر والإرجاء
على ثماني عشرة تمزقت
فرقهم سبعين واثنتين
بأنها يجمعها في النار
فالزم هديت الواضح المبينا

بكل ما صححت به الآثار
وشاع في الناس قديما وانتشر
في كل ليلة إلى السماء
سبحانه من قادر لطيف
وأنه نراه بالأبصار
كرؤية البدر بلا غمام
وفتنة المنجر والمنكر
كالجائي في الصفات واليمين

في الحوض والصراط والميزان
والعرض والثواب والعقاب
في كل عاص تارك للطاعة
إذ كلهم مستمسك بالملمة
بعد خروجهم من النيران
بعدا لأهل الزيغ والأهواء
فهم كما جاء كلاب النار
وما لهم في الدين من إمام
وأنكروا من خير يقين
واخترعوا من باطل التأويل
واستهزعوا بالوارد المسطور
أصحابه في العقد والأحكام
وشأنه تعسا لهم وبؤسا
وأسقطوا جميعها اسقاطا
لواضح السنة واجتباننا
فالتزمنها وارحون الجنة¹

وكالذي جاء من البيان
والعرش والكرسى والحساب
والكتب والسؤال والشفاعة
من الموحيدين أهل القبلة
فيمتعون في الجنان
كما أتى ذلك في الأنباء
ماذا يردون من الآثار
يعطلون شرعة الاسلام
كم أحدثوا من بدعة في الدين
وحرفوا من محكم التزويل
وزخرفوا من كذب وزور
عن النبي وعن الكرام
قد أنكروا سخفا نزول عيسى
وأنكروا الدجال والاشراطا
فالحمد لله الذي هدانا
فهذه عقود أهل السنة

◀ موقفه من القدرية:

له فصل جيد في 'الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات

وأصول الديانات' تحدث فيه عن القدر على مذهب أهل السنة فقال: ومن قولهم: إن الأقدار كلها خيرها وشرها، حلوها ومرها: قد علمها تبارك وتعالى وقدرها، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا. وكذا جميع الأعمال قد علمها وكونها وأحصاها وكتبها في اللوح المحفوظ، فكلها بقضائه جارية وعلى من سعد أو شقي في بطن أمه ماضية، لا محيص لخالقه عن إرادته، ولا عمل من خير ولا شر إلا مشيئته.

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾¹. ومشيئته تبارك وتعالى، ومحبته، ورضاه، ورحمته وغضبه، وسخطه، وولايته، وعداوته هو أجمع راجع إلى إرادته.

والإرادة صفة لذاته غير مخلوقة، وهو يريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه، مما ينفرد سبحانه بالقدرة على إيجادها.

وما يجعله منه كسبا لعباده من خير وشر، ونفع وضر، وهوى وضلال، وطاعة، وعصيان، ولا يكون حادث إلا بإرادته، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته. وما شاء كونه كان. وما لم يشأ لم يكن. يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا مضل لمن هداه، ولا هادي لمن أضله، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا

مُرْشِدًا﴾²، وقال: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ

1 يس الآية (12).

2 الكهف الآية (17).

فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ¹ . وقال: «إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ² وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٧٧﴾»²، وقال: «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»³، وقال: «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ⁴ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»⁴ وقال: «مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ تَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»⁵ وقال: «سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»⁶ عن الإيمان بما بالخذلان المانع منه.

وقال مخبرا عن موسى عليه السلام: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ تَشَاءُ»⁷، وقال: «فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا»⁸، وقال: «وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا»⁹ الآية، وقال: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

1 الزمر الآياتان (36 و37).

2 النحل الآية (37).

3 المدثر الآية (31).

4 إبراهيم الآية (27).

5 الأنعام الآية (39).

6 الأعراف الآية (146).

7 الأعراف الآية (155).

8 الفتح الآية (11).

9 المائدة الآية (41).

يَهْدِيهِ يُشْرِحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ¹ الآية. وقال مخبرا عن نوح عليه السلام:

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾² أي: يضلكم. وقال: ﴿إِنْ

يُرِدْنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ فِي آي كَثِيرَةٍ. فهو جل جلاله موفق أهل محبته وولايته

لطاغته، وخاذل أهل معصيته، وذلك كله عدل من تدبيره وكلمته.

وكذا ما يتليلهم به ويقضيه عليهم من خير وشر، ونفع وضر، وغنى

وفقر، وألم ولذة، وسقم وصحة، وضلال وهداية، هو عدل منه في جميعهم:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾³ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾⁴ فَلَوْ شَاءَ

لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ⁴ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ

جَمِيعًا﴾⁵ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾⁶ وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا

لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾⁷ الآية.

وقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ الْسَّلَامِ﴾⁸ الآية. فجعل تبارك وتعالى

1 الأنعام الآية (125).

2 هود الآية (34).

3 الأنبياء الآية (23).

4 الأنعام الآية (149).

5 يونس الآية (99).

6 الأنعام الآية (35).

7 السجدة الآية (13).

8 يونس الآية (25).

الدعاء عموماً، والهداية خصوصاً. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾¹
 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾¹ أي: للحال اليسرى، وهي
 العمل بالطاعة. ﴿وَأَمَّا مَنْ نَحَلَ وَاسْتَعْنَى﴾² وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿فَسَنِّيئِرُهُ
 لِلْعُسْرَى﴾² أي: للحال العسرى، وهي العمل بالمعصية. وقال
 ﷺ: «كل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل
 السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم تلا الآيتين.³
 فالمؤمنون بالتوفيق آثروا الإيمان، وأقدرهم الله عزوجل عليه، وعلى ترك
 الكفر. والكافرون بالخذلان آثروا الكفر وأقدرهم الله تعالى عليه وعلى ترك
 الإيمان. ومعنى قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى
 الْهُدَى﴾⁴ إن قوماً من ثمود آمنوا ثم ارتدوا فاستحبوا العمى على الهدى،
 أي: اختاروا الكفر على الإيمان.

ومعنى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁵ الخصوص

يريد بعضهم وهم الذين علم أنهم يعبدونه، لأنه قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ

1 الليل الآيات (5-7).

2 الليل الآيات (8-10).

3 سيأتي تخريجه في مواقف عبدالرحمن بن ناصر السعدي سنة (1376هـ).

4 فصلت الآية (17).

5 الذاريات الآية (56).

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ¹ ومن ذراه لجنهم لم يخلقه لعبادته.

وقال مجاهد: معنى «لِيَعْبُدُونَ» ليعرفون. أي: ليعرفوا أن لهم خالقاً ورازقاً، وقوله عز وجل: «وَإِن تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ²» الحسنه هاهنا: الخصب والغنيمه، والسيئه: الجذب والنكبه، لأنهم كانوا يتشاءمون بالأنبياء عليهم السلام كما أخبر بذلك في قوله: «فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ يِعْنِي الرِّخَاءَ وَالْعَافِيَةَ» «قَالُوا لَنَا هَذِهِ» أي: بحق أصابتنا «وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ» يعني بلاء وشدة «يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ» فقال الله تعالى رادا عليهم متعجبا من قولهم: «قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ» فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا³ «مَا أَصَابَكَ» أي: يقولون: ما أصابك «مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ⁴، وإضمار القول في القرآن والكلام كثير. قال الله تعالى: «وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّنْ

1 الأعراف الآية (179).

2 النساء الآية (78).

3 الأعراف الآية (131).

4 النساء الآية (79).

كُلِّ بَابٍ ﴿٢٢﴾ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ¹ أي: يقولون: سلام عليكم. ومثله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾² أي: يقولون: ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ اَيْدِيَهُمْ اَخْرِجُوٓا۟ اَنْفُسَكُمْ﴾³ أي: يقولون: أخرجوا. ومثله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾⁴ أي: يقولون: ما نعبدهم، فكذلك ما تقدم سواء.⁵

عبيدالله أبو نصر السَّجْزِي⁶ (444 هـ)

الإمام العالم، شيخ السنة، أبو نصر، عبيدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري، نزيل مصر. سمع من أبي عبدالله الحاكم وأبي أحمد الفرضي وطبقتهما. وحدث عنه أبو إسحاق الحبال وسهل بن بشر الإسفراييني وخلق. كان متقنا مكثرا بصيرا بالحديث والسنة، واسع الرحلة. قال محمد بن طاهر: سألت الحافظ أبا إسحاق الحبال عن أبي نصر السجزي، وأبي عبدالله

1 الرعد الآيتان (22 و23).

2 آل عمران الآية (191).

3 الأنعام الآية (93).

4 الزمر الآية (3).

5 الرسالة الوافية (ص. 63-68).

6 السير (17/654-657) وتذكرة الحفاظ (3/1118-1120) والعقد الثمين (5/307-308) وشذرات الذهب

(3/271-272).

الصوري، أيهما أحفظ؟ فقال: كان السجزي أحفظ من خمسين مثل الصوري. صنف 'الإبانة الكبرى' في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الأثر. توفي أبو نصر بمكة، في المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

له من الآثار السلفية:

1- 'الإبانة في مسألة القرآن'، ذكره شيخ الإسلام في كثير من كتبه ونقل منه.

2- 'الرد على من أنكر الحرف والصوت'، حقق رسالة علمية في مرحلة الماجستير قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بتحقيق الأخ الفاضل محمد باكريم الزهراني.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: وقال السجزي في 'الإبانة' وأتمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن المبارك، والفضيل، وأحمد وإسحاق: متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه يتزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب، ويرضى ويتكلم بما شاء. فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء، وهم منه براء.¹

- وقال شيخ الإسلام أيضاً في الدرء: وقال الحافظ أبو نصر السجزي في رسالته المعروفة إلى أهل زبيد في الواجب من القول في

القرآن: اعلّموا - أرشدنا الله وإياكم - أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم، بل أحسن حالا منهم في الباطن، من أن الكلام لا يكون إلا حرفا وصوتا ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت به اللغات، وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات وقالوا: الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة، وقالت - يعني علماء العربية -: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم مثل زيد وعمرو، والفعل مثل جاء وذهب، والحرف الذي يجيء لمعنى مثل هل وبل وقد، وما شاكل ذلك، فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفا وصوتا، فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه، وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يجربون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه، ولا يجتجئون بالأخبار الواردة في ذلك زعما منهم أنها أخبار آحاد وهي لا توجب علما، وألزمتهم المعتزلة الاتفاق على أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت، ويدخله التعاقب والتأليف، وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون، ولا بد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعض، وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله تعالى، لأن ذات الحق لا توصف بالاجتماع والافتراق، والكل والبعض، والحركة والسكون، وحكم الصفة الذاتية حكم الذات. قالوا: فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف إلى الله تعالى خلق له، أحدثه وأضافه إلى نفسه، كما نقول: (خلق الله، وعبد الله، وفعل الله). قال: فضايق بابن كلاب وأضرابه النفس عند هذا

الإلزام، لقلّة معرفتهم بالسنن، وتركهم قبولها، وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل. فالتزموا ما قالته المعتزلة وركبوا مكابرة العيان وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة: المسلم والكافر، وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام، وإنما سمي ذلك كلاماً على المجاز لكونه حكاية أو عبارة عنه، وحقيقة الكلام معنى قائم بذات المتكلم، فمنهم من اقتصر على هذا القدر، ومنهم من احترز عما علم دخوله على هذا الحد، فزاد فيه "تنافي السكوت والخرس والآفات المانعة فيه من الكلام" ثم خرجوا من هذا إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلام الله تجسيم، وإثبات اللغة فيه تشبيه، وتعلقوا بشبهه، منها قول الأخطل:

إن البيان من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
فغيروه، وقالوا: "إن الكلام من الفؤاد" وزعموا أن لهم حجة على
مقاتلهم في قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا
نَقُولُ﴾¹ وفي قول الله عز وجل: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا
لَهُمْ﴾².

واحتجوا بقول العرب: "أرى في نفسك كلاماً، وفي وجهك كلاماً"
فألجأهم الضيق مما دخل عليهم في مقاتلهم إلى أن قالوا: الأخرس متكلم،
وكذلك الساكت والنائم، ولهم في حال الخرس والسكوت والنوم كلام هم

1 المجادلة الآية (8).

2 يوسف الآية (77).

متكلمون به، ثم أفصحوا بأن الخرس والسكوت والآفات المانعة من النطق ليست بأضداد الكلام.

وهذه مقالة تبين فضيحة قائلها في ظاهرها من غير رد عليه، ومن علم منه خرق إجماع الكافة ومخالفة كل عقلي وسمعي قبله لم يناظر، بل يجانب ويُقمع.¹

- وفيه أيضا: قال أبو نصر: خاطبني بعض الأشعرية يوما في هذا الفصل، وقال: التجزؤ على القدم غير جائز، فقلت له: أتقر بأن الله أسمع موسى كلامه على الحقيقة بلا ترجمان؟ فقال: نعم - وهم يطلقون ذلك، ويموهون على من لم يخبر مذهبهم - وحقيقة سماع كلام الله من ذاته، على أصل الأشعري، محال، لأن سماع الخلق - على ما جبلوا عليه من البنية، وأجروا عليه من العادة - لا يكون ألبتة إلا لما هو صوت أو في معنى الصوت، وإذا لم يكن كذلك كان الواصل إلى معرفته بضرب من العلم والفهم، وهما يقومان في وقت مقام السماع، لحصول العلم بهما كما يحصل بالسماع، وربما سمي ذلك سماعا على التجوز لقربه من معناه، فأما حقيقة السماع لما يخالف الصوت فلا يتأتى للخلق في العرف الجاري. قال: فقلت لمخاطبي الأشعري: قد علمنا جميعا أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال، وليس ههنا من تتقيه وتخشى تشنيعه، وإنما مذهبك أن الله يفهم من شاء كلامه بلطفة منه، حتى يصير عالما متيقنا بأن الذي فهمه كلام الله، والذي أريد أن ألزمك وارد على الفهم وروده على السماع، فدع التمويه،

ودع المصانعة. ما تقول في موسى عليه السلام حيث كلمه الله. أفهم كلام الله مطلقا أم مقيدا؟ فتلكأ قليلا، ثم قال: ما تريد بهذا؟ فقلت: دع إرادتي وأجب بما عندك، فأبى وقال: ما تريد بهذا؟ فقلت: أريد أنك إن قلت: إنه عليه السلام فهم كلام الله مطلقا اقتضى أن لا يكون لله كلام من الأزل إلى الأبد إلا وقد فهمه موسى، وهذا يؤول إلى الكفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾¹ ولو جاز ذلك لصار من فهم كلام الله علما بالغيب وبما في نفس الله تعالى، وقد نفى الله تعالى ذلك بما أخبر به عن عيسى عليه السلام أنه يقول: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾² وإذا لم يجز إطلاقه، وألجئت إلى أن تقول: "أفهمه الله ما شاء من كلامه" دخلت في التبعض الذي هربت منه، وكفرت من قال به، ويكون مخالفك أسعد منك، لأنه قال بما اقتضاه النص الوارد من قبل الله عز وجل ومن قبل رسول الله ﷺ وأنت أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب، المصير إلى حكم العقل في هذا الباب، وقد ردك العقل إلى موافقة النص خاسئا. فقال: هذا يحتاج إلى تأمل، وقطع الكلام.³

1 البقرة الآية (255).

2 المائدة الآية (116).

3 درة التعارض (92/2-90).

الحسن الأهوازي¹ (446 هـ)

الشيخ أبو علي، الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز،
مقريء الشام، ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مئة.

سكن دمشق، وقرأ القرآن بروايات كثيرة، وصنف كتباً في القراءات.
قال الكتاني: كان حسن التصنيف في القراءات مكثراً من الحديث وفي
إسناده القراءات غرائب، كان يذكر أنه أخذها رواية وتلاوة، وإن شيوخها
أخذوها كذلك وقال: انتهت إليه الرياسة في القراءات ما رأيت منه إلا خيراً.
قال ابن الجزري: وانتصب للكلام في الإمام أبي الحسن الأشعري
فبالغ الأشعرية في الخط عليه مع أنه إمام جليل القدر، أستاذ في الفن، ولكنه
لا يخلو من أغاليط وسهو وكثرة الشره أوقع الناس في الكلام فيه، ولكنه
ذكر الحافظ أبو طاهر السلفي في معجمه قال: سمعت أبا البركات الخديري بن
الحسن الحازمي صاحبنا بدمشق يقول: سمعت الشريف النسب علي بن
إبراهيم العلوي يقول: أبو علي الأهوازي ثقة ثقة.

وقال الحافظ أبو عبدالله الذهبي: ولقد تلقى الناس رواياته بالقبول،
وكان يقرئ بدمشق من بعد سنة أربعمئة وذلك في حياة بعض شيوخه.

توفي أبو علي في رابع ذي الحجة سنة ست وأربعين وأربعمئة.

◀ موقفه من الجهمية:

- هذا الرجل اشتهر بحملته على الأشعري والأشعرية، وألف تأليفاً في

1 السير (13/18) وميزان الاعتدال (512/1-513) ولسان الميزان (237/2-240) وشذرات الذهب (274/3).

غاية النهاية (220/1-222).

ثلبه وله كتاب في الصفات قال الذهبي عنه: لو لم يجمعه لكان خيرا له.¹
 - وله شرح البيان في عقود أهل الإيمان - قال ابن عساكر أودعه
 أحاديث منكرة.²

✓ التعليق:

أخاف أن يكون التحامل على الحسن الأهوازي من قبل الأشاعرة لأنه
 كما قدمنا كان كثير الحط على الأشعري. فيدخل عليه في كتبه ما ليس منها
 وينسب إليه، كما فعل ابن الجويني لما ذكر كتاب الآجري وصفه بأوصاف
 لا علاقة لها بالكتاب ولا وجود لها.

حكم بن محمد بن حكم بن إفرانك³ (447 هـ)

حكم بن محمد بن حكم بن إفرانك، أبو العاص الجذامي القرطبي.
 حدث عن أبي بكر بن المهندس، وإبراهيم بن علي التمار، وعبد المنعم بن
 غلبون. وروى عنه أبو زوان الطنبي، وأبو علي الغساني. قال عنه الغساني:
 كان رجلا صالحا ثقة مسندا، صلبا في السنة، مشددا على أهل البدع، عفيفا
 ورعا. توفي رحمه الله في ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

جاء في السير: قال الغساني: كان رجلا صالحا، ثقة مسندا، صلبا في

1 الميزان (512/1).

2 تاريخ دمشق (145/13).

3 السير (660-659/17) وشذرات الذهب (287/3).

السنة، مشددا على أهل البدع.¹

موقف السلف من

القادسي الرافضي (447 هـ)

بيان رفضه:

قال أبو بكر الخطيب: حضرته يوم الجمعة بعد الإملاء، وطالته بأن يريني أصوله، فدفع إلي عن ابن شاذان وغيره أصولا كان سماعه فيها صحيحا، ولم يدفع إلي عن ابن مالك شيئا، فقلت له: أربي أصلك عن ابن مالك. فقال: أنا لا يشك في سماعي من ابن مالك، أسمعني منه خالي هبة الله ابن سلامة المفسر 'المسند' كله. فقلت له: لا تروين هاهنا شيئا إلا بعد أن تحضر أصولك وتوقف عليها أصحاب الحديث، فانقطع عن حضور الجامع بعد هذا القول، ومضى إلى مسجد برائنا فأملى فيه، وكانت الرفضة تجتمع هناك، وقال لهم: قد منعي النواصب أن أروي في جامع المنصور فضائل أهل البيت. ثم جلس في مسجد الشرقية واجتمعت إليه الرفضة ولهم إذ ذاك قوة، وكلمتهم ظاهرة، فأملى عليهم العجائب من الأحاديث الموضوعة في الطعن على السلف.²

1 السير (660/17).

2 تاريخ بغداد (17/8) وانظر السير (12-11/18).

أبو عثمان الصابوني¹ (449 هـ)

شيخ الإسلام، إسماعيل بن عبدالرحمن النيسابوري الواعظ، المفسر، المصنف، أحد الأعلام. ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة. حدث عن أبي طاهر بن خزيمة، والحاكم أبي عبدالله الحافظ وأبي علي السرخسي وأبي عبدالرحمن السلمى، وخلق سواهم. وروى عنه عبدالعزيز الكتاني والبيهقي، وأبو القاسم بن أبي العلاء وغيرهم. قدم دمشق حاجا سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وحدث بها وذكر. قال أبو بكر البيهقي: أخبرنا إمام المسلمين حقا وشيخ الإسلام صدقا أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني بحكاية ذكرها. وقال عبدالغافر الفارسي: رزق العز والجاه في الدين والدنيا، وكان جمالا للبلد، زينا للمحافل والمجالس، مقبولا عند الموافق والمخالف، مجمعا على أنه عديم النظر، وسيف السنة، ودامغ أهل البدعة. وقال أيضا: قرأت في كتاب كتبه زين الإسلام من طوس في التعزية لشيخ الإسلام: أليس لم يجسر مفتر أن يكذب على رسول الله ﷺ في وقته؟ أليست السنة كانت بمكانه منصوره، والبدعة لفرط حشمته مقهورة؟ أليس كان داعيا إلى الله، هاديا عباد الله، شابا لا صبوة له، كهلا لا كبوة له، شيخا لا هفوة له؟ يا أصحاب المحابر، وطئوا رحالكم، قد غيب من كان عليه إمامكم، ويا أرباب المنابر، أعظم الله أجوركم، فقد مضى سيدكم وإمامكم. وقال الكتاني: ما رأيت

1 شذرات الذهب (282/3-283) والسير (40/18-44) والأنساب (506/3) والكامل في التاريخ (638/9) والروافى بالوفيات (143/9-144) والبداية والنهاية (81/12-82) وطبقات الشافعية للسبكي (117/3) وغاية النهاية (220/1-221).

شيخنا في معنى أبي عثمان زهدا وعلما، كان يحفظ من كل فن لا يقعد به شيء، وكان يحفظ التفسير من كتب كثيرة، وكان من حفاظ الحديث. توفي رحمه الله سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المتدعة:

آثاره السلفية: مصنف 'عقيدة السلف وأصحاب الحديث'.
"ما رآه منصف إلا اعترف له" قاله في السير¹ وقد طبع منفردا ومع الرسائل المنيرية. وقد ذكره شيخ الإسلام في كتبه. انظر الدرء.²
ومما جاء فيه مما يبين نصره للسنة وأهلها:

- قال رحمه الله عن السلف وأصحاب الحديث: ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدل في الله والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويقتدون بالنبي ﷺ، وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان رسول الله ﷺ يقوله فيهم³، ويقتدون بالسلف الصالحين، من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين، من الدين المتين والحق المبين. ويغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم،

1 (43/18).

2 (26/2).

3 أخرجه ابن عبد البر في جامعهم (2/925/1760) وابن حزم في الأحكام (6/82) من طريق سلام بن سليم قال: حدثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعا به، وقال ابن عبد البر: "هذا اسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غصين مجهول". وقال ابن حبان: "سلام بن سليم يروي الموضوعات كأنه المتعمد لها". وقل ابن حزم: "يروي الموضوعات، وهذا منها بلا شك" وروي نحوه عن ابن عباس وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله انظرها في الضعيفة (1/رقم 58-61).

ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها من الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾¹.

وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة. اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها معزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم، من نتائج عقولهم الفاسدة، ووسوس صدورهم المظلمة، وهو اجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة، وحججهم بل شبههم الداخضة الباطلة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾²، ﴿وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ³ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾⁴.

- وقال أيضاً: وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى

¹ الأنعام الآية (68).

² محمد الآية (23).

³ الحج الآية (18).

⁴ عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص. 298-299).

النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار.

وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونورها بحب علماء السنة،

فضلا منه جل جلاله ومنة.

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ، أسكنه الله وإيانا الجنة، ثنا محمد بن

إبراهيم بن الفضل المزكي، ثنا أحمد بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن

سعيد كتاب 'الإيمان' له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان

الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص،

وشريكا، ووكيعا، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي، فاعلم أنه

صاحب سنة. قال أحمد بن سلمة رحمه الله: فألحقت بخطي تحته: ويحيى بن

يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، فلما انتهى إلى هذا الموضع نظر

إلينا أهل نيسابور وقال: هؤلاء القوم يتعصبون ليحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا

رجاء ما يحيى بن يحيى؟ قال: رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم

إمام، وأحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلهم.

وأنا ألحقت هؤلاء الذين ذكرهم قتيبة رحمه الله، أن من أحبهم فهو

صاحب سنة، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون،

ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يعدون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون،

جماعة آخرين: منهم: محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، الإمام المقدم، والسيد

المعظم، العظيم المنة على أهل الإسلام والسنة، الموفق الملحق الملهم المسدد،

الذي عمل في دين الله وسنة رسوله ﷺ - من النصر لهما والذب عنهما - ما

لم يعمله أحد من علماء عصره، ومن بعدهم.

ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي رحمه الله: كسعيد بن جبير،
والزهري، والشعي،... والتميمي.

ومن بعدهم: كالليث بن سعد، والأوزاعي، والثوري، وسفيان بن
عيينة الهلالي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وأيوب،
وابن عون، ونظرأئهم.

ومن بعدهم: مثل يزيد بن هارون، وعبدالرزاق، وجريير بن عبد الحميد.
ومن بعدهم: مثل محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري،
ومسلم بن الحجاج القشيري، وأبي داود السجستاني، وأبي زرعة الرازي،
وأبي حاتم، وابنه، ومحمد بن مسلم بن وارة، ومحمد بن أسلم الطوسي،
وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة - الذي كان يدعى
إمام الأئمة، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته -، وأبي يعقوب
إسحاق بن إسماعيل البستي وجدِّي من قَبْلِ أَبِي: أبي سعيد يحيى بن منصور
الزاهد الهروي، وعدي بن حمدويه الصابوني، وولديه سيفي السنة أبي عبدالله
الصابوني، وأبي عبدالرحمن الصابوني. وغيرهم من أئمة السنة، الذين كانوا
متمسكين بها، ناصرين لها، داعين إليها، دالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف
فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل
البدع، وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن
مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بمحابتهم ومهاجرتهم.

وأنا - بفضل الله عز وجل - متبع لآثارهم، مستضيء بأنوارهم، ناصح

إخواني وأصحابي ألا يزيغوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع، التي اشتهرت فيما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه، وبدعوه، ولكذبوه، وأصابوه بكل سوء ومكروه.

ولا يعرّن إخواني - حفظهم الله - كثرة أهل البدع، ووفور عددهم، فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل»¹ والعلم هو السنة والجهل هو البدعة.

ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله ﷺ وعمل بما واستقام عليها، ودعا بالسنة إليها، كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة، في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «له أجر خمسين» ف قيل: خمسين منهم؟ قال: «بل منكم»². وإنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته. اهـ³

ومن أقواله رحمه الله: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكير في نفسه.⁴

◀ موقفه من الرافضة:

- جاء في عقيدة السلف له أنه قال: ويشهدون ويعتقدون أن أفضل

1 أحمد (214-213/3) والبخاري (80/235/1) ومسلم (2671/2056/4) والترمذي (2205/426/4) وابن ماجه (4045/1343/2) من حديث أنس.

2 تقدم تخريجه ضمن مواقف علي بن المدين سنة (234هـ).

3 عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص. 307-318).

4 الاقتضاء (612/2).

أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون، الذين ذكر رسول الله ﷺ خلافتهم بقوله - فيما رواه سعيد بن جهمان عن سفينة -: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»¹ وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض، على ما أحر عنه الرسول ﷺ.

ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول الله ﷺ لدينا فرضينا، يعني أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه - وهي الدين - فرضينا خليفة للرسول ﷺ علينا في أمور دنيانا. وقولهم: قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يؤحرك وأرادوا أنه ﷺ قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤحرك بعد تقديمه إياك؟.

وكان رسول الله ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته، بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه والله، وارتفعوا به وارتفقوا، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله، ولما قيل له: مه يا أبا هريرة، قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به.

ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه - بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه - وعده.

1 تقدم ترجمته ضمن مواقف سفينة أبي عبد الرحمن (توفي بعد 70هـ).

ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به، حتى جعل الأمر إليه.

ثم خلافة علي رضي الله عنه، ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنهم أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه.

فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين، الذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضيائهم ونورهم وبهائم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُبَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾¹ الآية، وفي قوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾².

فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم، ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض، والخوارج، لعنهم الله، فقد هلك في الهالكين. قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي،

1 النور الآية (55).

2 الفتح الآية (29).

فمن سبهم فعليه لعنة الله»¹.

وقال: «من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم،

ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله»^{2 3}.

- وفيها عنه أيضا قال: ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول

الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم، ونقضا فيهم.

ويرون الترحم على جميعهم، والموالة لكافتهم. وكذلك يرون تعظيم

قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن

أمهات المؤمنين.⁴

◀ موقفه من الجهمية:

قال رحمه الله: أصحاب الحديث - حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم

أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة،

ويعرفون ربه عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتزيله، أو شهد له بها

رسوله ﷺ، على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه،

1 ابن عدي في الكامل (377/1) بلفظ: "إن الناس يكثرُونَ وأصحابي يقولون فلا تسبوهم فمن سبهم فلعنه الله".

وفي إسناده أبو الربيع السمان أشعث بن سعيد. قال في التقريب "متروك". وأخرجه الخطيب في التاريخ (149/3)

ينحوه. وفي إسناده محمد بن الفضل بن عطية. كذبوه كما في التقريب. قال ابن عدي: "ولا أعلم من روى هذا

الحديث عن عمرو بن دينار، غير أبي الربيع السمان، ومحمد بن الفضل بن عطية، عن عمرو".

2 أحمد (58/54/5)، الترمذي (3862/653/5) وقال: "هذا حديث غريب". وابن حبان (7256/244/16).

قال المناوي في فيض القدير (98/2): "فيه عبدالرحمن بن زياد"، قال الذهبي: "لا يعرف". وفي الميزان: "في الحديث

اضطراب". وانظر الضعيفة (2901).

3 عقيدة السلف (289-294).

4 عقيدة السلف (294).

ويثبتون له جل جلاله ما أثبتته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، فيقولون إنه خلق آدم بيديه، كما نص سبحانه عليه في قوله -عز من قائل-: ﴿قَالَ يَتْلِيَ لَيْسُ مَا مَتَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ¹﴾ ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، بحمل اليدين على نعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة، الجهمية -أهلكهم الله- ولا يكيفوهما، بكيف، أو شبهها -بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة -خذلهم الله-.

وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف، والتشبيه، والتكيف، ومن عليهم بالتعريف والتفهم، حتى سلكوا سبيل التوحيد والترية، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ²﴾.

وكما ورد القرآن بذكر اليدين بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ³﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ⁴﴾، ووردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذكر اليد، كخبر محاجة موسى وآدم، وقوله له:

1 ص الآية (75).

2 الشورى الآية (11).

3 ص الآية (75).

4 المائدة الآية (64).

«خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته»¹، ومثل قوله ﷺ: «لا أجعل صالح ذرية من خلقتة بيدي كمن قلت له: كن فكان»²، وقوله ﷺ: «خلق الله الفردوس بيده»³...

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر والعين، والوجه، والعلم، والقوة والقدرة، والعزة والعظمة، والإرادة والمشية، والقول والكلام، والرضى والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات الربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، بتأويل منكر يستنكر، ويجرون على

1 تقدم تحريجه. انظر مواقف أمير المؤمنين هارون الرشيد سنة (193هـ).

2 رواه الطبراني في الأوسط (6169/100-99/7) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وفيه طلحة بن زيد، قال الهيثمي في الجمع (82/1): "كذاب". ورواه في الكبير كما في تفسير ابن كثير (51/3) والجمع (82/1). وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي. قال الهيثمي: "كذاب متروك". ورواه عثمان بن سعيد في النقض على المريسي (256/1-257). وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف. ورواه ابن عساکر (139/52) من حديث أنس في ترجمة محمد بن أيوب بن الحسن أبي بكر ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. ورواه من حديث الأنصاري البيهقي في الأسماء والصفات (688/122-121/2) وعبدالله بن أحمد في السنة (1065/469/2) والأنصاري لا يدرى هل هو صحابي أم تابعي.

وبالجملة فأسانيد الحديث كلها واهية خلا إسناد عبدالله بن أحمد. والحديث ضعفه شارح الطحاوية سندا ومتنا (ص. 306).

3 رواه أبو نعيم في صفة الجنة رقم (23) والدارقطني في الصفات رقم (28) وأبو الشيخ في العظمة (1017/1555/5) والبيهقي في الأسماء والصفات (692/125/2) من حديث عبدالله بن الحارث بلفظ: «غرس الفردوس بيده». قال البيهقي: "هذا مرسل".

الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹.

ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله، وكتابه، ووحيه، وتزييله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم. والقرآن -الذي هو كلام الله ووحيه- هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٦٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٦٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿٦٩﴾﴾².

وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته، كما أمر به في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَكَ الرَّسُولُ بِبَلَّغٍ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾³، فكان الذي بلغهم -بأمر الله تعالى- كلامه عز وجل، وفيه قال ﷺ: «أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي»⁴. وهو الذي تحفظه الصدور، وتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تلسي وفي

1 آل عمران الآية (7).

2 الشعراء الآيات (192-195).

3 المائدة الآية (67).

4 سيأتي تحريجه. انظر مواقف يحيى بن سالم العمراني سنة (558هـ).

أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم، وغيرها، كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.¹

- وقال: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه فوق سبع سمواته، على عرشه مستو، كما نطق به كتابه، في قوله عز وجل في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾². وقوله في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾³. وقوله في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾⁴. وقوله في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾⁵. وقوله في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾⁶. وقوله في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

1 عقيدة السلف (160-166).

2 الأعراف الآية (54).

3 يونس الآية (3).

4 الرعد الآية (2).

5 الفرقان الآية (59).

6 السجدة الآية (4).

أَسْتَوَىٰ ﴿٥﴾¹.

وأخبر الله سبحانه عن فرعون اللعين أنه قال لهامان: ﴿أَبْنِ لِي صَرْحًا

لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي

لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾². وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى عليه السلام يذكر أن

ربه في السماء، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ يعني في قوله:

إن في السماء إلهًا، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم

يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته.

يثبتون من ذلك ما أثبتته الله تعالى، ويؤمنون به، ويصدقون الرب جل

جلاله في خيره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى، من استوائه على عرشه،

ويعبرونه على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ

عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾³، كما أخبر الله تعالى عن

الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضي منهم فأثني عليهم به.⁴

- وقال أيضا: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى

كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بتزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا

1 طه الآية (5).

2 غافر الآيتان (36 و37).

3 آل عمران الآية (7).

4 عقيدة السلف (175-176).

تكيف، بل يثبتون ما أثبتته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخير الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله.

وكذلك يثبتون ما أنزله الله - عز اسمه - في كتابه، من ذكر المجيء، والإتيان، المذكورين في قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَأِكَةِ﴾¹، وقوله عز اسمه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾². اهـ³

- قال شيخ الإسلام: قلت: فلما صح خبر التزول عن الرسول ﷺ⁴ أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا التزول، على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيها له بتزول خلقه ولم يبحثوا عن كيفيته، إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا، واعتقدوا أن صفات الله سبحانه، لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة، والمعطلة، علوا كبيرا، ولعنهم لعنا كبيرا.⁵

- وقال: ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه، على ما ورد به الخبر الصحيح، عن رسول الله ﷺ

1 البقرة الآية (210).

2 الفجر الآية (22).

3 عقيدة السلف (191-192).

4 تقدم تخريجه ضمن مواقف حماد بن سلمة سنة (167هـ).

5 عقيدة السلف (ص.232).

في قوله: «إنكم ترون ربكم، كما ترون القمر ليلة البدر»¹.

← موقفه من الخوارج:

- جاء في عقيدة السلف له قال: ويعتقد أهل السنة: أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة، صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها. وإن خرج عن الدنيا، غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل: إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة، سالما غائما، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار. وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار.³

- وقال فيها أيضا: ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، برا كان، أو فاجرا. ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جوررة فجرة. ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح. ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف. ويرون قتال الفئة الباغية، حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل.⁴

1 تقدم ترجمته من حديث أبي هريرة ضمن مواقف عبدالعزيز الماجشون سنة (164هـ).

2 عقيدة السلف (ص. 263).

3 عقيدة السلف (276).

4 عقيدة السلف (294).

◀ موقفه من المرجئة:

- قال رحمه الله في كتابه عقيدة السلف: ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.¹

- وقال أيضا: فمن كانت طاعته وحسناته أكثر، فإنه أكمل إيمانا ممن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة.²

◀ موقفه من القدرية:

قال في عقيدته: ويشهد أهل السنة ويعتقدون: أن الخير والشر، والنفع والضر بقضاء الله وقدره. لا مرد لها ولا محيص ولا محيد عنها، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضره بما لم يقضه الله لم يقدروا. على ما ورد به خبر عبدالله بن عباس، عن النبي ﷺ³. قال الله عز وجل: ﴿وَأِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾⁴ الآية.

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد فيقال: يا خالق القردة والخنازير، والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا

1 عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص. 264).

2 عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص. 271).

3 أحمد (293/1) والترمذي (575/4-2516/576) من حديث ابن عباس، وقال: "حسن صحيح".

4 يونس الآية (107).

والرب خالقه وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح
«تباركت وتعاليت، والشر ليس إليك»¹.

ومعناه والله أعلم، والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى
يقال لك في المنادة: يا خالق الشر، ويا مقدر الشر، وإن كان الخالق والمقدر
لهما جميعاً. لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه. فقال
فيما أخبر الله عنه في قوله: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي
الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا»² ولما ذكر الخير والبر والرحمة، أضاف إرادتها إلى
الله عز وجل فقال: «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ»³. ولذلك قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال:
«وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي»⁴ فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى
ربه وإن كان الجميع منه.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله عز وجل يريد لجميع أعمال
العباد خيراً وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة
واحدة، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس. فكفر الكافرين، وإيمان

1 أخرجه من حديث علي: أحمد (103، 102/1) ومسلم (771/536-534/1) وأبو داود (760/482-481/1)
والترمذي (3422/454-453/5) والنسائي (467/2-468/896).

2 الكهف الآية (79).

3 الكهف الآية (82).

4 الشعراء الآية (80).

المؤمنين، بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه.

ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية.

قال الله عز وجل: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾¹.

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث: أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بم يحتتم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان.²

ابن بطال علي بن خلف³ (449 هـ)

العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلسي، ويعرف بابن اللحام، أصلهم من قرطبة وأخرجتهم الفتنة إلى بلنسية. أخذ عن أبي عمر الظلمنكي، وابن عفيف وأبي المطرف القنازعي، ويونس بن مغيث وغيرهم. روى عنه أبو داود المقرئ، وعبدالرحمن بن بشر وغيرهم. قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية

1 الزمر الآية (7).

2 عقيدة السلف (ص. 284-286).

3 ترتيب المدارك (365/2) والديباج المذهب (105/2-106) وتاريخ الإسلام (حوادث 441-450/ص. 233) والسير (47/18) وشذرات الذهب (283/3).

التامة شرح 'الصحيح' في عدة أسفار رواه الناس عنه، واستتضي بحصن لورقة. له كتاب في 'الزهد والرقائق'. كان رحمه الله من علماء المالكية الكبار. توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في الفتح نقلا من كتاب ابن بطال قال: ويؤخذ منه (يعني حديث عمر لما جعل الأمر بعده شورى) بطلان قول الرافضة وغيرهم أن النبي ﷺ نص على أن الإمامة في أشخاص بأعيانهم، إذ لو كان كذلك لما أطاعوا عمر في جعلها شورى، ولقال قائل منهم ما وجه التشاور في أمر كفيناه ببيكان الله لنا على لسان رسوله، ففي رضا الجميع بما أمرهم به دليل على أن الذي كان عندهم من العهد في الإمامة أوصاف من وجدت فيه استحقتها، وإدراكها يقع بالاجتهاد، وفيه أن الجماعة الموثوق بديانتهم إذا عقدوا عقد الخلافة لشخص بعد التشاور والاجتهاد لم يكن لغيرهم أن يحل ذلك العقد، إذ لو كان العقد لا يصح إلا باجتماع الجميع، لقال قائل لا معنى لتخصيص هؤلاء الستة، فلما لم يعترض منهم معترض بل رضوا وبايعوا، دل ذلك على صحة ما قلناه.¹

◀ موقفه من الجهمية:

- جاء في الفتح: قال ابن بطال اختلف الناس في الاستواء المذكور هنذا فقالت المعتزلة معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهوراق
وقالت الجسمية معناه الاستقرار، وقال بعض أهل السنة معناه ارتفع،
وبعضهم معناه علا، وبعضهم معناه الملك والقدرة ومنه استوت له الممالك،
يقال لمن أطاعه أهل البلاد، وقيل معنى الاستواء التمام والفراغ من فعل
الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾¹ فعلى هذا فمعنى
استوى على العرش أتم الخلق، وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء وقيل
أن "على" في قوله على العرش بمعنى: إلى، فالمراد على هذا انتهى إلى العرش
أي فيما يتعلق بالعرش لأنه خلق الخلق شيئاً بعد شيء، ثم قال ابن بطال: فأما
قول المعتزلة فإنه فاسد لأنه لم يزل قاهراً غالباً مستولياً، وقوله: ﴿ثُمَّ
اسْتَوَى﴾ يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، ولازم تأويلهم أنه كان
مغالبا فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه، وهذا منتف عن الله سبحانه، وأما
قول الجسمية ففاسد أيضا، لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه
الحلول والتناهي، وهو محال في حق الله تعالى، ولائق بالمخلوقات لقوله تعالى:
﴿إِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾² وقوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى
ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾³ قال: وأما تفسير
استوى: علا فهو صحيح وهو المذهب الحق، وقول أهل السنة لأن الله سبحانه

1 القصص الآية (14).

2 المؤمنون الآية (28).

3 الزخرف الآية (13).

وصف نفسه بالعلي، وقال: «سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»¹ وهي صفة من صفات الذات.²

- وفيه قال ابن بطال: ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة، وتمسكوا بأن الرؤية توجب كون المرئي محدثا وحالا في مكان، وأولوا قوله «نَاظِرَةٌ» بمنظرة وهو خطأ لأنه لا يتعدى إلى.³

- قال ابن بطال: غرضه الرد على المعتزلة في زعمهم أن أمر الله مخلوق، فتبين أن الأمر هو قوله تعالى للشيء كن فيكون بأمره له وأن أمره وقوله بمعنى واحد، وأنه يقول كن حقيقة، وأن الأمر غير الخلق لعطفه عليه بالواو.⁴

◀ موقفه من الخوارج:

قال ابن بطال في حديث ابن عباس مرفوعا: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلامات ميتة جاهلية»⁵: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته

1 الزمر الآية (67).

2 الفتح (13/405-406).

3 الفتح (13/426).

4 الفتح (13/444).

5 أحمد (1/275، 297، 310) والبخاري (13/6/7054) ومسلم (3/1477/1849).

خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحثهم هذا الخير وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها.¹

- وقال ابن بطلال في حديث أبي هريرة مرفوعا: «هلاك أمي على يدي غلطة من قريش...»²: وفي هذا الحديث أيضا حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار، لأنه ﷺ أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء وأسماء آبائهم ولم يأمرهم بالخروج عليهم مع إخباره أن هلاك الأمة على أيديهم لكون الخروج أشد في الهلاك وأقرب إلى الاستئصال من طاعتهم، فاختار أخف المفسدين وأيسر الأمرين.³

- وقال أيضا في حديث حذيفة «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير...»⁴: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم «دعاة على أبواب جهنم» ولم يقل فيهم «تعرف وتنكر» كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.⁵

1 الفتح (7/13).

2 أحمد (324/2) والبخاري (3605/760/6).

3 الفتح (11/13).

4 البخاري (3606/764-763/6) ومسلم (1475/3-1476/1477) وابن ماجه (3979/1317/2) من طريق

بسر بن عبيدالله الحضرمي قال: حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة ابن اليمان يقول: فذكره.

وأخرجه: أحمد (387-386/5) وأبو داود (4246/447/4) وابن حبان (الإحسان 298/13-299/5963) من

طرق عن سليمان بن المغيرة عن حميد عن نصر بن عاصم الليثي قال: أتينا اليشكري في رهط... فذكره.

5 الفتح (37/13).

◀ موقفه من المرجئة:

- قال رحمه الله: مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة، فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له.

فإن قيل: إن الإيمان في اللغة التصديق وبذلك نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾¹ أي: ما أنت بمصدق يعني: في إخبارهم عن أكل الذئب ليوسف فلا ينقص التصديق.

قال المهلب: فالجواب في ذلك أن التصديق وإن كان يسمى إيماناً في اللغة، فإن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان من كمال إيمانه، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص.

ألا ترى قول عمر بن عبدالعزيز أن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً، هذا توسط القول في الإيمان.

وأما التصديق بالله وبرسوله فلا ينقص؛ ولذلك توقف مالك في بعض الروايات عنه عن القول بالنقصان فيه، إذ لا يجوز نقصان التصديق؛ لأنه إن نقص صار شكاً، وانتقل عن اسم الإيمان.

1 يوسف الآية (17).

وقال بعض العلماء: إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب. وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة، ذكر أحمد بن خالد قال: حدثنا عبيد بن محمد بصنعاء قال: حدثنا مسلمة بن شبيب ومحمد بن يزيد قالوا: سمعت عبدالرزاق يقول: سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبدالله بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. ومن غير رواية عبدالرزاق وهو قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي.

وحكى الطبري: أنه قول الحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبدالله بن المبارك.

فإن قيل: قد تقدم من قولكم أن الإيمان في اللغة التصديق، وأنه لا ينقص، فكيف يكون الإيمان قولاً وعملاً؟

قيل: كذلك نقول: التصديق في نفسه لا ينقص إلا أنه لا يتم بغير عمل، إلا لرجل أسلم ثم مات في حين إسلامه قبل أن يدرك العمل فهذا معذور؛ لأنه لم يتوجه إليه فرض الأمر والنهي ولا لزمه. وأما من لزمه فرض الأمر والنهي فلا يتم تصديقه لقوله إلا بفعله.

قال الطبري: ألا ترى أن من وعد عدة ثم أنجز وعده وحقق بالفعل قوله، أنه يقال: صدق فلان قوله بفعله، فالتصديق يكون بالقلب وباللسان وبالحوارج، والمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو

إتيانه بهذه المعاني الثلاثة، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه أنه لا يستحق اسم مؤمن، ولو عرفه وعمل ووجد بلسانه وكذب ما عرف من توحيد ربه أنه غير مستحق اسم مؤمن، وكذلك لو أقر بالله وبرسله ولم يعمل الفرائض لا يسمى مؤمنا بالإطلاق، وإن كان في كلام العرب قد يجوز أن يسمى بالتصديق مؤمنا فغير مستحق ذلك في حكم الله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا¹، فأخبر تعالى أن المؤمن على الحقيقة من كانت هذه صفته، دون من قال ولم يعمل وضيع ما أمر به وفرط.²

- وقال أيضا: تفاضل المؤمنين في أعمالهم لا شك فيه، وأن الذي خرج من النار بما في قلبه من مقدار حبة من خردل من إيمان معلوم أنه كان ممن انتهك المحارم وارتكب الكبائر، ولم تف طاعته الله عند الموازنة بمعاصيه. ومن أطاع الله وقام بما وجب عليه وبرئ من مظالم العباد: فلا شك أن عمله أفضل من عمل الرجل المنتهك.

وقد مثل ذلك عليه السلام بالقمص التي كانت تبلغ الثدي، وبقميص

1 الأنفال الآيات (2-4).

2 شرح صحيح البخاري لابن بطال (1/56-58).

عمر الذي كان يجزه¹. ومعلوم أن عمل عمر في إيمانه أفضل من عمل من بلغ قميصه ثدييه.

فإيمانه أفضل من إيمانه بما زاد عليه من العمل. وتأويله عليه السلام ذلك بالدين يدل أن الإيمان الواقع على العمل يُسمى ديناً، كالإيمان الواقع على القول. وهذا يرد قول أهل البدع الذين يزعمون أن إيمان المذنبين كإيمان جبريل، وأنه لا تفاضل في الإيمان، وقولهم غلط لا يخفى؛ لأن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وسائر الخلق يملون ويفترون.

ككيف يبلغ أحد منهم منزلتهم في العمل. وفي كتاب الله حجة لتفاضل المؤمنين في الإيمان؛ وذلك أن إبراهيم سأل ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، فطلب المعاينة التي هي أعلى منازل العلم التي تسكن النفوس إليها، وتقع الطمأنينة بها، ولا يجوز أن نظن بإبراهيم خليل الله ونبيه أنه حين سأل المعاينة لم يكن مؤمناً، أو أنه اعترضه شك في إيمانه.

والدليل على صحة هذا قوله لربه حين قال له: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن^ط

قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي^ط﴾²، فأوجب لنفسه الإيمان قبل أن يعاين ما طلب معاينته، وعذره الله تعالى في طلب ذلك؛ لأن المعاينة أشفى ويهجم على النفوس منها ما لا يهجم من الخبر.

ألا ترى أن موسى حين كلمه ربه لم يشك أن الله هو المتكلم له،

1 أخرجه: أحمد (86/3) والبحاري (23/100/1) ومسلم (4/1859/2390) والترمذي (4/467-468/2268) والنسائي (8/467/5026) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

2 البقرة الآية (260).

ولكن طلب ما هو أرفع من ذلك وهي المعاينة، فقال: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»¹، فأعلمه ربه أنه لا يجوز أن تقع عليه حاسة البصر، وأنه لا تدركه الأبصار بما أراه الله من الآيات في الجبل الذي صار دكا بتجليه له تعالى. ومما يشبه هذا المعنى أن الله تعالى أخبر موسى عن بني إسرائيل بعبادة العجل، فلم يشك في صدق خبره، فلما رجع إلى قومه وعان حالهم حدث في نفسه من الإنكار والتغيير ما لم يحدث بالخبر، فألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه. وقد نبه عليه السلام على ذلك فقال: «ليس الخبر كالمعاينة»^{2 3}.

موقف السلف من

أبي العلاء المعري أحمد بن عبدالله بن سليمان (449 هـ)

بيان زندقته:

- قال عنه ابن عقيل: من العجائب أن المعري أظهر ما أظهر من الكفر البارد الذي لا يبلغ منه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصر فيه كل التقصير، وسقط من عيون الكل، ثم اعتذر بأن لقوله باطنا، وأنه مسلم في الباطن، فلا عقل له ولا دين...⁴

1 الأعراف الآية (143).

2 أخرجه: أحمد (1/215 و 271) والحاكم (2/321) وصححه ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان (14/96/6213) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

3 شرح البخاري لابن بطال (1/74-75).

4 المنتظم (16/23).

- قال ابن الجوزي: وقد رأيت للمعري كتابا سماه 'الفصول والغايات' يعارض به السور والآيات، وهو كلام في نهاية الركة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته.¹

- أشعاره عديدة، وأفكاره فيها ليست سديدة، فيها خبث وزندقة وإلحاد منها ما ذكره ابن كثير في البداية نقلا عن ابن الجوزي:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوننا وترزق أحمقا
فلا ذنب يارب السماء على امرئ رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا
وقوله:

ألا إن البرية في ضلال وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى وأوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحي أتاه وقال الناظرون بل افتراها
وما حجي إلى أحجار بيت كروس الحمر تشرف في ذراها
إذا رجع الحليم إلى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها
وقوله:

عفت الحنيفة والنصارى اهتدت ويهود جارت والجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر ذو دين ولا عقل له

وقوله:

فلا تحسب مقال الرسل حقا ولكن قول زور سطروره
فكان الناس في عيش رغيد فجاؤوا بالمحال فكدروه
وقلت أنا - أي ابن كثير - معارضة عليه:

فلا تحسب مقال الرسل زورا ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس في جهل عظيم فجاؤوا بالبيان فأوضحوه
وقوله:

إن الشرائع ألفت بيننا إحنا وأورثتنا أفانين العداوات
وهل أبيع نساء الروم عن عرض للعرب إلا بأحكام النبوات
وقوله:

وما حمدي لآدم أو بنيه وأشهد أن كلهم خسيس
وقوله:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكم مكررا من القدماء
وقوله:

صرف الزمان مفرق الالفين فاحكم إلهي بين ذاك وبيني
ونهيته عن قتل النفوس تعمدا وبعثت تقبضها مع الملكين
وزعمت أن لها معادا ثانيا ما كان أغناها عن الحاليين

وقوله:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
تحطمنا الأيام حتى كأننا
وحق لسكان البسيطة أن ييخوا
زجاج ولكن لا يعود له سبك

وقوله:

أمر تستخف بها حلوم
كتاب محمد وكتاب موسى
وما يدري الفتى لمن الثبور
وإنجيل ابن مريم والزبور

وقوله:

قالت معاشر لم يبعث إلهكم
وإنما جعلوا الرحمن مأكلة
إلى البرية عيساها ولا موسى
وصيروا دينهم في الناس ناموسا
وذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره، بل
كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره، وزندقته وانحلاله، ويقال إنه
أوصى أن يكتب على قبره:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد
معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار، حتى صار بسبب ذلك
إلى ما إليه صار، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية، وهذا كله كفر وإلحاد
قبحه الله.¹

أبو القاسم بن المسلمة¹ (450 هـ)

الوزير القائم بأمر الله، الصدر المعظم، أبو القاسم علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج بن المسلمة. استكتبه القائم ثم استوزره وكان عزيزاً عليه جداً. وكان من خيار الوزراء العادلين. ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة. وسمع من جده وابن أبي مسلم الفرضي، وإسماعيل الصرصري. حدث عنه الخطيب، وكان خصيصاً به، وقال: اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد قبله مع سداد مذهب ووفور عقل وأصالة رأي.

كان من علماء الكبراء ونبلائهم. وقد مكث في الوزارة اثني عشرة سنة وشهراً، ثم قتله البساسيري بعدما شهره وذلك سنة خمسين وأربعمائة. وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة أشهر.

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في البداية والنهاية: وأمر رئيس الرؤساء -أبو القاسم- الوالي بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.²

1 تاريخ بغداد (391/11-392) وتاريخ الإسلام (حوادث 441-450/ص.250-252) والسير (216/18-218)

والبداية والنهاية (86/12).

2 البداية والنهاية (73/12).

عبدالله بن ياسين¹ (451 هـ)

الفقيه أبو محمد، عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي، ذو الأنباء العظيمة، والقصص الغريبة، القائم بدعوة المرابطين وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، كان من طلبة العلم بالسوس "بدار المرابطين". قال القاضي عياض: ولقد ذكر أنه ضرب بالسوط أبا بكر بن عمر وهو إذ ذاك أمير المسلمين، لحق تعين عليه عنده، والكل له مطيع، وسيرته في أموره هناك وتقريراته معروفة، محفوظة، يتأثر عليها مشيخة المرابطين، ويحفظون في فتاويه وأجوبته ما لا يعدلون عنه. توفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. ودفن بموضع يعرف بكريفة.

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في الاستقصا: وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني، ثم سار حتى انتهى إلى بلاد السوس. فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم: البجلي نسبة إلى علي بن عبدالله البجلي الرافضي. كان سقط إلى بلاد السوس أيام قيام عبيدالله الشيعي بإفريقية فأشاع هنالك مذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه، فكانوا لا يرون الحق إلا ما في أيديهم فقاتلهم عبدالله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة، وقتلوا بها خلقا كثيرا،

1 الاستقصا (7/2-18) والأعلام للزركلي (4/144) وترتيب المدارك (2/333).

ورجع من بقي منهم إلى مذهب السنة والجماعة.¹

✓ التعليق:

وهكذا الرافضة مثل الذباب لا يتركون مكانا إلا دخلوه. فجزى الله هذا القائد خيرا إذ أبادهم وأراح المسلمين من شرهم.

ابن حزم² (456 هـ)

الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم اليزيدي القرطبي الظاهري صاحب التصانيف كان جدهم خلف أول من دخل إلى الأندلس في صحابة عبدالرحمن الداخل. ولد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. وسمع من أبي عمر بن الحسور، ويحيى بن مسعود بن وجه الجنة ويوسف بن عبدالله القاضي وابن عبدالبر وغيرهم. وروى عنه أبو عبدالله الحميدي فأكثر وابنه أبو رافع الفضل وطائفة.

كان شافعيًا ثم انتقل إلى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية، وكان صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهّد وتحرر للصدق. وزر للمستظهر بالله ثم نبذ الوزارة وأقبل على العلم. له عدة مصنفات منها: 'الإيصال إلى فهم كتاب الخصال' و'الأحكام' و'المحلى' و'الفصل' وعدة.

1 الاستقصا (14/2).

2 وفيات الأعيان (3/325-330) وتاريخ الإسلام (حوادث 451-460/ص. 403-417) والسير (18/184-212) وتذكرة الحفاظ (3/1146-1155) والبداية والنهاية (98/12) وشذرات الذهب (3/299-300).

وقال صاحب بن أحمد: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة. ومع هذا، فقد أخطأ رحمه الله في غير ما مسألة في العقيدة حتى قال ابن عبد الهادي: ولكن تبين لي منه أنه جهمي جلد، لا يثبت معاني أسماء الله الحسنى إلا القليل، كخالق والحق، وسائر الأسماء عنده لا يدل على معنى أصلاً كالرحيم والعليم والقدير، بل العلم عنده هو القدرة، والقدرة هي العلم، وهما عين الذات. وقال ابن كثير: وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات.

وقال الذهبي رحمه الله: ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة للمسلمين.

قال أبو الخطاب بن دحية: كان ابن حزم قد برص من أكل اللبان وأصابه زمانة وعاش اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً.

توفي ليومين بقيا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

- قال ابن حزم: والواجب إذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع إلى القرآن وسنة رسول الله ﷺ لا إلى شيء غيرهما ولا يجوز الرجوع إلى عمل أهل المدينة ولا غيرهم.

برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ¹ فصح أنه لا يحل الرد عند التنازع إلى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفي هذا تحريم الرجوع إلى قول أحد دون رسول الله ﷺ لأن من رجع إلى قول إنسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد إليه وإلى رسوله لا سيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ولم يأمر الله تعالى بالرجوع إلى قول بعض المؤمنين دون جميعهم، وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعماهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر بالبصرة والكوفة ومصر والشام.

ومن الباطل المتيقن الممتنع الذي لا يمكن أن يكونوا رضي الله عنهم طورا علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الأمصار واختصوا به أهل المدينة فهذه صفة سوء قد أعادهم الله تعالى منها وقد عمل ملوك بني أمية بإسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الأرض فصح أنه لا حجة في عمل أحد دون رسول الله ﷺ.²

- وقال رحمه الله: ولا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا وعلى كل أحد من الاجتهاد حسب طاقته، فمن سأل عن دينه فإنما يريد معرفة ما ألزمه الله عزوجل في هذا الدين، ففرض عليه إن كان أجهل البرية أن يسأل

1 النساء الآية (59).

2 المحلى (99/55/1).

عن أعلم أهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، فإذا دل عليه سأله، فإذا أفتاه قال له: هكذا قال الله عزوجل ورسوله؟ فإن قال له نعم أخذ بذلك وعمل به أبدا، وإن قال له هذا رأيي أو هذا قياس أو هذا قول فلان وذكر له صاحباً¹ أو تابعا أو فقيها قديما أو حديثا أو سكت أو انتهره أو قال له لا أدري، فلا يحل له أن يأخذ بقوله ولكنه يسأل غيره.

برهان ذلك قول الله عزوجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾² فلم يأمرنا عزوجل قط بطاعة بعض أولي الأمر، فمن قلد عالما أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا أولي الأمر، وإذا لم يرد إلى من ذكرنا فقد خالف أمر الله عزوجل ولم يأمر الله عزوجل قط بطاعة بعض أولي الأمر دون بعض.

فإن قيل: فإن الله عزوجل قال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْمُونَ﴾³ وقال تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾⁴. قلنا:

نعم ولم يأمر الله عزوجل أن يقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه، ولا أن يطاع أهل الذكر في رأيهم ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عزوجل وإنما أمر تعلق أن يسأل أهل الذكر عما يعلمونه في الذكر الوارد من عند الله تعالى فقط لا

1 هذا مذهب ابن حزم في رد قول الصحابي، والراجح أن قول الصحابي حجة ما لم يخالف. انظر إعلام الموقعين (118/4) فما بعدها.

2 النساء الآية (59).

3 النحل الآية (43).

4 التوبة الآية (122).

عمن قاله من لا سمع له ولا طاعة، وإنما أمر الله تعالى بقبول نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسول الله ﷺ لا في دين لم يشرعه الله عزوجل، ومن ادعى وجود تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل وقال قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا قياس، وما كان هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل، بل البرهان قد جاء بإبطاله، قال تعالى ذمما لقوم قالوا: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾¹ والاجتهاد إنما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله عزوجل الذي أوجبه على عباده، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم أن المسلم لا يكون مسلماً إلا حتى يقرر بأن الله تعالى إلهه لا إله غيره وأن محمداً هو رسول الله ﷺ بهذا الدين إليه وإلى غيره، فإذا لا شك في هذا فكل سائل في الأرض عن نازلة في دينه فإنما يسأل عما حكم الله تعالى به في هذه النازلة، فإذا لا شك في هذا ففرض عليه أن يسأل إذا سمع فتياً: أهذا حكم الله وحكم رسوله ﷺ؟ وهذا لا يعجز عنه من يدري ما الإسلام ولو أنه كما جلب من قوقوا وبالله تعالى التوفيق.²

- وقال رحمه الله: والمجتهد المخطئ أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب، هذا في أهل الإسلام خاصة، وأما غير أهل الإسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد، وكلاهما هالك.

برهان هذا ما ذكرناه آنفاً باسناده من قول رسول الله ﷺ «إذا اجتهد

1 الأحراب الآية (67).

2 الخلى (103/67-66/1).

الحاكم فأخطأ فله أجر»¹ ودم الله التقليد جملة، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور، وليس من اتبع رسول الله ﷺ مقلدا لأنه فعل ما أمره الله تعالى به، وإنما المقلد من اتبع من دون رسول الله ﷺ لأنه فعل ما لم يأمره الله تعالى به، وأما غير أهل الإسلام فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾². اهـ³

- وقال رحمه الله: والحق من الأقوال في واحد منها وسائرهما خطأ. وبالله تعالى التوفيق.

قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾⁴، وقال تعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁵ ودم

الله الاختلاف فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾⁶ وقال تعالى:

﴿وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾⁷ وقال تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾⁸ فصح أن الحق

1 أخرجه: أحمد (204/4-205) والبخاري (7352/393/13) ومسلم (1716/1342/3) وأبو داود (3574/7-6/4) والترمذي (1326/615/3) وابن ماجه (2314/772/2).

2 آل عمران الآية (85).

3 المحلى (108/70-69/1).

4 يونس الآية (32).

5 النساء الآية (82).

6 آل عمران الآية (105).

7 الأنفال الآية (46).

8 النحل الآية (89).

في الأقوال ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وأن الخطأ ما لم يكن من عند الله عزوجل. ومن ادعى أن الأقوال كلها حق وأن كل مجتهد مصيب فقد قال قولاً لم يأت به قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا معقول، وما كان هكذا فهو باطل، ويطلبه أيضاً قول رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر» فنص عليه الصلاة والسلام أن المجتهد قد يخطئ، ومن قال: إن الناس لم يكلفوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به قال الله عزوجل: «اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ»¹ فافترض عزوجل اتباع ما أنزل إلينا وأن لا نتبع غيره وأن لا نتعدى حدوده، وإنما أجر المجتهد المخطئ أجرا واحدا على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأثم إذا حرم الإصابة، فلو أصاب الحق أجر أجرا آخر كما قال عليه السلام: «إنه إذا أصاب أجر أجرا ثانيا».

حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن خالد أخبرنا ابراهيم بن أحمد الفريسي حدثنا البخاري حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثنا يزيد بن عبدالله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». ولا يحل الحكم بالظن أصلا لقول الله تعالى: «إن

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا¹ ولقول
رسول الله ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»² وبالله تعالى
التوفيق.³

- ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائي ويتزل إن أنزل ويدفن في قبوري
دعوني من إحراق رِقِّ وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر
كذاك النصارى يحرقون إذا علت أكفهم القرآن في مدن الثغر⁴

- وقال:

أشهد الله والملائكة أني لا أرى الرأي والمقاييس دينا
حاش لله أن أقول سوى ما جاء في النص والهدى مستبينا
كيف يخفى على البصائر هذا وهو كالشمس شهرة ويقينا⁵

فقال الذهبي مجيبا له:

1 النجم الآية (28).

2 أخرجه من حديث أبي هريرة: أحمد (312/4) والبخاري (5143/248/9) ومسلم (2563/1985/4) وأبو داود (216/5-217/4917) والترمذي (1988/313/4).

3 المحلى (109/71-70/1).

4 السير (205/18).

5 السير (206-205/18).

نعلم قطعاً تخصيصه و يقيناً
لرأينا لكم شفوقاً مبيناً

لو سلمتم من العموم الذي
وترطبتهم فكم قد ييستم
- وله:

أتى عن المصطفى فيها من الدين
شدا عرى الدين في نقل وتبيين
من كل قول أتى من رأي سحنون
في نصر دينك محضاً غير مفتون¹

أنائم أنت عن كتب الحديث وما
كمسلم والبخاري اللذين هما
أولى بأجر وتعظيم ومحمدة
يا من هدى بهما اجعلني كمثلهما
- وقال:

أقوالهم وأقوايل الورى محن
لا أقول بالرأي إذ في رأيهم فتن
سواه أنحو ولا في نصره أهن
في الدين بل حسبي القرآن والسنن
ويا سروري به لو أنهم فطنوا
من مات من قوله عندي له كفن²

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت
فقلت: هل عيهم لي غير أبي
وأني مولع بالنص لست إلى
لا أنثني لمقايس يقال بها
يا برد ذا القول في قلبي وفي كبدي
دعهم يعضوا على صم الحصى كملط

◀ موقفه من المشركين:

من موقفه الجليلة رده المفحم على قصيدة الأرمني المرتد:
قال ابن كثير: وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة، وأتبعها
بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة قال المرتد الكافر الأرمني على لسان

1 السير (209/18).

2 السير (212/18).

ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين آمين يا رب العالمين. ومن خط ابن عساكر كتبها، وقد نقلوها من كتاب صلة الصلة للفرغاني:

من الملك الظهر المسيحي مالك
إلى الملك الفضل المطيع أخي العلا
أما سمعت أذناك ما أنا صانع
فإن تك عما قد تقلدت نائما
ثغوركم لم يبق فيها لوهنكم
فتحنا الثغور الأرمنية كلها
ونحن صلبنا الخيل تعلق لجمها
إلى كل ثغر بالجزيرة أهل
وملطية مع سميساط وكركر
وبالحدث الحمراء جالت عساكري
وكم قد ذللنا من أعزة أهلها
وسد سروج إذ خربنا بجمعنا
وأهل الرها لاذوا بنا وتحزبوا
وصبح رأس العين منا بطارق
ودارا وميفارقين وأزرننا
واقريطش جازت إليها مراكيبي
فحزتم أسرى وسيقت نسأؤهم
إلى خلف الأملاك من آل هاشم
ومن يرتجى للمعضلات العظام
ولكن دهاك الوهن عن فعل حلوم
فإني عما همني غير نائم
وضعفكم إلا رسوم المعالم
بفتيان صدق كالليوث الضراغم
وتبلغ منها قضمها للشكائم
إلى جند قنسرينكم فالعواصم
وفي البحر أضعاف الفتوح التواحم
وكيسوم بعد الجعفري للمعالم
فصاروا لنا من بين عبد وخادم
لنا رتبة تعلقوا على كل قائم
بمنديل مولى جل عن وصف آدمي
بييض غزوناها بضرب الجماجم
أذقتناهم بالخيل طعم العلاقم
على ظهر بحر مزبد متلاطم
ذوات الشعور المسبلات النواعم

هناك فتحنا عين زربة عنوة
 إلى حلب حتى استبحنا حریمها
 أخذنا النساتم البنات نسوقهم
 وقد فر عنها سيف دولة دينكم
 وملنا على طرسوس ميلة حازم
 فكم ذات عز حرة علوية
 سبينا فسقنا خاضعات حواسرا
 وكم من قتيل قد تركنا مجندلا
 وكم وقعة في الدرب أفنت كملتك
 وملنا على أرياحكم وحریمها
 فأهوت أعاليها وبدل رسمها
 إذا صاح فيها البوم جاوبه الصلبي
 وإنظاك لم تبعد علي وإنني
 ومسكن آبائي دمشق فإنني
 ومصر سأفتحها بسيفي عنوة
 وأجزى كافورا بما يستحقه
 ألا شمروا يا أهل حمدان شمروا
 فإن هربوا تنجوا كراما وتسلموا
 كذاك نصيبين وموصلها إلى
 سأفتح سامرا وكوثا وعكبرا

نعم وأبدنا كل طاغ وظالم
 وهدم منها سورها كل هادم
 وصبيانهم مثل المماليك خادم
 وناصركم منا على رغم راغم
 أذقنا لمن فيها لحز الحلاقم
 منعمة الأطراف ربا المعاصم
 بغير مهور لا ولا حكم حاكم
 يصب دما بين اللها واللهازم
 وسقناهم قسرا كسوق البهائم
 مدوخة تحت العجاج السواهم
 من الأنس وحشا بعد بيض نواعم
 وأتبعه في الربع نوح الحمائم
 سأفتحها يوما بهتك المحارم
 سأرجع فيها ملكنا تحت خائمي
 وأخذ أموالي بها وبهائمي
 بمشط ومقراض وقص محاجم
 أتتكم جيوش الروم مثل الغمام
 من الملك الصادي بقتل المسالم
 جزيرة آبائي وملك الأقدام
 وتكريتها مع ماردين العواصم

وأغرم أموالا بها وحرائم
فكلكم مستضعف غير رائم
فصرتم عبيدا للعبيد الديالمي
إلى أرض صنعا راعيين البهائم
وخلوا بلاد الروم أهل المكارم
إلى باب طاق حيث دار القمام
وأسي ذراريها على رغم راغم
وأقتل من فيها بسيف النقائم
لإحراز ديباج وخز السواسم
وأسي ذراريها كفعل الأقدام
خراسان قصري والجيش بحارم
وفرغانة مع مروها والمخازم
وأوردها يوما كيوم السمائم
وكابلها النائي وملك الأعاجم
لها بحر عج رائع متلازم
كما كان يوما جندنا ذو العزائم
أجر جيوشا كالليالي السواجم
أقيم بها للحق كرسى عالم
وسرا واتهام مذحج وقحاطم
وصنعاها مع صعدة والتهايم

وأقتل أهلها الرجال بأسرها
ألا شمروا يا أهل بغداد ويلكم
رضيتم بحكم الديلمي ورفضه
ويا قاطني الرملات ويلكم ارجعوا
وعودوا إلى أرض الحجاز أذلة
سألقي جيوشا نحو بغداد سائرا
وأحرق أعلاها وأهدم سورها
وأحرز أموالا بها وأسرة
وأسري يجيشي نحو أهواز مسرعا
وأشعلها نبا وأهدم قصورها
ومنها إلى شيراز والري فاعلموا
إلى شاس بلخ بعدها وخواتها
وسابور أهدمها وأهدم حصونها
وكرمان لا أنسى سجستان كلها
أسير بجندي نحو بصرتها التي
إلى واسط وسط العراق وكوفة
وأخرج منها نحو مكة مسرعا
فأملكها دهرا عزيزا مسلما
وأحوي نجدا كلها وتمامها
وأغزو يمانا كلها وزبيدها

فأتركها أيضا خرابا بلاقعا
وأحوي أموال اليمانيين كلها
أعود إلى القدس التي شرفت بنا
وأعلو سريري للسجود معظما
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم
نصرنا عليكم حين جارت ولا تكتم
قضاتكم باعوا القضاء بدينهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا
سأفتح أرض الله شرقا ومغربا
فيعسى علا فوق السموات عرشه
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى
تناولتم أصحابه بعد موته

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ

مَعْدِرَتُهُمْ^ط وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١﴾^١ يوم يدعو ناظمها ثبورا

ويصلى نارا سعيرا، ﴿وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتِي أَنَّخَذْتُ

مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢﴾^٢ يَتَوَلَّتِي لَيْتِي لَمَ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣﴾^٣ لَقَدْ

أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني^٤ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

خَذُولاً ﴿٢٦﴾¹ إِنْ كَانَ مَاتَ كَافِرًا.

وهذا جوابها لأبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري الأندلسي قالها ارتجالاً حين بلغته هذه الملعونة غضبا لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه، فرحمه الله وأكرم مثواه وغفر له خطاياها.²

من المحتمي بالله رب العوالم
محمد الهادي إلى الله بالتقى
عليه من الله السلام مرددا
إلى قائل بالإفك جهلا وضلة
دعوت إماما ليس من أمرائه
دهته الدواهي في خلافته كما
ولا عجب من نكبة أو ملمة
ولو أنه في حال ماضي حدوده
عسى عطفة لله في أهل دينه
فخرتم بما لو كان فيكم حقيقة
إذن لا اعترتكم خجلة عند ذكره
سلبناكم كراً ففرتم بغرة
فطرتم سرورا عند ذاك ونشوة
وما ذاك إلا في تضاعيف عقله

ودين رسول الله من آل هاشم
وبالرشد والإسلام أفضل قائم
إلى أن يوافي الحشر كل العوالم
عن النقفور المفتري في الأعاجم
بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
دهت قبله الأملاك دهم الدواهم
تصيب كريم الجد ابن الأكارم
لجرعتهم منه سموم الأرقام
تجدد منه دارسات المعالم
لكان بفضل الله أحكم حاكم
وأخرس منكم كل فاه مخاصم
من الكر أفعال الضعاف العزائم
كفعل المهين الناقص المتعالم
عريقا وصرف الدهر جم الملاحم

1 الفرقان الآيات (27-29).

2 البداية والنهاية (11/260-269).

ودانت لأهل الجهل دولة ظالم
 لعبادهم مع تركهم والدلائم
 بمن رفعوه من حضيض البهائم
 وثوب لصوص عند غفلة نائم
 جميع بلاد الشام ضربة لازم
 وأندلسا قسرا بضرب الجماجم
 صقلية في بحرها المتلاطم
 لنا وبأيدينا على رغم راغم
 بأيدي رجال المسلمين الأعظام
 وكرسيكم في القدس في أدرثاكم
 وكرسي قسطنطينية في المعادم
 إلينا بعز قاهر متعظام
 على باب قسطنطينية بالصوارم
 بجيش تمام قد دوى بالضراغم
 بنى فيكم في عصره المتقادم
 ألا هذه حق صرامة صارم
 رفادة مغلوب وجزية غارم
 حباننا بها الرحمن أرحم راحم
 إلى لجة البحر المحيط المحاوم
 أبي الله ذاكم يا بقايا الهزائم

ولما تنازعنا الأمور تخاذلا
 وقد شعلت فينا الخلائف فتنة
 بكفر أيادهم وجحد حقوقهم
 وثبتهم على أطرافنا عند ذاكم
 ألم تنتزع منكم بأعظم قوة
 ومصرنا وأرض القيروان بأسرها
 ألم تنتزع منكم على ضعف حالنا
 مشاهد تقديساتكم وبيوتها
 أما بيت لحم والقمامة بعدها
 وسركيسكم في أرض اسكندرية
 ضممناكم قسرا برغم أنوفكم
 ولا بد من عود الجميع بأسره
 أليس يزيد حل وسط دياركم
 ومسلمة قد داسها بعد ذاكم
 وأخدمكم بالذل مسجدنا الذي
 إلى جنب قصر الملك من دار ملككم
 وأدى لهارون الرشيد مليكمكم
 سلبناكم مصرا شهود بقوة
 إلى بيت يعقوب وأرباب دومة
 فهل سرتهم في أرضنا قط جمعة

فما لكم إلا الأمانى وحدها
 رويدا فما بعد الخلافة نورها
 وحينئذ تدرون كيف قراركم
 على سالف العادات منا ومنكم
 سببتم سبايا يحصر العدوئها
 فلو رام خلق عدها رام معجزا
 بابني حميدان وكافور صلتهم
 دعي وحجام سطوتم عليهما
 فهلا على دميانة قبل ذلك أو
 ليالي قادوكم كما اقتادكم
 وساقوا على رسل بنات ملوككم
 ولكن سلوا عنا هر قلا ومن خلى
 يخبركم عنا التنوخ وقيصر
 وعمما فتحنا من منيع بلادكم
 ودع كل نذل مفتر لا تعده
 فهيهات سامرا وتكرت منكم
 مني يتمناها الضعيف ودونها
 تريدون بغداد سوقا جديدة
 محلة أهل الزهد والعلم والتقوى
 دعوا الرملة الصهباء عنكم فدونها

بضائع نوكى تلك أحلام نائم
 وسفر مغير أوجوه الهواشم
 إذا صدمتكم خيل جيش مصادم
 ليالي بهم في عداد الغنائم
 وسبيكم فينا كقطر الغمام
 وأنى بتعداد لرش الحمائم
 أرذال أنجاس قصار المعاصم
 وما قدرهم مصاص دم المحاجم
 على محل أرباض رماة الضراغم
 أقيال جرجان بحز الحلاقم
 سبايا كما سيقت ظباء الصرائم
 لكم من ملوك مكرمين قماقم
 وكم قد سبينا من نساء كرائم
 وعمما أقمنا فيكم من مآتم
 إماما ولا الدعوى له بالتقادم
 إلى جبل تلكم أمانى هائم
 نظائرها... وحز الغلاصم
 مسيرة شهر للفنيق القواصم
 ومترلة يختارها كل عالم
 من المسلمين الغر كل مقاوم

سحائب طير ينتحي بالقوادم
 كما ضرب السكي بيض الدراهم
 كقطر الغيوم الهائلات السواجم
 ومن حي قحطان كرام العمائم
 لقيتم ضراما في يبيس الهشائم
 لهم معكم من صادق متلاحم
 فجئتم ضمانا أنكم في الغنائم
 تنسيكم تذكار أخذ العواصم
 بها يشتفي حر الصدور الحوايم
 كما فعلوا دهرا بعدل المقاسم
 وشيراز والري الملاح القوائم
 عهدنا لكم: ذل وعض الأباهم
 مسيرة عام بالخيل الصوادم
 وكابل حلوان بلاد المراهم
 وفي أصبهان كل أروع عارم
 فرائس كالآساد فوق البهائم
 سمت وبآدي واسط بالعظام
 فما أحد عادوه منهم بسالم
 حباها بمجد للبرايا مراحم
 محلة سفل الخف من فص خاتم

ودون دمشق جمع جيش كأنه
 وضرب يلقي الكفر كل مذلة
 ومن دون أكناف الحجاز جحافل
 بها من بني عدنان كل سميذع
 ولو قد لقيتم من قضاة كبة
 إذا أصبحوكم ذكروكم بما خلا
 زمان يقودون الصوافن نحوكم
 سيأتيكم منهم قريبا عصائب
 وأموالكم حل لهم ودماءكم
 وأرضيكم حقا سيقتموها
 ولو طرقتكم من خراسان عصابة
 لما كان منكم عند ذلك غير ما
 فقد طالما زاروكم في دياركم
 فأما سجستان وكرمان بالأولى
 وفي فارس والسوس جمع عرمرم
 فلو قد أتاكم جمعهم لغدوتم
 وبالبصرة الغراء والكوفة التي
 جموع تسامي الرمل عدا وكثرة
 ومن دون بيت الله في مكة التي
 محل جميع الأرض منها تيقنا

دفاع من الرحمن عنها بحقها
 بها وقع الأحبوش هلكى وفيلهم
 وجمع كجمع البحر ماض عرمرم
 ومن دون قبر المصطفى وسط طبقة
 يقودهم جيش الملائكة العلى
 فلو قد لقيناكم لعدتم رمائما
 وباليمن المنوع فتیان غارة
 وفي جانبي أرض اليمامة عصبه
 ونستفتكم والقرمطييين دولة
 خليفة حق ينصر الدين حكمه
 إلى ولد العباس تنمي جدوده
 ملوك جرى بالنصر طائر سعدهم
 محلهم في مسجد القدس أو لدى
 وإن كان من عليا عدي وتيمها
 فأهلا وسهلا ثم نعمى ومرحبا بهم
 هم نصروا الإسلام نصرا مؤزرا
 رويدا فوعد الله بالصدق وارد
 سنفتح قسطنطينية وذواتها
 ونفتح أرض الصين والهند عنوة
 مواعيد للرحمن فينا صحيحة وليست
 فما هو عنها رد طرف برائم
 بحصاء طير في ذرى الجوح حائم
 حمى بنية البطحاء ذات المحارم
 جموع كمسود من الليل فاحم
 دفاعا ودفعاً عن مصل وصائم
 كما فرق الإعصار عظم البهائم
 إذا مالقوكم كتتم كالمطاعم
 معاذر أجداد طوال اليراجم
 تقووا بميمون التقيية حازم
 ولا يتقي في الله لومة لائم
 بفخر عميم مزبد الموج ناعم
 فأهلا بماض منهم وبقادم
 منازل بغداد محل المكارم
 ومن أسد هذا الصلاح الحضارم
 من خيار سالفين أقدام
 وهم فتحوا البلدان فتح المراغم
 بتحريع أهل الكفر طعم العلقم
 ونجعلكم فوق النسور القعاشم
 بجيش لأرض الترك والخزر حاطم
 كآمال العقول السواقم

ونلزمكم ذل الحراب المخارم
 جميع الأراضي بالجيوش الصوارم
 بعيدا عن المعقول بادي المآثم
 فيالك سحقا ليس يخفى لعالم
 كلام الأولى فيها أتوا بالعظائم
 له يا عقول الهاملات السوائم
 بأيدي يهود أرذلين الآثم
 فما دين ذي دين لها بمقاوم
 محمد الآتي برفع المظالم
 ببرهان صدق طاهر في المواسم
 وأهل عمان حيث رهط الجهاضم
 ومن بلد البحرين قوم اللهازم
 ولا رغبة يحظى بها كف عادم
 بحق يقين بالبراهين فاحم
 وصير من عاداه تحت المناسم
 ولا دفعوا عنه شتيمة شاتم
 ولا دفع مرهوب ولا لمسلم
 بلى كان معصوما لأقدر عاصم
 ولا مكنت من جسمه يد ظالم
 على وجه عيسى منكم كل لاطم

ونملك أقصى أرضكم وبلادكم
 إلى أن ترى الإسلام قد عم حكمه
 أتقرن يا مخذول دينا مثلثا
 تدين لمخلوق يدين لغيره
 أناجيلكم مصنوعة قد تشابهت
 وعود صليب ما تزالون سجدا
 تدينون تضلالا بصلب إلهكم
 إلى ملة الإسلام توحيد ربنا
 وصدق رسالات الذي جاء بلهدى
 وأذعنت الأملاك طوعا لدينه
 كما دان في صنعاء مالك دولة
 وسائر أملاك اليمانيين أسلموا
 أجابوا لدين الله لا من مخافة
 فحلوا عرى التيجان طوعا ورغبة
 وحابه بالنصر المكين إلهه
 فقير وحيد لم تعنه عشيرة
 ولا عنده مال عتيد لناصر
 ولا وعد الأنصار مالا يخصهم
 ولم تنهه في الحق قوة أسر
 كما يفترى إفكا وزورا وضلة

فيا لضلال في القيامة عائم
 ستلقى دعاة الكفر حالة نادم
 من الناس مخلوق ولا قول زاعم
 لقد فقتم في قولكم كل ظالم
 وكم علم أبداه للشرك حاطم
 بلى ولكل في العطا حال خادم
 وكرديهم قد فاز قدح المراحم
 وروم رموكم دونه بالقواصم
 فأبوا بحظ في السعادة لازم
 ودانوا لأحكام الإله اللوازم
 به دانيال قبله حتم حاتم
 بدين الهدى رفض لدين الأعاجم
 وأشبع من صاع له كل طاعم
 فأروى به جيشا كثيرا هماهم
 ولا كدعاء غير ذات قوائم
 تعقبه ظلماء أسحم قائم
 وتخليطكم في جوهر وأقائم
 وأتم حمير داميات المحازم
 ضعيف معاني النظم جم البلاعم
 ودر وياقوت بإحكام حاكم

على أنكم قد قتلتموا هو ربكم
 أبي الله أن يدعى له ابن وصاحب
 ولكنه عبد نبي مكرم
 أيلطم وجه الرب؟ تبا لدينكم
 وكم آية أبدى النبي محمد
 تساوى جميع الناس في نصر حقه
 فعرب وأحبوش وفرس وبربر
 وقبط وأنباط وخزر وديلم
 أبوا كفر أسلاف لهم فتمنعوا
 به دخلوا في ملة الحق كلهم
 به صح تفسير المنام الذي أتى
 وهند وسند أسلموا وتدينوا
 وشق له بدر السموات آية
 وسالت عيون الماء في وسط كفه
 وجاء بما تقضي العقول بصدقه
 عليه سلام الله ما ذر شارق
 براهينه كالشمس لا مثل قولكم
 لنا كل علم من قديم ومحدث
 أتيتم بشعر بارد متخاذل
 فدونكها كالعقد فيه زمرد

وجاء في ميزان الاعتدال: قال ابن حزم: قالت فرقة عادية بنبوة المغيرة ابن سعيد وكان لعنه الله مولى بجيلة. وكان لعنه الله يقول: إن معبوده على صورة رجل على رأسه تاج وإن أعضائه على عدد حروف الهجاء. وإنه لما أراد أن يخلق تكلم باسمه فطار فوق علي تاجه، ثم كتب بأصبعه أعمال العباد. فلما رأى المعاصي ارفض عرقا، فاجتمع من عرقه بجران ملح وعذب؛ وخلق الكفار من البحر الملح. تعالى الله عما يقول. وحاكي الكفر ليس بكافر؛ فإن الله تبارك وتعالى قص علينا في كتابه صريح كفر النصارى واليهود، وفرعون ونمرود، وغيرهم.¹

← موقفه من الرافضة:

- قال الذهبي في سيره: وكان في هذا الحين المتكلم البارع هشام بن الحكم الكوفي الرافضي المشبه المعثر، وله نظر وجدل، وتوالت كثيره. قال ابن حزم: جمهور متكلمي الرافضة كهشام بن الحكم، وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما يقولون بأن علم الله محدث، وأنه لم يعلم شيئا في الأزل، فأحدث لنفسه علما. قال: وقال هشام بن الحكم في مناظرته لأبي الهذيل: إن ربه طوله سبعة أشبار بشير نفسه. قال: وكان داود الجواربي من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الآدمي. قال: ولا يختلفون في رد الشمس لعل مرتين. ومن قول كلهم: إن القرآن مبدل زيد فيه ونقص منه إلا الشريف المرتضى وصاحبيه. قال النديم: هو من أصحاب جعفر

الصادق، هذب المذهب، وفتق الكلام في الإمامة.¹

- قال في الملل والنحل: ومن قول الإمامية كلها قديما وحديثا أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه، ونقص منه كثير، وبدل منه كثير حاشا علي بن الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي ابن الحسن بن علي بن أبي طالب. وكان إماميا يظاهر بالاعتزال مع ذلك؛ فإنه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله، وكذلك صاحبا أبو يعلى ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي.

قال أبو محمد: القول بأن اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله ﷺ. وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الأرواح، وبهذا يقول السيد الحميري الشاعر لعنه الله؛ ويبلغ الأمر بمن يذهب إلى هذا إلى أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على أن روح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه، فاعجبوا لهذا الحمق الذي لا نظير له. وما الذي خص هذا البغل الشقي أو الحمار المسكين بنقله الروح إليه دون سائر البغال والحمير. وكذلك يفعلون بالعتز على أن روح أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فيها...²

- ثم ذكر من سخافاتهم إلى أن قال: فهذه مذاهب الإمامية، وهي المتوسطة في الغلو من فرق الشيعة، وأما الغالية من الشيعة فهم قسمان: قسم أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ لغيره، والقسم الثاني أوجبوا الإلهية لغير الله عز

1 السير (10/543-544).

2 الملل والنحل (4/182).

وجل فلقحوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر، فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ فرق؛ فمنهم الغرابية وقولهم إن محمداً ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وإن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بللوحى إلى علي فغلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط. وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل، وكفروه ولعنوه لعنهم الله.

قال أبو محمد: فهل سمع بأضعف عقولا وأتم رقاعة من قوم يقولون إن محمداً ﷺ كان يشبه علي بن أبي طالب، فيا للناس أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبي ابن إحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام، ثم محمد عليه السلام فوق الربعة، إلى الطول، قويم القناة، كث اللحية، أدلج العينين، ممتلي الساقين ﷺ، قليل شعر الجسد، أفرع. وعلي دون الربعة إلى القصر، منكب شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر، عظيم اللحية قد ملأت صدره من منكب إلى منكب إذ التحي¹ ثقیل العينين دقيق الساقين أصلع عظيم الصلع ليس في رأسه شعر إلا في مؤخره يسير، كثير شعر اللحية. فاعجبوا لحقق هذه الطبقة، ثم لو جاز أن يغلط جبريل - وحاشا لروح القدس الأمين - كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه؟ وتركه على غلظه ثلاثا وعشرين سنة، ثم أظرف من هذا كله، من أحبرهم بهذا الخبر؟ ومن خرفهم بهذه الخرافة وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام، ثم شاهد خلافه، فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ما دام لله في عالمه خلق. وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن

1 كذا في الأصل.

علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وعلي بن الحسين
ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد
ابن علي والحسن بن محمد والمنتظر بن الحسن أنبياء كلهم. وفرقة قالت بنبوة
محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط، وهم طائفة من القرامطة. وفرقة قالت بنبوة
علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط، وهم طائفة من
الكيسانية، وقد حام المختار حول أن يدعي النبوة لنفسه، وسجع إسجاعاً
وأذمر بالغيوب عن الله، واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة. وقال
بإمامة محمد بن الحنفية. وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد مولى بجيلة
بالكوفة، وهو الذي أحرقه خالد بن عبدالله القسري بالنار، وكان لعنه الله
يقول: إن معبوده صورة رجل على رأسه تاج، وإن أعضائه على عدد حرف
الهجا؛ الألف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطلق لسان ذي شعبة من دين به.
تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.¹

﴿ موقفه من الخوارج: ﴾

- له كتاب 'الفصل في الملل والأهواء والنحل' بين فيه زيغ الفرق
الضالة كالخوارج فشنع عليهم رحمه الله وبين زيف أصولهم، وتشنت جمعهم
إلى طرائق قددا كل منها مناقضة للأخرى.²

- قال فيه: من وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب
الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في

1 الملل والنحل (4/183-184).

2 انظر الفصل (4/188-192).

النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا.¹

وقال: ويكون من المتأولين قوم لا يعذرون ولا أجر لهم كما روينا من طريق البخاري نا عمر بن حفص بن غياث نا أبي نا الأعمش نا خيثمة نا سويد بن غفلة قال: قال علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة»². وروينا من طريق مسلم نا محمد بن المثني نا محمد بن أبي عدي عن سليمان هو الأعمش عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق هم شر الخلق -أو من شر الخلق- تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق. وذكر الحديث³. قال أبو محمد: ففي هذا الحديث نص جلي بما قلنا وهو أن النبي ﷺ ذكر هؤلاء القوم فدمهم أشد الدم، وأنهم من شر الخلق وأنهم يخرجون في فرقة من الناس، فصح أن أولئك أيضا مفترقون وأن الطائفة المذمومة تقتلها أدنى الطائفتين المفترقتين إلى الحق. فجعل عليه السلام في الافتراق تفضلا وجعل إحدى الطائفتين المفترقتين لها دنو من الحق وإن كانت الأخرى أولى به، ولم يجعل للثالثة شيئا

1 الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/113).

2 البخاري (12/350/6930) ومسلم (2/746-747/1066).

3 مسلم (2/745/1065).

من الدنو إلى الحق فصح أن التأويل يختلف؛ فأى طائفة تأولت في بغيتها طمسا لشيء من السنة كمن قام برأي الخوارج ليخرج الأمر عن قريش أو ليرد الناس إلى القول بإبطال الرجم أو تكفير أهل الذنوب أو استقراض المسلمين أو قتل الأطفال والنساء وإظهار القول بإبطال القدر أو إبطال الرؤية أو إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً إلا حتى يكون أو إلى البراءة عن بعض الصحابة أو إبطال الشفاعة أو إلى إبطال العمل بالسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ودعا إلى الرد إلى من دون رسول الله ﷺ أو إلى المنع من الزكاة أو من أداء حق من مسلم أو حق لله تعالى فهؤلاء لا يعذرون بالتأويل الفاسد لأنها جهالة تامة.¹

◀ موقفه من المرجئة:

قال في 'الفصل': غلاة المرجئية طائفتان إحداهما الطائفة القائلة بأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي له عز وجل من أهل الجنة، وهذا قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه وهو بخراسان وبيت المقدس، والثانية الطائفة القائلة أن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من أهل الجنة. وهذا قول محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث ابن سريج التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان وقول أبي الحسن

علي بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابهما... - إلى أن قال رحمه الله -... وقالت طائفة من الكرامية: المنافقون مؤمنون مشركون من أهل النار. وقالت طائفة منهم أيضا: من آمن بالله وكفر بالنبي ﷺ فهو مؤمن كافر معا ليس مؤمنا على الإطلاق ولا كافرا على الإطلاق. وقال مقاتل بن سليمان وكان من كبار المرجئة: لا يضر مع الإيمان سيئة جلت أو قلت أصلا، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلا.¹

أحداث السنة الثامنة والخمسين بعد الأربعمئة (458 هـ)

جاء في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمئة في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء ينحن على الحسين كما جرت به عادتهم السالفة في بدعتهم المتقدمة الخالفة، فحين وقع ذلك أنكرته العامة، وطلب الخليفة أبا الغنائم وأنكر عليه ذلك، فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به، وأنه حين علم أزاله، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع.²

✓ التعليق:

هذا حين كان عامة المسلمين لهم دين وعقيدة، أما الآن فلا دين ولا عقيدة، شغلهم الشاغل هو الاهتمام في الملذات مهما كانت حراما أو حلالا، ففتن الناس في بيوتهم بأنواع الملاهي التي سلطها أعداء الله على المسلمين

1 الفصل (4/204-205).

2 البداية والنهاية (12/99).

وشغلوهم بما فكيف يكون هؤلاء أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فضلا عن الغيرة على عقيدتهم إلا من شاء الله إخلاصه فهو مخلص وقلبه يشتعل نارا لما يرى من منكرات.

الإمام القاضي أبو يعلى¹ (458 هـ)

محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، أبو يعلى المعروف بابن الفراء البغدادي الحنبلي. ولد سنة ثمانين وثلاثمائة. حدث عن أبي القاسم بن حبابة وعلي بن معروف البزاز، وعلي بن عمر الحرابي وخلق. وحدث عنه الخطيب البغدادي وأبو الوفاء بن عقيل وأبو علي الأهوازي.

قال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة. قال ابن الجوزي: كان من سادات الثقات، وشهد عند قاضي القضاة أبي عبدالله بن ماکولا والدامغاني، فقبلا شهادته وتولى النظر في الحكم بحريم دار الخلافة، وكان إماما في الفقه، له التصانيف الحسان الكثيرة، في مذهب أحمد، ودرس وأفتى سنين، وانتهى إليه المذهب. وكان متعففا، نزه النفس، كبير القدر، ذا عبادة وتهجد، وملازمة للتصنيف، مع الجلالة والمهابة، ولم تكن له يد طولى في معرفة الحديث.

توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ودفن في مقبرة باب حرب.

1 السير (89/18-92) وتاريخ بغداد (256/2) وطبقات الحنابلة (230-193/2) والأنساب (351/4-352) والكمال في التاريخ (52/10) والوفاء بالوفيات (8-7/3) والبدایة والنهاية (101/12) وشذرات الذهب (306/3-307).

◀ موقفه من المشركين:

- قال شيخ الإسلام: قال القاضي في سب النبي ﷺ: فإنه لا تقبل توبته، ويتحتم قتله، ولا يخير الإمام في قتله وتركه؛ لأن كذب النبي ﷺ حق لميت فلا يسقط بالتوبة ككذب الآدمي.¹

- وقال أيضا: قال القاضي في 'المجرد' وغيره من أصحابنا: والردة تحصل بجدد الشهادتين، وبالتعريض بسب الله تبارك وتعالى، وبسب النبي ﷺ.²
آثاره السلفية: 'الرد على الباطنية'.³

◀ موقفه من الرافضة:

قال القاضي أبو يعلى: الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة: إن كان مستحلا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر، سواء كفرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم.⁴

آثاره السلفية: كتاب 'إثبات إمامة الخلفاء الأربعة'.⁵

موقفه من الجهمية:

آثاره السلفية:

لقد ألف الشيخ جملة من الكتب في العقيدة السلفية كل واحد منها يعتبر ردا على طائفة معينة من أهل البدع. وقد ذكر ابنه في الطبقات جملة

1 الصارم (276).

2 الصارم (309).

3 طبقات الحنابلة (205/2).

4 الصارم (572).

5 ذكره ابنه في طبقات الحنابلة (205/2).

من عقائد الشيخ لكنها مفرقة فمن شاء رجع إليها. وإليك الآن آثاره السلفية.

- 1- 'الرد على المجسمة'!¹
- 2- 'القطع على خلود الكفار في النار'!²
- 3- 'الكلام في الاستواء'!³
- 4- 'الرد على الكرامية'!⁴
- 5- 'الرد على الأشعرية'!⁵
- 6- 'إبطال التأويلات لأخبار الصفات'!⁶ ولشيخ الإسلام عليه ملاحظات ذكرها في درء التعارض.

في كتابه 'إبطال التأويلات' بعد المقدمة وذكر مواقف الناس من الصفات: واعلم أنه لا يجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية والواجب حملها على ظاهرها وأما صفات الله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا في هذه

1 ذكره في طبقات الحنابلة (205/2) والذهبي في السير (91/18).

2 ذكره ابنه في طبقات الحنابلة (205/2).

3 ذكره في طبقات الحنابلة (205/2) والذهبي في السير (91/18).

4 ذكره في طبقات الحنابلة (205/2) والذهبي في السير (91/18).

5 ذكره ابنه في طبقات الحنابلة (205/2).

6 ذكره ابن تيمية في درء التعارض (237/5) والذهبي في السير (90/18).

الأخبار: أمرؤها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين.¹

◀ موقفه من الخوارج:

- قال: وقد اختلف الناس في الفاسق الملي، فذهب الخوارج إلى أن الفاسق يكون كافرا بكل معصية، ومنهم من يكفره بالكبائر دون غيرها. وحكي عن الحسن وعمرو بن عبيد أنه يكون منافقا. وقالت المعتزلة: "لا يكون مؤمنا ولا كافرا، ولكن يكون فاسقا"، فسلبوه اسم الإيمان في الجملة وجعلوا له منزلة بين المنزلتين، وقيل: إن أول من قال هذا عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبه سموا معتزلة. وقالت الأشعرية: "هو مؤمن كامل الإيمان"، وبنوا هذا على أن الإيمان عندهم هو التصديق، وأن ترك الطاعات وارتكاب المحظورات لا يؤثر في التصديق.

فالدلالة على بطلان قول الخوارج في قولهم: "يكون كافرا" أشياء، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾²، فأثبت أن غير الشرك مغفور، فلو كانت الكبائر كفرا لم تكن مغفورة لأنها كفر. وأيضا قوله تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَى كُفْرٍ وَالْفُسُوقَ

1 إبطال التأويلات (1/43-44).

2 النساء الآيات (48) والآية (116).

وَالْعَصِيَّانَ¹، فجعل المعاصي ضروبا وعطف بعضها على بعض فوجب أن يكون بعضها ليس بكفر، وإلا لم يكن للعطف معنى ويكون تكرارا وعطف الشيء على نفسه. وقال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ²﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ³﴾، وهذا يدل على أنه يغفر له ما دون الكبائر، وعند بعضهم هو كافر بجميع ذلك.

وأیضا فإن الله تعالى أوجب على القاذف الجلد إذا لم يأت بالشهود، وأوجب رد شهادته وسماه فاسقا، ولو كان ذلك كفرا لم ينه عن رد شهادته لأن ذلك من الأحكام التي لا تصح إلا مع الحياة، والكفر يمنع بقاء الحياة. وكذلك أمر الله تعالى من يرمي زوجته باللعان، ولو كان ذلك كفرا لم يصح ذلك من جهات:

أحدها: أنه كان يجب أن لا يكون راميا لزوجته لأنها إن كانت زانية فقد بانت منه على قولهم وإن لم تكن كذلك فقد بانت برميها لها وذلك كفر، فكان يجب أن يكون راميا لأجنبية.

الثاني: ما كان يجب أن تقف الفرقة بينهما على اللعان لأن أحدهما قد كفر وارتد على قولهم، فكان يجب أن تكون قد بانت منه وفي ذلك خروج

1 المحجرات الآية (7).

2 النساء الآية (31).

3 النجم الآية (32).

عن الإجماع.

الثالث: أن القصد باللعان إذا لم يكن ولد إزالة الفراش وقد زال على قولهم فلا وجه للتعبد باللعان.

وأيضاً الحديث المشهور عن النبي ﷺ رواه أبو سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون، ولكن أناس تمسهم النار بذنوبهم - أو قال - بخطاياهم، ليميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فيلقون على أهوار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة في حميل السيل»¹.

وأيضاً فإنه إجماع الصحابة وذلك أنهم نسبوا الكفر إلى مانع الزكاة وقاتلوه وحكموا عليه بالردة، ولم يفعلوا مثل ذلك بمن ظهر منه الكبائر، ولو كان الجميع كفراً لسوا بين الجميع.

وأيضاً فإن القول بالكفر في جميع المعاصي يوجب تكفير الأنبياء صلوات الله عليهم، لأنه قد وجد منهم وقوع الصغائر.

وأيضاً فإن الكفر يختص بأحكام لا توجد في مرتكب الكبائر منها انقطاع التوارث بين المسلم والكافر، ومنها امتناع المناكحة ولا يثبت ذلك بين مرتكب الكبائر وبين من لم يرتكبها. فإن منعوا ذلك وقالوا أثبت ذلك فالإجماع يحجهم لأنه قد كان في أيام الخلفاء من يقدم على الشراب والفسق فيقام عليه الحد ولم يفرق بينه وبين امرأته، ولا منعه من التوارث وظهر

1 أخرجه أحمد (3/11، 20، 79) ومسلم (1/172، 184) وابن ماجه (2/4309، 1441). وأصله عند البخاري (1/98-99، 22).

ذلك في أيام علي عليه السلام ولم يقض بذلك فدل على فساد قولهم.

واحتجوا في ذلك بأشياء، منها: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ¹﴾، فدل على أن كل مكلف ليس بمؤمن فهو كافر.

والجواب: أن الآية تدل على أن بعضا من خلقه كافر وبعضه مؤمن،

وهذا لا يمنع أن يكون هناك ثالث كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ

مَاءٍ^ط فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ

مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ²﴾، ولم يمنع ذلك أن يكون فيهم من يمشي على أكثر

من ذلك وهو الشنطان، وعلى أنا نقول بظاهرها وأن الخلق مؤمن وكافر،

وعندنا هذا مؤمن في الحقيقة لكنه ناقص الإيمان ونقصانه لا يسلبه الاسم لأن

إقدامه على المعاصي لا يخرج من كونه مؤمنا بإيمانه لأن أحد الأمرين لا

ينفي الآخر.

واحتج بقوله تعالى: ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورَ³﴾ فدل على أن

الذي يجازى بالنار هو الكفور وهذا ممن يجازى به.

والجواب: أنه محمول على الجزاء الذي تقدم ذكره وهو قصة سباً لأنه

1 التغابن الآية (2).

2 النور الآية (45).

3 سبأ الآية (17).

جل وعز قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۗ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾﴾¹. وقد أجرى سبحانه العادة بأنه لا يجازي بالجزاء المعجل في دار الدنيا على جهة الاستئصال إلا من كفر وكذب بالرسول.

واحتج بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢﴾﴾²، فدل على أنه لا منزلة للمكلف إلا هذين وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۗ أَشْكُرٌ أَمْ أَكْفُرٌ ﴿٣﴾﴾³. والجواب: أن الفاسق لا يمتنع أن يكون شاكرا، فليس هو بخارج عن هذين الأمرين، لأن إقدامه على الزنا والقتل لا يخرج من كونه شاكرا لنعمه لأن أحد الأمرين لا ينافي الآخر.

واحتج بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾﴾⁴، فدل على أن ترك الحج كفر.

1 سبأ الآيةان (16 و17).

2 الإنسان الآية (3).

3 النمل الآية (40).

4 آل عمران الآية (97).

والجواب: أنه محمول على جحد الإيجاب للحج، وهذا هو الظاهر، لأن الذي تقدم إيجابه فوجب أن يكون ذلك كفرا بما أوجب عليه، يبين صحة هذا أنه لا فائدة لتخصيصه الحج بذلك وغيره من الطاعات إذا تركه كفرا عنده.

واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ﴾¹ وظاهر هذا يوجب إكفار أئمة الجور وهذا قولنا.

والجواب: أن المراد بتلك اليهود، يبين ذلك أنه جل وعز ذكر اليهود

فقال: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾^ط إلى قوله: ﴿وَكَيْفَ

تُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ ثم قال بعد: ﴿وَمَنْ لَمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^ط ثم لم يقطع ذكرهم بل

قال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^ط ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى

ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾². فإذا كانت القصة أولها وآخرها في اليهود

حملت عليهم.

واحتج بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

1 المائدة الآية (44).

2 المائدة الآيات (42-46).

الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا
 كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَهْلَ عَيْتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾¹
 دل على أن كل من يدخل النار لا بد من أن يكون كافرا.

والجواب: أنه محمول على من حفت موازينه بكفره أنهم في جهنم
 خالدون.

واحتج بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
 اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾². فرى أن كل من يسود وجهه
 لا بد من أن يكون كافرا، لأن أهل النار لا بد أن يكون هذا وصفهم.

والجواب: أنا لا نسلم أن أهل الكبائر لا بد أن تسود وجوههم لأنهم
 معرضون للغفران. وهكذا الجواب عن قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ
 ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿١٦﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلِيَّا غَبْرَةٌ ﴿١٧﴾ تَرَهَقَهَا قَتْرَةٌ
 ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿١٩﴾﴾³.

وذلك أنا لا نقطع عليهم بالغيرة والقتره حتى يدخلوا تحت اسم الكفر.

1 المؤمنون الآيات (102-105).

2 آل عمران الآية (106).

3 عبس الآيات (38-42).

واحتج بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۗ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾¹، فدل على أن كل من يدخل النار من الفساق لا يكون إلا كافرا.

والجواب: أن المراد بالفساق ها هنا الكافر، لأن الفاسق الممي لا يأوي النار عندنا.

واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾².

والجواب: أنا لا نسلم أنه معرض عن ذكر ربه لوجود الإيمان الذي فيه، فعلم أن المراد به الكافر.

واحتج بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾³ فدل أنه لا فاسق إلا كافر.

1 السجدة الآيات (18-20).

2 طه الآية (124).

3 النور الآية (55).

والجواب: أن الآية واردة فيمن ارتد، لأنه قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم قال: ﴿وَلَيَبْدَلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾¹. ومن هذه حاله فهو كافر.

واحتج بقوله تعالى محبرا عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾². فدل على أن من لم يكن مخلصا فهو كافر.

والجواب: أنه لا يدل على ذلك، بل يجوز أن يكون مؤمنا فاسقا. واحتج بأنه إذا كان عز وجل قد أمر بالصلاة والزكاة كأمره بالمعرفة والتوحيد وتصديق الرسول ثم كان مضيع هذه الأمور كافرا، كذلك مضيع الفرائض، ولأن منكر أحدهما يكفر كما يكفر منكر الآخر.

والجواب: أن هذه المعرفة وتصديق الرسل هو أصل الإيمان وبه كان مؤمنا في صدر الإسلام وإنما زيد فيه بالعبادات فهو أعظم من غيره من المأمورات فلا يجب أن يلحق بما دونه كما لم يجب أن تلحق الكبائر بالصغائر في باب التأثم والوعيد، ومن قال أن قدرهما في العقاب سواء لزمه أن يقول أن قدرهما في الثواب سواء، ولوجب أن لا يتفاضل المطيعون في الطاعات

1 النور الآية (55).

2 ص الآيات (82 و83).

وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ^ع أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا^ع﴾¹.

واحتج بأن جميع المعاصي طاعة لإبليس، لأنه يدعو إلى جميعها وطاعته عبادة له ولا يكون ذلك إلا كفرا.

والجواب: أنه ليس إذا كان طاعة له كان عبادة لأن العبادة هي الخضوع والتعظيم والإجلال، وهذا غير موجود ممن أطاع إبليس بين صحة هذا أنه ليس كل طاعة لله هي عبادة له كالنظر في معرفة الله قبل لزومها، ولأن هذا يوجب أن تكون طاعة الولد لوالده عبادة له لأنه قد أطاعه، وأحد لا يقول هذا.

واحتج بأن ولاية الله تعالى من جهة الدين لا بد أن تكون إيمانا ووجب أن تكون كل عداوة من جهة الدين لا بد من أن تكون كفرا والفسق عداوة من جهة الدين.

والجواب: إننا لسنا نقول في كل طاعة أنها ولاية، ولا في كل معصية أنها عداوة، ولهذا لا نقول في معاصي الأنبياء الصغائر أنها عداوة لله ولا في طاعة الكافر أنها ولاية، وإنما صار بذلك من أهل الثواب والعقاب من جهة الدين.

واحتج بأنه قد ثبت أن سلم النبي ﷺ سلم للمؤمنين وحربه حرب للمؤمنين، ثم ثبت أن سلمه إيمان كذلك سلم المؤمنين فيجب أن يكون

حرهم كحرب النبي كفرا. قالوا: "وهذا يوجب أن سائر البغاة ومن يحارب المؤمنين أن يكون كافرا"، قالوا: "وهو مذهبنا".

والجواب: أن حرب النبي ﷺ إنما كان كفرا لا لأنه ذنب ومعصية، لكن لأنه استخفاف به والاستخفاف بالرسول كفر، وحرب المؤمن استخفاف به والاستخفاف بالمؤمن لا يجب أن يكون كفرا، فلهذا فرقنا فيهما.¹

◀ موقفه من المرجئة:

قال في مسائل الإيمان: إن حقيقة الإيمان في اللغة وأصل الوضع: تصديق القلب المتضمن للعلم بالمصدق به. وقد ذكر أبو عبدالله بن بطنة في كتاب الإبانة الصغير فقال: الإيمان اسم ومعناه التصديق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾²، يريد بمصدق لنا.

وأما حده في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلب وهو تصديق القلب، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات، وقد نص أحمد على هذا في مواضع: فقال في رواية أبي الحارث: السنة أن تقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وكذلك قال في رواية محمد بن موسى: الإيمان قول وعمل يزيد

1 مسائل الإيمان (323-353).

2 يوسف الآية (17).

وينقص، وإذا عملت الحسن زاد وإذا ضيعت نقص، والإيمان لا يكون إلا بعمل.

وكذلك قال في رواية المروذي: قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الدِّينِ﴾¹، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾²، وهذا من الإيمان، فالإيمان قول وعمل والزيادة في العمل والنقصان في الزنا وإذا زنا وسرق.

وكذلك قال في كتابه إلى أبي عبدالرحيم محمد بن أحمد بن الجواح الجوزجاني رواية أبي بكر المروزي ومحمد بن حاتم المروزي: من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين. وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا مصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء فإن جحد وقال لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال عظيما ولا أحسب أحدا يدفع المعرفة والتصديق كذلك العمل مع هذه الأشياء، وقد سأل وفد عبد القيس رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم»³، فجعل ذلك كله من الإيمان. وقال

1 التوبة الآية (11).

2 البقرة الآية (43).

3 سبأني تخريجه ضمن موافق ابن الصلاح سنة (643هـ).

النبي ﷺ: «الحياء من الإيمان»¹، وقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»²، وقال: «البذاذة من الإيمان»³، وقال: «الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناه إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله»⁴ مع أشياء كثيرة. وذكر الكلام بطوله. وهذا ظاهر من كلام أحمد.

وإن الإيمان الشرعي جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، الواجبة والمندوبة، وهذا قول أكثر المعتزلة.

وقال منهم أبو هاشم والجبائي: إن ذلك مختص بالواجبات دون التطوع.

وقال ابن قتيبة في غريب القرآن: من صفاته المؤمن إلى أن قال: وأما إيمان العبد بالله فتصديقه به قولاً وعقداً وعملاً. قال: وقد سمي الله الصلاة إيماناً، فقال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»⁵ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس.

وقالت الأشعرية: "الإيمان هو التصديق في اللغة والشريعة جميعاً وأن الأفعال والأعمال من شرائع الإيمان لا من نفس الإيمان".

وقال المرجئة والكرامية: "الإيمان هو التصديق باللسان، وهو الإقرار

1 تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي إسحاق الفزاري سنة (186هـ).

2 أحمد (509) وأبو داود (4689/60/5) والترمذي (1162/466/3) وقال: "حسن صحيح" والحاكم (3/1) وابن حبان (الإحسان 479/227/2) من حديث أبي هريرة وفي الباب عن عائشة وابن عباس.

3 أبو داود (41619/394-393/4) ابن ماجه (4118/1379/2) والحاكم (9/1) من حديث أبي أمامة.

4 تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي إسحاق الفزاري سنة (186هـ).

5 البقرة الآية (143).

بالشهادتين دون طمأنينة القلب".

ويفيد هذا أن الأفعال ليست من الإيمان ولا من شرائعه وأنه إذا أتى بالشهادتين فهو كامل الإيمان وإن لم يأت بالأفعال.
وقال الجهمية: "الإيمان هو المعرفة بالله فحسب".

والأدلة على أن الطاعات إيمان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾¹ فبين أن جميع ما تقدم مما به يصير المؤمن مؤمنا. وقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾² إلى آخر الآيات، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾³ وإنما عني به الصلاة التي استقبلوا بها بيت المقدس، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾³ فدل

1 الأنفال الآيات (2 و3).

2 المؤمنون الآيات (1 و2).

3 التوبة الآية (71).

على أن كل ذلك مما يصير المؤمن مؤمنا.

فإن قيل: ذكر الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف من شرائع الإيمان يعني من أحكامه الواجب فعلها فيه لا أنها من نفس الإيمان أو نحمل ذلك على أنه سماه إيمانا على طريق المجاز أو نحمل ذلك على أنها من الإيمان يعني دالة عليه لأنه يستدل بها على تصديقه.

قيل: أما قولك إنها من شرائعه فإن أردت به أنها من واجباته فهو معنى قولنا إنها من الإيمان وأنه بوجودها يكمل إيمانه وبعدها ينقص، فيحصل الخلاف بيننا في عبارة يبين هذا أن شرائع الشيء منه ولهذا يقال شريعة محمد ﷺ وشريعة موسى عليه السلام وذلك عبارة عن جميع أوامره ونواهيته.

وأما قولهم إنا نحمله على أنه دال على الإيمان فلا يصح لأن هذه الأفعال توجد من الكافر ولا تدل على إيمانه.

وأما حمله على المجاز فالأصل في كلام الله تعالى الحقيقة والمجاز يحتاج إلى دليل ولأنه قال في بعضها: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا»، وهذا تأكيد بوصفه الإيمان بذلك.

ويدل عليه أيضا ما روي بالأسانيد الصحاح ما يدل على ذلك فروى أحمد بإسناده في كتاب الإيمان عن النعمان بن مرة أن رجلا ذكر عند النبي ﷺ بجفاء فقال: «إن الإيمان ذو شعب وإن الحياء شعبة من الإيمان».¹

وروى أيضا بإسناده عن ابن عباس قال: إن وفد عبد القيس لما قدموا

1 تقدم تحريمه ضمن مواقف أبي إسحاق الفزاري سنة (186هـ).

على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله عز وجل قال: «أتدرون ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم»¹...

فإن قيل: هذه الأخبار كلها تدل على أن الخصال المذكورة من شرائع الإيمان لا أنها من نفس الإيمان أو على أنها دالة عليه. أو نقول سماها إيماننا على طريق المجاز، أو نحمل ذلك على أنها من الإيمان يعنى دالة عليه لأنه يستدل بها على تصديقه. قيل: قد أجبنا عن هذا فيما تقدم.

فإن قيل: نحمل قوله: «الإيمان بضع وسبعون خصلة» أراد به الإسلام فعبر عن الإسلام بالإيمان وأحدهما غير الآخر.

ألا ترى إلى قوله تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا»² وفي حديث جبريل: ما الإيمان؟ ما الإسلام؟ فنحمل الخبر على الإسلام الذي لم يحصل معه طمأنينة القلب.

ويحتمل أن يكون قوله: «بضع وسبعون خصلة» يرجع إلى التصديق بمخبراته بالعلم به وبصفاته الأزلية وما يجوز عليه والاقرار بنبوة رسوله والعلم به وقد يبلغ ذلك بضع وسبعون خصلة، وعلى أن قوله: «أعلاها قول لا إله إلا الله» ليس فيه قول باللسان فنحن نحمله على الشهادة بالقلب والاعتراف

1 سياقي تخريجه ضمن مواقف ابن الصلاح سنة (643هـ).

2 المحررات الآية (14).

بالقلب.

قيل: أما حملة على الإسلام الذي لم يحصل معه طمأنينة القلب لا يصح لأن ذلك ليس بإسلام لأن الإسلام لا يحصل بعدم التصديق.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن

قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ معناه استسلمنا لتسلم أموالنا. وليس المراد به الإسلام يدل

على ذلك أن هذه الآية نزلت في جهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع كانت منازلهم بين مكة والمدينة فكانوا إذا مرت بهم سرية من سرايا النبي ﷺ قتلوا:

آمنا ليؤمنوا على دمائهم وأموالهم. فلما سار النبي ﷺ إلى الحديبية مر بهم فاستنفرهم معه فلم يسيروا معه فنزلت فيهم الآية.

وعلى أن الإسلام في الشرع عبارة عن الشهادتين ولهذا لو حلف لا

أسلمت فشهد الشهادتين حنث. وإذا كان عبارة عن ذلك لم يصح حمل الخبر عليه.

أما قوله: إني أحمله على الإيمان الذي هو التصديق دون القول باللسان

والفعل بالبدن فلا يصح أيضا لأنه قال: «أعلاها قول لا إله إلا الله»،

وإطلاق الأمر بالشهادتين في الشرع ينصرف إلى القول باللسان فلماذا قال

النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».¹

وقوله: «إذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى شهادة أن لا إله

1 البخاري (7285 و7284/311/13) ومسلم (20/52-51/1) وأبو داود (1556/198/2) والترمذي

(2607/6-5/5) والنسائي (3980/88/7) من حديث أبي هريرة.

إلا الله»¹، وغير ذلك، فإنه ينصرف إلى القول باللسان، كذلك ها هنا وعلى أن التصديق لا يتنوع والخير يقتضي أقوالا وأفعالا متنوعة.

فإن قيل: فاختلاف العدد في هذه الأخبار يدل على أنها متناقضة.

قيل: أجاب أبو عبيد عن هذا في كتاب الإيمان فقال: نزول الفرائض بالإيمان متفرقا فكلما نزلت واحدة ألحق رسول الله عددها بالإيمان حتى جاوز ذلك سبعين خلة وليست هذه الزيادة بخلاف ما قبله إنما تلك دعائم وأصول، وهذه فروعها وزيادات في شعب الإيمان، فنرى -والله أعلم- إن هذا القول هو آخر ما وصف به رسول الله ﷺ الإيمان لأن العدد تناها إليه وبه كملت خصاله والمصدق له قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾² فروى طارق بن شهاب أن اليهود قالوا لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه: إنكم لتقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فذكر هذه الآية فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأي يوم أنزلت، أنزلت بعرفة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة³. اهـ⁴

1 أحمد (352) ومسلم (3/1356-1731/1358)، وأبو داود (3/83-2613/85) والترمذي (4/138-1617/139) وابن ماجه (2/953-2858/954).

2 المائة الآية (3).

3 البخاري (1/45-141/1) ومسلم (4/3017-2312/4) والترمذي (5/3043-233/5) وقال: "حسن صحيح". النسائي (5/3002-277/5).

4 (ص. 151-184).

البيهقي¹ (458 هـ)

الإمام الحافظ، العلامة، أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى أبو بكر البيهقي، شيخ خراسان وصاحب التصانيف. وبيهق هي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها. ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. سمع من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي وأبي عبدالله الحاكم وأبي عبدالرحمن السلمي وخلق سواهم. وروى عنه أبو إسماعيل الأنصاري بالإجازة، وأبو زكريا بن مندة الحافظ، وأبو عبدالله الفراوي، وطائفة سواهم. قال عبدالغافر بن إسماعيل: أبو بكر الفقيه، الحافظ الأصولي، الدين الورع، واحد زمانه في الحفظ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط، وقال: كان البيهقي على سيرة العلماء، قانعا باليسير متجملا في زهده وورعه. قال أبو المعالي الجويني: ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي، فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصرته مذهبه. توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ودفن ببيهق.

◀ موقفه من الجهمية:

خلف آثارا سلفية جيدة غير أنه هو في حد ذاته لم يتخذ السلفية منهجا له، فالأشعرية هي الغالبة عليه وأحيانا يميل إلى مذهب السلف كما هو واضح في كتابه الأسماء والصفات. فليكن القارئ على حذر منه،

1 شذرات الذهب (304/3-305) والسير (163/18-170) والأنساب (438/1) والكامل في التاريخ (52/10) ووفيات الأعيان (75/1-76) وتذكرة الحفاظ (1132/3-1135) والوفاء بالوفيات (354/6) والبداية والنهاية (100/12).

وليستفد من كتبه ما يناسب العقيدة السلفية. ولقد أشبع الأستاذ الفاضل: أحمد بن عطية الزهراني في كتابه: 'البيهقي وموقفه من الإلهيات' القول عنه. وكتبه التي في العقيدة:

1- 'الأسماء والصفات' طبع بتحقيق حامل راية الجهمية وقد عبث فيه كما يحلو له، وقد طبع مؤخرا في مجلدين، بتحقيق عبدالله محمد الحاشدي وقدم له الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله.

2- 'الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد'. طبع.

3- 'البعث والنشور'. حقق رسالة علمية في الجامعة الإسلامية.

4- 'إثبات عذاب القبر'. قال الزهراني ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث ضمن مكتبة المتحف بإستنبول ضمن مجموعة رقمها: 4288.

5- 'الجامع لشعب الإيمان' وهو كتاب كبير ملأه البيهقي بكل ما هب ودب من صحيح وسقيم ودجل وخرافة وأشعرية. وقد وزع رسائل علمية في الجامعة الإسلامية.

6- 'دلائل النبوة' وقد طبع والحمد لله.

7- 'الزهد الكبير' وقد طبع.

قال البيهقي في 'كتاب الاعتقاد' القرآن كلام الله وكلام الله صفة من صفات ذاته، وليس شيء من صفات ذاته مخلوقا ولا محدثا ولا حادثا. قال

تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾¹ فلو كان القرآن مخلوقا لكان مخلوقا بكن ويستحيل أن يكون قول الله لشيء بقول لأنه يوجب قولاً ثانياً وثالثاً فيتسلسل وهو فاسد، وقال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾² عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ر﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿ر﴾ فخص القرآن بالتعليم لأنه كلامه وصفته، وخص الإنسان بالتخليق لأنه خلقه ومصنوعه، ولولا ذلك لقال خلق القرآن والإنسان، وقال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾³ ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾⁴ الآية، فلو كان لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق لم يكن لاشرط الوجوه المذكورة في الآية معنى لاستواء جميع الخلق في سماعه عن غير الله فبطل قول الجهمية أنه مخلوق في غير الله، ويلزمهم في قولهم أن الله خلق كلاماً في شجرة كلم به موسى أن يكون من سمع كلام الله من ملك أو نبي أفضل في سماع الكلام من موسى، ويلزمهم أن تكون الشجرة هي المتكلمة بما ذكر الله أنه كلم به موسى وهو قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾⁵ وقد أنكر الله تعالى قول

1 النحل الآية (40).

2 الرحمن الآيات (1-3).

3 النساء الآية (164).

4 الشورى الآية (51).

5 طه الآية (14).

المشركين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾¹، ولا يعترض بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾² لأن معناه قول تلقاه عن رسول كريم كقوله تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾³ ولا بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾⁴ لأن معناه سميناها قرآنا، وهو كقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾⁵ وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾⁶ وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾⁷ فالمراد أن تزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه، وهذا احتج الإمام أحمد.⁸

◀ موقفه من الخوارج:

لقد ضمن كتاب قتال أهل البغي من سننه أبوابا في الخوارج منها:

باب ما جاء في قتال أهل البغي والخوارج.⁹

باب لا يبدأ الخوارج بالقتال حتى يسألوا ما نعموا ثم يؤمروا بالعود ثم

1 المدثر الآية (25).

2 التكوثر الآية (19).

3 التوبة الآية (6).

4 الزحرف الآية (3).

5 الواقعة الآية (82).

6 النحل الآية (62).

7 الأنبياء الآية (2).

8 الفتح (454/13) بتصرف من الحافظ وانظر الاعتقاد للبيهقي (ص. 94-98).

9 السنن الكبرى (8/168-172).

يؤذنون بالحرب.¹

باب أهل البغي إذا فأؤوا لم يتبع مدبرهم ولم يقتل أسيرهم ولم يجـهز على جريحهم ولم يستمتع بشيء من أموالهم.²

باب الرجل يقتل واحدا من المسلمين على التأويل أو جماعة غير ممنوعين يقتلون واحدا كان عليهم القصاص.³

باب القوم يظهرون رأي الخوارج لم يحل به قتالهم.⁴

باب الخوارج يعتزلون جماعة الناس ويقتلون واليهـم من جهة الإمام العادل قبل أن ينصبوا إماما ويعتقدوا ويظهروا حكما مخالفا لحكمه كان في ذلك عليهم القصاص.⁵

باب المقتول من أهل البغي يغسل ويصلى عليه.⁶

◀ موقفه من المرجئة:

جاء في كتاب الاعتقاد: باب: القول في الإيمان. قال الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

1 السنن الكبرى (178/8-181).

2 السنن الكبرى (181-183).

3 السنن الكبرى (183/8).

4 السنن الكبرى (184/8).

5 السنن الكبرى (184-185).

6 السنن الكبرى (185/8).

أَلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٠٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا¹.
 فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب،
 وبعضها باللسان، وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما
 وبالمال، وفيما ذكره الله من هذه الأعمال تنبيه على ما لم يذكره، وأخبر
 بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليهم، وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال
 وما نَبَّه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد، وإذا قَبِلَ الزيادة قبل
 النقصان.

وبهذه الآية وما في معناها من الكتاب والسنة ذهب أكثر أصحاب
 الحديث إلى أن اسم الإيمان لجميع الطاعات فرضها ونفلها، وأنها على ثلاثة
 أقسام:

فقسم يُكْفَرُ بتركه، وهو اعتقاد ما يجب اعتقاده، والإقرار بما اعتقده.
 وقسم يُفْسَقُ بتركه أو يعصي ولا يكفر به إذا لم يحجده، وهو مفروض
 الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم.
 وقسم يكون بتركه مخطئاً للأفضل غير فاسق ولا كافر، وهو ما يكون
 من العبادات تطوعاً.

واختلفوا في كيفية تسمية جميع ذلك إيماناً.
 فمنهم من قال: جميع ذلك إيمان بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ، لأن
 الإيمان في اللغة هو التصديق، وكل طاعة تصديق لأن أحداً لا يطيع من لا

يُشْتَبُهٗ وَلَا يَثْبِتُ أَمْرَهُ.

ومنهم من قال: الاعتقاد والإقرار بإيمان بالله وبرسوله ﷺ، وبسائر الطاعات إيمان لله ولرسوله، فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه واتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، وكذلك التصديق بالنبي ﷺ، والتصديق له، وقد ذكرنا بيانه ودليله في كتاب الإيمان، وفي كتاب الجامع، ونحن نذكر هاهنا طرفاً من ذلك.

أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن مرزوق، حدثنا أبو عامر، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قيل للنبي ﷺ: رأيت الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ¹ 2.

ورواه أيضا البراء بن عازب أتم منه.³

وفي هذا دلالة على أنه سمي صلاحهم إلى بيت المقدس إيماناً، وإذا ثبت ذلك في الصلاة، ثبت ذلك في سائر الطاعات، وقد سمي رسول الله ﷺ الطهور إيماناً. فقال في حديث أبي مالك الأشعري عنه: «الطُّهُورُ شَطْرُ

1 البقرة الآية (143).

2 أخرجه أحمد (295/1) وأبو داود (4680/60-59/5) والترمذي (2964/192/5).

3 أخرجه: أحمد (283/4) والبخاري (40/129-128/1) ومسلم (525/374/1) والترمذي (340/170-169/2) والنسائي (487/263-262/1) وابن ماجه (1010/323-322/1).

3 أخرجه: أحمد (342/5 و343-344) ومسلم (223/203/1) والترمذي (3517/501/5) وقال: "هذا حديث صحيح". والنسائي (2436/8/5) وفي الكبرى (2217/5/2) وابن ماجه (280/103-102/1).

الإيمان)...¹ ثم ساقه بسنده.²

وقال: والأحاديث في تسمية شرائع الإسلام إيماناً، وأن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد إذا كان الإسلام حقيقة، ولم يكن بمعنى الاستسلام، وأن الإيمان يزيد وينقص سوى ما ذكرنا كثيرة، وفيما ذكرنا هاهنا كفاية.

وقد روينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم عن عبدالله بن رواحة، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبي الدرداء، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وعثمان بن حنيف، وعُمير بن حبيب، وجندب، وعقبة بن عامر رضي الله عنهم.

ثم من التابعين وأتباعهم، عن جماعة يكثر تعدادهم.

وهو قول فقهاء الأمصار رحمهم الله: مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وغيرهم من أهل الحديث.

ورويناه عن قتبية بن سعيد، عن أبي يوسف القاضي.

وكل ذلك مذكور في كتاب الإيمان.³

وقال أيضاً: أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ قال: حدثني الزبير بن

1 أخرجه: أحمد (342/5 و343-344) ومسلم (223/203/1) والترمذي (3517/501/5) وقال: "هذا حديث صحيح". والنسائي (2436/8/5) وفي الكبرى (2217/5/2) وابن ماجه (102/1-103/280).

2 الاعتقاد للبيهقي (ص. 287-290).

3 الاعتقاد للبيهقي (ص. 295-296).

عبدالواحد الحافظ بأسدآباد قال: حدثني يوسف بن عبدالأحد قال: حدثنا الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قال الشيخ رحمه الله: وأما الاستثناء في الإيمان، فقد كان يستثني جماعة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وإنما رجع استثناءهم إلى كمال الإيمان وإلى بقائهم على إيمانهم في ثاني الحال، فأما أصل الإيمان، فكانوا لا يشكون في وجوده في الحال، وبأن يتغير حال إنسان في الإيمان، ولم يمنع كونه مؤمن بأنه في الحال قبل التغير، والله أعلم.

وقد أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثني أبو أحمد الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن شادل الهاشمي، حدثنا أحمد بن نصر المقرئ الزاهد، حدثنا عبدالله بن عبدالجبار الحمصي، حدثنا بقية بن الوليد، عن تمام بن نجيح قال: سألت رجل الحسن البصري عن الإيمان فقال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾¹. فوالله ما أدري منهم أنا أم لا؟

فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال، وإنما توقف في كماله الذي وعد الله عز وجل - لأهله الجنة بقوله: ﴿هُمَّ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾¹.

أخبرنا أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي، أخبرنا بشر بن أحمد المهرجاني، حدثنا داود بن الحسين البيهقي، سمعت محمد بن مقاتل المروزي وسعيد بن يعقوب، قالوا: حدثنا المؤمل بن إسماعيل قال: سمعت الثوري يقول: قد خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: الإيمان قول بلا عمل.

ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص.
ونحن نقول: أهل القبلة عندنا مؤمنون وأما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون.

فسفيان الثوري رحمه الله أخبر عن أهل السنة أنهم لا يقطعون بكونهم مؤمنين عند الله يعني: في ثاني الحال، لأن الله تعالى يعلم الغيب، فهو عالم بما يصير إليه حال العبد ثم يموت عليه، ونحن لا نعلمه فنكّل الأمر فيما لا نعلمه إلى عالمه خوفاً من سوء العاقبة، ونستثني على هذا المعنى، ونرجو من الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والأحاديث التي وردت في جريان القلم بما هو كائن، ورجوع كل إنسان إلى ما كتب له من الشقاوة والسعادة، وموته عليه، مانعة من قطع القول بما يكون في العاقبة،

حاملة على الاستثناء، وعلى الخوف من تبدل الحالة، والله يعصمنا من ذلك بفضلِهِ وسعة رحمته.¹

◀ موقفه من القدرية:

قال في كتاب الاعتقاد له (باب القول في خلق الأفعال): قال الله عز وجل: ﴿ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾²، فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر. وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾³ قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ⁴. فنفى أن يكون خالق غيره، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق. فلو كانت الأفعال غير مخلوقة، لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الآية. ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خالق الأعيان، والناس خالقي الأفعال، لكان خلق الناس أكثر من خلقه، ولكانوا أتم قوة منه، وأولى بصفة المدح من ربه سبحانه، ولأن الله تعالى قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁵. فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل.

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب: ثنا محمد ابن عبيدالله بن المنادي: ثنا يونس بن محمد: ثنا شيبان، عن قتادة في قوله:

1 الاعتقاد للبيهقي (ص. 296-299).

2 غافر الآية (62).

3 الرعد الآية (16).

4 الصافات الآية (96).

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾¹. قال: الأصنام. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ﴾². قال: خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم.

قلنا: ولأن الله تعالى قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ^ط وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾³. فامتدح بالقولين جميعا، فكما لا يخرج شيء من علمه، لا

يخرج شيء غيره من خلقه. ولأنه قال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ^ط

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁴ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ^ط فأخبر أن قولهم

وسرهم وجهرهم خلقه، وهو بجميع ذلك عليم. وقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ

وَأَبْكَى﴾⁵. كما قال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾⁶. فكما كان مميتا

محييا، بأن خلق الموت والحياة، كان مضحكا مبكيا، بأن خلق الضحك

والبكاء. وقد يضحك الكافر سرورا بقتل المسلمين، وهو منه كفر، وقد

يبكي حزنا بظهور المسلمين، وهو منه كفر. فثبت أن الأفعال كلها خيرها

وشرها، صادرة عن خلقه وإحداثه إياها.⁷

1 الصفات الآية (95).

2 الصفات الآية (96).

3 الأنعام الآية (101).

4 الملك الآيتان (13) و(14).

5 النجم الآية (43).

6 النجم الآية (44).

7 الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص. 142-143).

وله فصل في الرد على القدرية في كتابه شعب الإيمان طبع في رسالة مستقلة.

السهروردي¹ (458 سنة وفاة البيهقي وهو من أقرانه)

الإمام أبو عمرو عثمان بن أبي الحسن بن الحسين السهروردي.

◀ موقفه من الجهمية:

له من الآثار السلفية: كتاب في أصول الدين، ذكره ابن القيم ونقل منه ما يتعلق بمسألة الاستواء، وكلامه من أجود ما يكون.

قال عنه الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش: له كتاب في أصول الدين قال في أوله: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام على الأديان. وزين أهله بزينة الإيمان. وجعل السنة عصمة أهل الهداية. ومجانبتها إمارة أهل الغواية، وأعز أهلها بالاستقامة، ووصل عزهم بالقيامة، وصلى الله على محمد وسلم وعلى آله أجمعين. وبعد.

فإن الله تعالى لما جعل الإسلام ركن الهدى، والسنة سبب النجاة من الردى، ولم يجعل من ابتغى غير الإسلام ديناً هادياً، ولا من انتحل غير الإسلام نحلة ناجية، جمعت أصول السنة الناجية أهلها التي لا يسع الجاهل نكرها، ولا العالم جهلها، ومن سلك غيرها من المسالك. فهو في أودية البدع هالك.

إلى أن قال: ودعائي إلى جمع هذا المختصر في اعتقاد السنة على مذهب

1 اجتماع الجيوش الإسلامية (ص. 169).

الشافعي وأصحاب الحديث، إذ هم أمراء العلم، وأئمة الإسلام قول النبي ﷺ «تكون البدع في آخر الزمان محنة، فإذا كان كذلك فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ»¹، ثم ساق الكلام في الصفات إلى أن قال:

فصل: ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسول الله ﷺ بلا كيف. ودليله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾². وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾³. وقوله تعالى في خمس مواضع: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾. وقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَرَأَفِعَكَ إِلَيْنِ﴾⁴.

وساق آيات العلو ثم قال: وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله سبحانه مستو على عرشه، وعرشه فوق سبع سمواته، ثم ذكر كلام عبدالله بن المبارك: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه، وساق قول ابن خزيمة: من لم يقر بأن الله تعالى فوق عرشه

1 ابن عساکر (80/54) من طريق خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن معاذ مرفوعاً بلفظ: «إذا ظهرت البدع، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فليشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ». والحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله (انظر الضعيفة 1506).

2 طه الآية (5).

3 الفرقان الآية (59).

4 آل عمران الآية (55).

المرابطين. وقام بالجهاد ودانت له الصحراء. ثم ضاقت الصحراء بهم وأرادوا إعلان الحق وأن يسيروا إلى الأندلس للغزو، فأتوا السوس (وعاصمتها طنجة) فحاربهم أهلها فقتل ابن ياسين وانهزم أبو بكر بن عمر. ثم انتصر بعد ذلك. وتمكن من سجلماسة أيضا. فاستناب أبو بكر عليها يوسف بن تاشفين ابن عمه. ورجع هو إلى الصحراء وخطب لنفسه. وقال صاحب "المغرب عن سيرة ملك المغرب": إن أبا بكر بن عمر كان رجلا ساذجا خيرا الطبع مؤثرا لبلاده المغرب غير ميال إلى الرفاهية. توفي رحمه الله بالصحراء في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، فتملك بعده ابن تاشفين.

◀ موقفه من المشركين:

قال الذهبي: ظهر بعد الأربعين وأربع مئة، فذكر علي بن أبي فنون قاضي مراكش أن جوهرًا -رجلا من المرابطين- قدم من الصحراء إلى بلاد المغرب ليحج -والصحراء برية واسعة جنوبي فاس وتلمسان، متصلة بأرض السودان، ويذكر لمتونة أنهم من حمير نزلوا في الجاهلية بهذه البراري، وأول ما فشا فيهم الإسلام في حدود سنة أربع مئة، ثم آمن سائرهم، وسار إليهم من يذكر لهم جملا من الشريعة، فحسن إسلامهم -ثم حج الفقيه المذكور، وكان دينا خيرا، فمر بفقيه يقرئ مذهب مالك -ولعله أبو عمران الفاسي بالقيروان- فجالسه وحج، ورجع إليه، ثم قال: يا فقيه ما عندنا في الصحراء من العلم إلا الشهادتين والصلاة في بعضنا. قال: خذ معك من يعلمهم الدين. قال جوهر: نعم وعلي كرامته. فقال لابن أخيه: يا عمر اذهب مع هذا. فامتنع، فقال لعبدالله بن ياسين: اذهب معه. فأرسله. وكان عالما قويا

أوجبوا قتله بحكم أنه شق العصا، فقال: وأنا أحب لقاء الله. فصلى ركعتين، وقتل. وكثرت المرابطون، وقتلوا، ونهبوا، وعاتوا، وبلغت الأخبار إلى ذلك الفقيه بما فعل ابن ياسين، فاسترجع وندم، وكتب إليه ينكر عليه كثرة القتل والسبي، فأجاب يعتذر بأن هؤلاء كانوا جاهلية يزنون، ويغير بعضهم على بعض، وما تجاوزت الشرع فيهم. وفي سنة خمسين وأربع مئة قحطت بلادهم، وماتت مواشيهم، فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالمسير إلى السوس وأخذ الزكاة، فقدم سجلماسة منهم سبع مئة، وسألوا الزكاة، فجمعوا لهم مالا، فرجعوا به، ثم ضاقت الصحراء بهم، وأرادوا إعلان الحق، وأن يسيروا إلى الأندلس للغزو، فأتوا السوس، فحاربهم أهلها، فقتل عبدالله بن ياسين، وانهمز أبو بكر بن عمر، ثم حشد وجمع وأقبل، فالتقوه، فانتصر، وأخذ أسلحتهم، وقوي جاشه، ثم نازل سجلماسة، وطالب أهلها بالزكاة، فبرز ل حربهم مسعود الأمير، وطالت بينهم الحرب مرات، ثم قتلوا مسعودا، وملكوا سجلماسة، فاستناب أبو بكر عليها يوسف بن تاشفين ابن عمه، فأحسن السيرة، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة، ورجع الملك أبو بكر إلى الصحراء، ثم قدم سجلماسة، وخطب لنفسه، واستعمل عليها ابن أخيه، وجهاز جيشه مع ابن تاشفين، فافتتح السوس، وكان ابن تاشفين ذا هيئة شجاعا، سائسا. توفي الملك أبو بكر اللمتوني بالصحراء في سنة اثنتين وستين وأربع مئة، فتملك بعده ابن تاشفين، ودانت له الأمم.¹

ابن عبد البر¹ (463 هـ)

الإمام، شيخ الإسلام، حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة. حدث عن خلف بن القاسم وعبد الوارث بن سفيان وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن وسعيد بن نصر، وعدة. وحدث عنه أبو محمد بن حزم، والحافظ أبو عبد الله الحميدي، وأبو علي الغساني.

قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث، وقال: أبو عمر أحفظ أهل المغرب. وقال الحميدي: أبو عمر فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف، وبعلم الحديث والرجال، قديم السماع. وقال الذهبي: كان إماما ديناً، ثقة، متقناً، علامة، متبحراً، صاحب سنة واتباع. وقال: كان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله.

من تصانيفه كتاب 'التمهيد' و'الاستذكار' و'الاستيعاب' و'جامع بيلكن العلم' وغيرهما كثير. وقال ابن حزم عن التمهيد: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه.

توفي بشاطبة سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة وخمسة أيام، رحمه الله.

1 السير (163-153/18) وترتيب المدارك (353-352/2) ووفيات الأعيان (72-66/7) وتذكرة الحفاظ (1132-1128/3) والبداية والنهاية (111/12) والدياج المنعب (370-367/2) وشنرات النعب (316-314/3).

◀ موقفه من المبتدعة:

- جاء في التمهيد: مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب، أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ نهي عن مثل هذا، إلا مثلاً بمثل، فقال له معاوية: ما أرى بهذا بأساً، فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه لا أساكنك أرضاً أنت بها، ثم قدم أبو الدرداء على عمر فذكر ذلك له، فكتب عمر إلى معاوية أن لا يبيع ذلك إلا مثلاً بمثل، وزناً بوزن.¹

ثم ساق أبو عمر بسنده أن عبادة أنكر على معاوية شيئاً فقال: لا أساكنك بأرض أنت بها ورحل إلى المدينة فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره فقال: ارجع إلى مكانك فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمارة لك عليه.

قال أبو عمر: فقول عبادة: لا أساكنك بأرض أنت بها، وقول أبي الدرداء، على ما في حديث زيد بن أسلم يحتمل أن يكون القائل ذلك قد خاف على نفسه الفتنة لبقائه بأرض ينفذ فيها في العلم قول خلاف الحق عنده، وربما كان ذلك منه أنفة لمجاورة من رد عليه سنة علمها من سنن رسول الله ﷺ برأيه، وقد تضيق صدور العلماء عند مثل هذا، وهو عندهم عظيم: رد السنن بالرأي.

وجائز للمرء أن يهجر من خاف الضلال عليه، ولم يسمع منه، ولم

1 تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي الدرداء سنة (32هـ).

يطعه، وخاف أن يضل غيره، وليس هذا من الهجرة المكروهة؛ ألا ترى أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن لا يكلموا كعب بن مالك حين أحدث في تخلفه عن تبوك ما أحدث، حتى تاب الله عليه¹، وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته، وقطع الكلام معه. وقد حلف ابن مسعود أن لا يكلم رجلا رآه يضحك في جنازة:

أخبرنا عبدالرحمن بن يحيى، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا عبدالملك بن بحر، قال: حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا العباس بن الوليد، قال: حدثنا سفيان عن عبدالرحمن بن حميد الرؤاسي، عن رجل من عبس، أن ابن مسعود رأى رجلا يضحك في جنازة، فقال: تضحك وأنت في جنازة؟ والله لا أكلمك أبدا.

وغير نكير أن يجهل معاوية ما قد علم أبو الدرداء وعبادة؛ فإنهما جليلان من فقهاء الصحابة وكبارهم.²

- وقال رحمه الله عقب إirاده لحديث: «إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»³: وفيه الحض على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف، وحبل الله في هذا الموضوع

1 أحمد (456/3-459) والبخاري (4677/436/8) ومسلم (2120/4-2769/2128) وأخرجه أبو داود (2202/652/2) والترمذي (3102/264-263/5) والنسائي (3423/465-464/6) مختصرا.

2 فتح البير (178/1-179).

3 أحمد (327/2) ومسلم (1715/1340/3) عن أبي هريرة.

فيه قولان: أحدهما: كتاب الله، والآخر: الجماعة - ولا جماعة إلا بإمام. وهو -عندي- معنى متداخل متقارب، لأن كتاب الله يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، قال الله -عز وجل-: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا»¹ الآية. وقال: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا»². اهـ³

- قال أبو عمر: ليس أحد من خلق الله إلا وهو يوخذ من قوله، ويترك، إلا النبي ﷺ، فإنه لا يترك من قوله، إلا ما تركه هو ونسخه، قولاً أو عملاً، والحجة فيما قال ﷺ، وليس في قول غيره حجة...⁴

- قال أبو عمر: يقال لمن قال بالتقليد: لم قلت به وخالفت السلف في ذلك فإنهم لم يقلدوا؟ فإن قال: قلدت لأن كتاب الله لا علم لي بتأويله، وسنة رسول الله ﷺ لم أحصها، والذي قلدته قد علم ذلك، فقلدت من هو أعلم مني. قيل له: أما العلماء إذا أجمعوا على شيء من تأويل الكتاب أو حكاية عن سنة رسوله ﷺ أو اجتمع رأيهم على شيء فهو الحق لا شك فيه، ولكن قد اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض، فما حجتك في تقليد بعضهم دون بعض وكلهم عالم؟ ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهبت إلى مذهبه، فإن قال: "قلدته لأني أعلم أنه على صواب". قيل له: علمت ذلك بدليل من كتاب الله أو سنة أو إجماع؟ فإن قال: "نعم" أبطل

1 آل عمران الآية (105).

2 آل عمران الآية (103).

3 فتح البير (1/120).

4 فتح البير (9/336).

التقليد، وطولب بما ادعاه من الدليل، وإن قال: "قلدته لأنه أعلم مني" قيل له: فقلد كل من هو أعلم منك، فإنك تجد من ذلك خلقا كثيرا، ولا تخصص من قلدته إذ علتك فيه أنه أعلم منك، فإن قال: "قلدته لأنه أعلم الناس" قيل له: فإنه إذا أعلم من الصحابة، وكفى بقول مثل هذا قبحا. فإن قال: "أنا أقلد بعض الصحابة" قيل له: فما حجتك في ترك من لم تقلد منهم؟ ولعل من تركت قوله منهم أفضل ممن أخذت بقوله، على أن القول لا يصح لفضل قائله، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه.

وقد ذكر ابن مزين عن عيسى بن دينار قال: عن القاسم عن مالك قال: ليس كلما قال رجل قولا وإن كان له فضل يتبع عليه، لقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾¹ فإن قال: "قصوي وقلة علمي يحملني على التقليد" قيل له: أما من قلد فيما يترل به من أحكام شريعته عالما يتفق له على علمه فيصدر في ذلك عما يخبره فمعدور، لأنه قد أدى ما عليه، وأدى ما لزمه فيما نزل به لجهله، ولا بد له من تقليد عالم فيما جهله لإجماع المسلمين أن المكفوف يقلد من يثق بخبره في القبلة، لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك، ولكن من كانت هذه حاله هل تجوز له الفتيا في شرائع دين الله فيحمل غيره على إباحة الفروج وإراقة الدماء واسترقاق الرقاب وإزالة الأملاك وبصيرها إلى غير ما كانت في يديه بقول لا يعرف صحته ولا قام الدليل عليه، وهو مقر أن قائله يخطئ ويصيب، وأن مخالفه في

ذلك ربما كان المصيب فيما خالفه فيه؟ فإن أجاز الفتوى لمن جهل الأصل والمعنى لحفظه الفروع لزمه أن يجيزه للعامّة، وكفى بهذا جهلا وردا للقرآن وقال الله تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»¹ وقال: «أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»² وقد أجمع العلماء على أن ما لم يتبين ولم يتيقن فليس بعلم وإنما هو ظن والظن لا يغني عن الحق شيئا.³

◀ موقفه من الرفض:

- قال ابن عبد البر: وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه - والله أعلم، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبدلون.⁴

- قال أبو عمر: الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ.⁵

- قال أبو عمر: ومن أوكد آيات السنن المعينة عليها، والمؤيدة إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم ﷺ إلى الناس كافة، وحفظوها عليه،

1 الإسراء الآية (36).

2 الأعراف الآية (28).

3 جامع بيان العلم وفضله (994/2-996).

4 التمهيد (262/20) وانظر فتح البر (200/1-201).

5 جامع بيان العلم وفضله (1168/2).

وبلغوها عنه، وهم صحابته الخواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عزوجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضله الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تركية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾¹ الآية. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه، وليس كذلك جميع من رآه ولا جميع من آمن به، وسترى منازلهم من الدين والإيمان، وفضائل ذوي الفضل والتقدم منهم، فالله قد فضل بعض النبيين على بعض، وكذلك سائر المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وقال عزوجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾²... الآية.³

1 الفتح الآية (29).

2 التوبة الآية (100).

3 مقلمة الاستيعاب (2-1/1).

◀ موقفه من الصوفية:

- قال رحمه في الاستذكار: وفي حديث سويد بن النعمان¹ إباحة اتخاذ الزاد في السفر، وفي ذلك رد على الصوفية الذين يقولون: لا ندخر بعد، فإن غدا له رزق جديد.²

- وقال في التمهيد: وفي هذا الحديث دليل على أن الصالحين والفضلاء لا يستغنون عن الزاد في سفرهم، وهو يبطل مذهب الصوفية الذين لا يدخرون لغد.³

◀ موقفه من الجهمية:

هذا الإمام أجمع الناس على علمه وحفظه وتبحره في كل الفنون، وأصبح مرجعا لمن جاء بعده، وترك تراثا قيما شكره عليه الأولون والآخرون، لما فيه من جواهر غالية. وركز في كتابين له على بيان العقيدة السلفية: جامع بيان العلم وفضله وهو من أحسن المراجع في هذا الباب، وكتاب التمهيد ذكر فيه عقيدة كاملة بحججها وبراهينها، وشبهه المبتدعة وردها والجواب عنها. وسألخص ما جاء في التمهيد حتى يكون أنموذجا ومثالا لما يقول. وذلك في سياق حديث أبي هريرة «يتزل ربنا إلى السماء

1 وهو "أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهراء نزل رسول الله ﷺ فصلى العصر، ثم دعا بالأزواد فلم يوت إلا بالسويق، فأمر به فثري، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا...".

أخرجه: أحمد (462/3) والبخاري (209/412/1) والنسائي (186/117/1) وابن ماجه (492/165/1).

2 الاستذكار (151/2).

3 فتح البر (379/3).

الدنيا...» الحديث).¹

- قال أبو عمر: وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش. والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك، قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾² ثم ساق الآيات التي تدل على استواء الله على عرشه ثم قال: وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة، وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد. ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى﴾ قال: علا، قال: وتقول العرب: استويت

1 تقدم من حديث أبي هريرة ضمن مواقف حماد بن سلمة سنة (167هـ).

2 طه الآية (5).

فوق الدابة واستويت فوق البيت وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد.

قال أبو عمر: الاستواء: الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله عز وجل وقال: «لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ»¹ وقال: «وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ»² وقال: «فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ»³ وقال الشاعر:

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى
وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: استولى: لأن النجم لا يستولي. وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة قال: حدثني الخليل وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا! فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال. قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا. قال الخليل: هو من قول الله عز وجل: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ»⁴ فصعدنا إليه فقال: هل لكم في خبز فطير ولبن هجير وماء نمير؟ فقلنا الساعة فارقناه فقال: سلاما فلم ندر ما قال، فقال الأعرابي: إنه

1 الزخرف الآية (13).

2 هود الآية (44).

3 المؤمنون الآية (28).

4 فصلت الآية (11).

سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر قال الخليل: هو من قول الله عز وجل:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾¹

شبه الجهمية والجواب عليها:

وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبدالله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبدالصمد عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾³: على جميع بريته، فلا يخلو منه مكان فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس ونقلته مجهولون ضعفاء، فأما عبدالله بن داود الواسطي وعبدالوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبدالصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا أو أنصفوا؟ أما سمعوا الله عز وجل حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنُّ ابْنَ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾⁴ أسبب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كذبا⁴، فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول: إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا.

1 الفرقان الآية (63).

2 التمهيد (7/129-132) وانظر فتح البر (7/2-10).

3 طه الآية (5).

4 غافر الآيات (36 و37).

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد
ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة:

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته فرائضهم من شدة الخوف ترعد

قال أبو عمر: فإن احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي

السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ¹﴾ وبقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي

الْأَرْضِ²﴾ وبقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ³﴾.

وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى قيل

لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة: أنه ليس في الأرض دون

السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه وذلك

أنه في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل

الأرض وكذلك قال أهل العلم بالتفسير. فظاهر التبريل يشهد على أنه على

العرش، والاختلاف في ذلك بيننا فقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر،

وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ فالإجماع والاتفاق قد

بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض فتدبر هذا، فإنه قاطع إن شاء الله. ومن

1 الزخرف الآية (84).

2 الأنعام الآية (3).

3 المجادلة الآية (7).

الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السماوات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كرههم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء ثم قال لها: «من أنا؟» قالت: رسول الله قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة»¹ فاكتمى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء...

ثم قال: وأما احتجاجهم: لو كان في مكان لأشبهه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق فشيء لا يلزم ولا معنى له لأنه عز وجل ليس كمثل شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته، لا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة والسماوات والأرض وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء وخالق كل شيء لا شريك له. وقد قال المسلمون وكل ذي عقل: إنه لا يعقل كائن لا في مكان ما وما ليس في مكان فهو عدم. وقد صح في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بمعدوم فكيف يقاس على شيء من خلقه؟ أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا الذي لا يبلغ من وصفه إلا إلى ما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه ورسوله، أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية عنه. فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا أنه

1 تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي عمرو عثمان السهروردي سنة (458هـ).

كان لا في مكان ثم خلق الأماكن فصار في مكان وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال، إذ زال عن صفته في الأزلى وصار في مكان دون مكان، قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان وانتقل إلى صفة هي الكون في كل مكان، فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان إلى كل مكان، وهذا لا ينفك منه لأنه إن زعم أنه في الأزلى في كل مكان كما هو الآن فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه في أزله وهذا فاسد. فإن قيل: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزلى إلى مكان؟ قيل له: أما الانتقال وتغيير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه في الأزلى لا يوجب مكانا وكذلك نقله لا يوجب مكانا، وليس في ذلك كالمخلوق لأن كون ما كونه يوجب مكانا من الخلق ونقلته توجب مكانا، ويصير منتقلا من مكان إلى مكان والله عز وجل ليس كذلك لأنه في الأزلى غير كائن في مكان وكذلك نقلته لا توجب مكانا وهذا ما لا تقدر العقول على دفعه ولكننا نقول: استوى من لا مكان إلى مكان ولا نقول انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحدا. ألا ترى أنا نقول: له عرش ولا نقول له سرير ومعناها واحد: ونقول: هو الحكيم ولا نقول: هو العاقل ونقول: خليل إبراهيم ولا نقول: صديق إبراهيم وإن كان المعنى في ذلك كله واحدا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمي به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن وقد قال الله عز

وجل: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا»¹ وليس بجيء حركة ولا زوالا ولا انتقالا لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسما أو جوهرًا، فلمَّا ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون بجيء حركة ولا نقلة ولو اعتبرت ذلك بقولهم: جاءت فلانا قيامته وجاءه الموت وجاءه المرض وشبه ذلك. مما هو موجود نازل به ولا يجيء، لبان لك وبالله العصمة والتوفيق.

فإن قال: إنه لا يكون مستويا على مكان إلا مقرونا بالتكيف؛ قيل: قد يكون الاستواء واجبا والتكيف مرتفع وليس رفع التكيف يوجب رفع الاستواء ولو لزم هذا لزم التكيف في الأزل لأنه لا يكون كائن في لا مكلن إلا مقرونا بالتكيف، وقد عقلنا وأدركتنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه...

قال أبو عمر: وأما احتجاجهم بقوله عز وجل: «مَا يَكُونُ مِنْ

نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا»² فلا حجة لهم في ظاهر

هذه الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

1 الفجر الآية (22).

2 المجادلة الآية (7).

ثم قال أبو عمر بعد كلام وسياق لأحاديث بعض الصفات: أهل السنة يجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يجدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله. ثم قال أبو عمر بعد سياق لمجموعة من الصفات: الذي أقول: إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبدالرحمن وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة لا من قبل حركة ولا من باب الكل والبعض ولا من باب كان ويكون. ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا في الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما، ما أضاعوه ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديهم ولا أظن في مدحهم وتعظيمهم ولو كان ذلك من عملهم مشهورا أو من أخلاقهم معروفا لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات.

ثم قال أبو عمر بعد سوق رواية أحاديث الرؤية: وأهل البدع المخالفون لنا في هذا التأويل يقولون: إن من جوز مثل هذا وأمكن عنده فقد كفر، فيلزمهم تكفير موسى نبي الله ﷺ وكفى بتكفيره كفرا وجهلا.¹

✓ التعليق:

ما أدري ماذا يقول متعصبة الأشاعرة المنتسبون إلى المالكية خصوصا والأشاعرة عموما في كلام هذا الإمام، هل سيعدونه مشبها أو حنبليا متعصبا أو حشويا متبلدا، أو سيضعون الرمال فوق هذه الوديان والبحار المنسابة بالحق ونور النبوة المتوارث، فلا أدري كم يكفيهم من مقدار لسد ذلك وتغطيته، أو سيقولون إن أبا عمر لم يكن في العلم والحفظ بذلك. أو سيقولون: إن حافظ المشرق والمغرب أعلم بمذاهب الناس وأكثرهم فهما لها، فالحق معه وهذا الذي قرره ينبغي لكل مسلم يؤمن بنبوة محمد ﷺ أن يتبعه وهذا هو الظن بهم إن شاء الله وبأمثالهم ممن يطلب الحق ويبحث عنه.

بقية آراء ومواقف أبي عمر:

- جاء في جامع بيان العلم وفضله بعد أن ساق قول مالك في بدعة الكلام قال: والذي قاله مالك رحمه الله، عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع -المعتزلة وسائر الفرق- وأما الجماعة على ما قال مالك رحمه الله، إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشى ضلال عامة أو نحو هذا.¹

- وفيه قال رحمه الله: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء وإنما

1 جامع بيان العلم وفضله (938/2).

العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم.¹

- وجاء فيه عنه قال رحمه الله: وتناظر القوم وتجادلوا في الفقه وهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين. ألا ترى مناظرة بشر في قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾² قال: هو بذاته في كل مكان فقال له خصمه: فهو في قلنسوتك وفي حشك وفي جوف حمارك، تعالى الله عما يقولون. حكى ذلك وكيع.

وأنا والله أكره أن أحكي كلامهم قبهم الله.³

- وفيه قال رحمه الله: في الكلام على الصفات: رواها السلف وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما وأقلهم تكلفا ولم يكن سكوتهم عن عي فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر.⁴

- وجاء فيه عند الكلام على الصفات: ليس في الاعتقاد في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه.⁵

1 جامع بيان العلم وفضله (942/2).

2 المجادلة الآية (7).

3 جامع بيان العلم وفضله (948/2).

4 جامع بيان العلم وفضله (946/2).

5 جامع بيان العلم وفضله (943/2).

آثاره السلفية:

1- 'كتاب الشواهد في إثبات خبر الواحد'.

2- 'كتاب الإنصاف في أسماء الله تعالى'.

◀ موقفه من الخوارج:

- قال أبو عمر: كان للخوارج مع خروجهم تأويلات في القرآن ومذاهب سوء مفارقة لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين أخذوا الكتاب والسنة عنهم، وتفقهوا معهم، فخالفوا في تأويلهم مذاهبهم الصحابة والتابعين وكفروهم، وأوجبوا على الحائض الصلاة، ودفَعوا رجم المحصن الزاني، ومنهم من دفع الظهر والعصر، وكفروا المسلمين بالمعاصي، واستحلوا بالذنوب دماءهم، وكان خروجهم فيما زعموا -تغيرا للمنكر ورد الباطل- فكان ما جاءوا به أعظم المنكر وأشد الباطل إلى قبيح مذاهبهم، مما قد وقفنا على أكثرها، وليس هذا والحمد لله موضع ذكرها، فهذا أصل أمر الخوارج، وأول خروجهم كان على علي رضي الله عنه فقتلهم بالنهروان، ثم بقيت منهم بقايا من أنسابهم ومن غير أنسابهم على مذاهبهم، يتناسلون ويعتقدون مذاهبهم، وهم بحمد الله -مع الجماعة مستترون بسوء مذهبهم، غير مظهرين لذلك ولا ظاهرين به- والحمد لله، وكان للقوم صلاة بالليل والنهار، وصيام، يحتقر الناس أعمالهم عندها، وكانوا يتلون القرآن آناء الله والنهار، ولم يكن يتجاوز حناجرهم ولا تراقبهم، لأنهم كانوا يتأولونه بغير علم بالسنة المبينة، فكانوا قد حرموا فهمه

والأجر على تلاوته، فهذا والله أعلم -معنى قوله: لا يجاوز حناجرهم- يقول: لا ينتفعون بقراءته، كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب بما لا يجاوز حنجرته.

وقد قيل: إن معنى ذلك: أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم ولا تعتقده قلوبهم، وهذا إنما هو في المنافقين.¹

حكم من شق عصا المسلمين:

- قال أبو عمر: أجمع العلماء على أن من شق العصا وفارق الجماعة، وشهر على المسلمين السلاح، وأخاف السبيل، وأفسد بالقتل والسلب، فقتلهم وإراقة دمائهم واجب، لأن هذا من الفساد العظيم في الأرض، والفساد في الأرض موجب لإراقة الدماء بإجماع، إلا أن يتوب فاعل ذلك من قبل أن يقدر عليه، والانهزام عندهم ضرب من التوبة، وكذلك من عجز عن القتال، لم يقتل إلا بما وجب عليه قبل ذلك. ومن أهل الحديث طائفة تراهم كفاراً على ظواهر الأحاديث فيهم مثل قوله ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»² ومثل قوله: «ممرقون من الدين»³، وهي آثار يعارضها غيرها فيمن لا يشرك بالله شيئاً، ويريد بعمله وجهه، -وإن أخطأ في حكمه واجتهاده- والنظر يشهد أن الكفر لا يكون إلا بضد الحال التي يكون بها

1 فتح البر (458/1-459).

2 أحمد (329/2) والبخاري (6873/192/12) ومسلم (98/98-99-100-101) عن جمع من الصحابة

رضي الله عنهم، منهم ابن عمر وأبو موسى وأبو هريرة وغيرهم.

3 تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي سعيد الخدري سنة (63هـ).

الإيمان، لأئهما ضدان.¹

- وقال رحمه الله: والمعنى فيه² عند أهل الفقه والأثر: أهل السنة والجماعة: النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنوب، أو تأويل لا يخرج منه من الإسلام عند الجميع، فورد النهي عن تكفير المسلم في هذا الحديث وغيره بلفظ الخير دون لفظ النهي، وهذا موجود في القرآن والسنة، ومعروف في لسان العرب.

وفي سماع أشهب: سئل مالك عن قول رسول الله ﷺ: «من قال لرجل يا كافر فقد باء بها أحدهما»³، قال: أرى ذلك في الحرورية، فقلت له: أفتراهم بذلك كفارا؟ فقال: ما أدري ما هذا؟ ومثل قوله ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»⁴، وقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»⁵ وقوله: «لا ترغبوا عن آباءكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم»⁶. ومثل هذا كثير من الآثار التي وردت بلفظ التغليظ، وليست على ظاهرها عند أهل

1 فتح البر (473/1).

2 أي حديث ابن عمر مرفوعا: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». أخرجه: أحمد (2/11 و18 و44) والبخاري (10/514/6104) ومسلم (1/79/111 [60]) والترمذي (5/22/2637).

3 انظر الذي قبله.

4 أحمد (1/439) والبخاري (1/110/48) ومسلم (1/81/116-117) والترمذي (4/353/1983) والنسائي (7/137-139/4115-4124) وابن ماجه (1/28/69) عن ابن مسعود وسعد وأبي هريرة رضي الله عنهم.

5 البخاري (1/217/121) ومسلم (1/81/118) وأبو داود (5/63/4686) والترمذي (4/486/2193) والنسائي (7/126-128/4135-4143) وابن ماجه (2/1300/3942) عن جماعة من الصحابة: جرير، ابن

عمر، ابن عباس... رضي الله عنهم.

6 البخاري (12/54/6768) ومسلم (1/80/113).

الحق والعلم، لأصول تدفعها أقوى منها من الكتاب والسنة المجتمع عليها، والآثار الثابتة أيضا من جهة الإسناد، وهذا باب يتسع القول فيه ويكثر، فنذكر منه ههنا ما فيه كفاية - إن شاء الله -، وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب، فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير المذنبين.

واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها، مثل قوله عز وجل: «وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»¹ وقوله: «أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»² وقوله: «إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ»³ وقوله: «إِنْ هُمْ إِلَّا سَخِرُصُونَ»⁴ وقوله: «وَهُمْ مَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا»⁵ ونحو هذا. وروي عن ابن عباس في قول الله عز وجل: «وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» قال: ليس بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر. وقد أوضحنا معنى الكفر في اللغة في مواضع من هذا الكتاب، والحجة عليهم قول الله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

1 المائدة الآية (44).

2 المحررات الآية (2).

3 الجاثية الآية (32).

4 الزخرف الآية (20).

5 الكهف الآية (104).

يَشَاءُ¹. ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب، لأن الشرك ممن تاب منه قبل الموت - وانتهى عنه غفر له، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعاً، قلل الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ²﴾.

وقد وردت آيات في القرآن محكمات، تدل أنه لا يكفر أحد إلا بعد العلم والعناد، منها قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ³﴾ و﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ⁴﴾ وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ⁵﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ⁶﴾ وقوله: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ⁷﴾ إلى قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ⁸﴾، ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن

1 النساء الآية (48) والآية (116).

2 الأنفال الآية (38).

3 آل عمران الآية (71).

4 آل عمران الآية (70).

5 آل عمران الآية (75).

6 النساء الآية (153).

كَشَفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا
 كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٦٧﴾¹، ثم
 قال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا
 يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٦٨﴾²، ثم ذكر الأمم فقال: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
 لِيَأْخُذُوهُ^٣ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ^٤ ﴿١٦٩﴾³ ثم
 ذكر الأمم فقال: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا
 سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿١٧٠﴾^٥ أَتَوَاصَوْا بِهِ^٦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴿١٧١﴾⁴ ولذلك
 قال: ﴿تَشَبَّهتْ قُلُوبُهُمْ^٥﴾⁵. ﴿وَخُضِّمُ كَالَّذِي خَاضُوا^٦﴾⁶. وقلل: ﴿وَإِذْ
 قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ
 اللَّهِ إِلَيْكُمْ^٧﴾⁷، وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

1 الأعراف الآيات (132-135).

2 المؤمنون الآية (76).

3 غافر الآية (5).

4 الذاريات الآيات (52 و53).

5 البقرة الآية (118).

6 التوبة الآية (69).

7 الصف الآية (5).

بَيْنَهُمْ^١ وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^٢ وقال: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾^٣ وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ^٤﴾ وقال: ﴿شَهِيدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ^٥﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^٦ ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^٦ وقال: ﴿وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾^٧ وقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ^٨﴾ إلى آيات كثيرة في معنى ما ذكرنا، كلها تدل على معاندة الكفار، وأنهم إنما كفروا بالمعاندة والاستكبار، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^٩ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ^{١٠}﴾، وقوله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله

1 الشورى الآية (14).

2 البقرة الآية (22).

3 المؤمنون الآية (70).

4 الجاثية الآية (23).

5 التوبة الآية (17).

6 فاطر الأيتان (42 و43).

7 حمد الآية (32).

8 النمل الآية (14).

9 الإسراء الآية (15).

10 التوبة الآية (115).

شيئا دخل الجنة، ومن مات وهو يشرك بالله شيئا فهو في النار»¹. وجعل الله عز وجل في بعض الكبائر حدودا جعلها طهرة، وفرض كفارات في كتابه للذنوب من التقرب إليه بما يرضيه، فجعل على القاذف جلد ثمانين إن لم يأت بأربعة شهداء، ولم يجعله بقذفه كافرا، وجعل على الزاني مائة، وذلك طهرة له، كما قال ﷺ في التي رجمها: «لقد خرجت من ذنوبها كيوم ولدتها أمها». وقال ﷺ: «من أقيم عليه الحد فهو له كفارة، ومن لم يقم عليه حده فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»² وما لم يجعل فيه حدا فرض فيه التوبة منه، والخروج عنه إن كان ظلما لعباده، وليس في شيء من السنن المجتمع عليها ما يدل على تكفير أحد بذنوبه، وقد أحاط العلم بأن العقوبت على الذنوب كفارات، وجاءت بذلك السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ كما جاءت بكفارة الأيمان والظهار والفطر في رمضان، وأجمع علماء المسلمين أن الكافر لا يرث المسلم، وأجمعوا أن المذنب - وإن مات مصرا - يرثه ورثته، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين. وقال ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم»³، وقال ﷺ: «الندم توبة»⁴ رواه عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ،

1 البخاري (1237/110/3) ومسلم (92/94/1).

2 الدارمي (182/2) وذكره الهيثمي في المجمع (268/6) وقال: "رواه الطبراني وأحمد بنحوه وفيه راو لم يسم وهو ابن خزيمه، وبقية رجاله ثقات".

3 البخاري (955/448/2) ومسلم (1961/1553/3).

4 أحمد (433-423-376/1) وابن ماجه (4252/1420/2) والحاكم (243/4) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي.

وقال ﷺ: «ليس أحد من خلق الله إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة، إلا يحيى بن زكرياء»¹، وقال ﷺ: «لولا أنكم تذبون وتستغفرون لذهب الله بكم وجلء بقوم يذبون ويستغفرون فيغفر لهم، إن الله يحب أن يغفر لعباده»².
ومن هذا قول الأول:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما
فهذه الأصول كلها تشهد على أن الذنوب لا يكفر بها أحد، وهذا يبين لك أن قوله ﷺ: «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما»، أنه ليس على ظاهره، وأن المعنى فيه النهي عن أن يقول أحد لأخيه: كافر، أو يا كافر.

قيل لجابر بن عبد الله: يا أبا محمد، هل كنتم تسمون شيئا من الذنوب كفرا أو شركا أو نفاقا؟ قال: معاذ الله، ولكننا نقول: مؤمنين مذنبين، روي ذلك عن جابر من وجوه، ومن حديث الأعمش عن أبي سفيان قال: قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة: كافر؟ قال: لا، قلت: فمشارك؟ قال: معاذ الله، وفرع!.

وقد قال جماعة من أهل العلم في قول الله عز وجل: «وَلَا تَتَابَرَّوْا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ»³، هو قول الرجل لأخيه: يا كافر، يا فاسق، وهذا موافق لهذا الحديث، فالقرآن والسنة ينهيان عن

1 أحمد (1/254-292-295-301-320) وفيه علي بن زيد.

2 أحمد (5/414) ومسلم (4/2748/2105) والترمذي (5/3539).

3 المحجرات الآية (11).

تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه.

ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له، أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنباً أو تأول تأويلاً، فاختلّفوا بعد في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر، أو سنة ثابتة لا معارض لها.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - على أن أحداً لا يخرج ذنبه - وإن عظم - من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فللواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة.¹

- قال رحمه الله: وأما قوله: «وأن لا ننازع الأمر أهله»²، فاختلف الناس في ذلك، فقال قائلون: أهله أهل العدل والإحسان والفضل والدين، فهؤلاء لا ينازعون لأهم أهله، وأما أهل الجور والفسق والظلم، فليسوا له بأهل، ألا ترى إلى قول الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾³

وإلى منازعة الظالم الجائر، ذهب طوائف من المعتزلة وعامة الخوارج. وأما

1 فتح البر (1/475-480).

2 أحمد (3/441) والبخاري (13/238/7200) ومسلم (3/1470/1709) والنسائي (7/155/4160) وابن

ماجه (2/957/2866) من حديث عبادة بن الصامت.

3 البقرة الآية (124).

أهل الحق وهم أهل السنة، فقالوا: هذا هو الاختيار: أن يكون الإمام فاضلاً عدلاً محسناً، فإن لم يكن، فالصبر على طاعة الجائرين من الأئمة أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، ولأن ذلك يحمل على هراق الدماء وشن الغارات والفساد في الأرض، وذلك أعظم من الصبر على جوره وفسقه، والأصول تشهد والعقل والدين أن أعظم المكروهين أولاهما بالترك، وكل إمام يقيم الجمعة والعيد، ويجاهد العدو ويقيم الحدود على أهل العدا، وينصف الناس من مظالمهم بعضهم لبعض، وتسكن له الدهماء وتأمين به السبل، فواجب طاعته في كل ما يأمر به من الصلاح أو من المباح.¹

﴿ موقفه من المرجئة: ﴾

قال في 'التمهيد': أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد المعرفة. - ثم ذكر ما احتجوا به... - إلى أن قال: وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس، والليث ابن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم؛ فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان

1 فتح البر (111/1).

وهو الإقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»¹ يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر - إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الإسلام - من قرابتهم المؤمنين الذين ليسوا² بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم، أوضح الدلائل على صحة قولنا: أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين، وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدودا، جعلها كفارة وتطهيرا كما جاء في حديث عبادة عن النبي ﷺ: «فمن وقع منها شيئا - يعني من الكبائر - وأقيم عليه الحد فهو له كفارة، ومن لا فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»³. وليس هذا حكم الكافر لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

1 تقدم تخريجه في مواقف الحسن البصري سنة (110هـ).

2 في التمهيد: (أمنا) والتصويب من مجموع الفتاوى (330/7).

3 البخاري (18/87/1).

والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيها كالكامل، قال الله عز وجل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا»¹ أي: إنما المؤمن حق الإيمان من كانت هذه صفته، ولذلك قال: «أَوْلَاتِيكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا»². ومثل هذه الآية في القرآن كثير.

وكذلك قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»³ أن هو المؤمن المسلم حقا. ومن هذا قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»⁴ ومعلوم معمولا أنه لا يكون هذا أكمل حتى يكون غيره أنقص، وكذلك قوله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»⁵ وقوله: «لا إيمان لمن لا صلاة له ولا من لا

1 الأنفال الآية (2).

2 الأنفال الآية (4).

3 الترمذي (2627/18/5) وقال: "حسن صحيح". والنسائي (5010/479/8) والحاكم (10/1) وقال: "قد اتفقا على إخراج طرق حديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ولم يخرجوا هذه الزيادة وهي صحيحة على شرط مسلم" ووافقه الذهبي.

4 أحمد (250/2، 472) وأبو داود (4682/60/5) والترمذي (1162/466/3) وقال: "حسن صحيح". والحاكم (3/1) وصححه ووافقه الذهبي.

5 أحمد (286/4) من حديث البراء. وابن أبي شيبة (30443/172/6) من حديث ابن مسعود. وله طرق لا تخلوا من مقال، أوردها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1728) وقال: "فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل، والله أعلم".

أمانة له»¹ كل ذلك يدل على أنه ليس بإيمان كامل، وأن بعض الإيمان أوثق عروة وأكمل من بعض، كما قال: «ليس المسكين بالطواف عليكم» الحديث² يريد ليس الطواف بالمسكين حقا، لأن ثم من هو أشد مسكنة منه، وهو الذي لا يسأل الناس ويتعفف. ويدلك على ذلك قول عائشة: إن المسكين ليقف على بابي... الحديث.

وروى مجاهد بن جبر وأبو صالح السمان جميعا عن عبدالله بن جمرة عن كعب قال: «من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنح لله فقد استكمل الإيمان»³.

ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل كما قالت الجماعة والجمهور، قول الله عز وجل: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»⁴. لم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيمانا، ومثل هذا القول: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» الآية إلى قوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»⁵.

1 أحمد (135/3) وابن حبان (195/423/1) والبيهقي في شرح السنة (38/74/1) وحسنه. وفي الباب من حديث أبي أمامة وابن مسعود رضي الله عنهما.

2 أحمد (384/1) والبخاري (1476/433/3) والنسائي (2570/89/5).

3 ابن أبي شيبه في كتاب الإيمان (133) موقوفا عليه، وقد ورد مرفوعا من حديث أبي أمامة عند أبي داود (4681/60/5)، ومن حديث سعد بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عند أحمد (440/3)، والترمذي (2521/578/4) وحسنه. والحاكم (164/2) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

4 البقرة الآية (143).

5 البقرة الآية (177).

وأما من السنة فكثير جدا، من ذلك قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»¹ وقد كان معاذ بن جبل يقول لأصحابه: تعالوا بنا نؤمن ساعة.² أي: نذكر الله. فجعل ذكر الله من الإيمان، ومثل هذا حديث طلحة ابن عبيدالله: أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «خمس صلوات...» الحديث³ ... -إلى أن قال- وعلى أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، جماعة أهل الآثار؛ والفقهاء من أهل الفتوى بالأمصار وقد روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ووقف في نقصانه. وروى عنه عبدالرزاق ومعن⁴ بن عيسى وابن نافع وابن وهب أنه يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث، والحمد لله.⁵

◀ موقفه من القدرية:

- قال رحمه الله: وجملة القول في القدر أنه سر الله لا يدرك بجهد ولا نظر ولا تشفى منه خصومة ولا احتجاج، وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يقوم شيء دون إرادته، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، له الخلق

1 أحمد (26/2) والبخاري (8/68/1) ومسلم (22/45/1) والنسائي (481/8-5016/482) من حديث ابن عمر.

2 تقدم في مواقفه رضي الله عنه.

3 البخاري (46/142/1) ومسلم (8/40/1) وأبو داود (391/242/1) والنسائي (457/246/1).

4 في التمهيد معمر بن عيسى وهو تحريف والتصويب ما أثبتناه من مجموع الفتاوى (331/7).

5 فتح البر (432/1-445)، ونقله عن ابن عبدالبر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (330/7-331).

والأمر كله لا شريك له، نظام ذلك قوله: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»¹. وقوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»². وحسب المؤمن من القدر، أن يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة، ولا يكلف نفسا إلا وسعها، وهو الرحمن الرحيم فمن رد على الله تعالى خيره في الوجهين أو في أحدهما كان عنادا، وكفرا، وقد تظاهرت الآثار في التسليم للقدر والنهي عن الجدل فيه، والاستسلام له والإقرار بخيره وشره والعلم بعدل مقدره وحكمته. وفي نقض عزائم الانسان برهان فيما قلنا، وتبيان، والله المستعان.³

- وقال رحمه الله - شارحا لحديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح، فإنما لها ما قدر لها»⁴ - في هذا الخبر من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرمتها لتنفرد به، فإنما لها ما سبق به القدر عليها، لا ينقصها طلاق ضرمتها شيئا مما جرى به القدر لها ولا يزيد لها. وقال الأخفش: كأنه يريد أن تفرغ صفحة تلك من خير الزوج وتأخذ هي وحدها.

قال أبو عمر: وهذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم

1 الإنسان الآية (30).

2 القمر الآية (49).

3 التمهيد (فتح البر 196/2).

4 أحمد (489/2) والبخاري (6601/604/11) ومسلم (1413/1033/2) وأبو داود (2176/630/2) والنسائي

(3239/381-380/6).

والسنة، وفيه أن المرء لا يناله إلا ما قدر له.

قال الله عزوجل: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا»¹. والأمر

في هذا واضح لمن هداه الله، والحمد لله.²

- وقال - تعليقا على حديث مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن

مسلم، عن طاوس اليماني أنه قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ

يقولون: كل شيء بقدر. قال طاوس: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال

رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس، أو الكيس

والعجز»³ - وفي هذا الحديث أدل الدلائل وأوضحها على أن الشر والخير

كل من عند الله، وهو خالقهما لا شريك له، ولا إله غيره، لأن العجز شر،

ولو كان خيرا ما استعاذ منه رسول الله ﷺ ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد

استعاذ من الكسل والعجز والجبن والدين، ومحال أن يستعيذ من الخير، وفي

قول الله عزوجل: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»⁴ كفاية لمن

وفق، وقال عزوجل: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»⁵ اهـ⁶

1 التوبة الآية (51).

2 التمهيد (فتح البر 273/2).

3 أحمد (110/2) ومسلم (4/2045/2655).

4 الفلق الأيتان (1 و2).

5 النحل الآية (93). فاطر الآية (8).

6 التمهيد (فتح البر 277/2-278).

- وقال رحمه الله: قال الله عزوجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾¹.
 وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾². فليس لأحد مشيئة تنفذ، إلا أن تنفذ منها مشيئة الله تعالى، وإنما يجرى الخلق فيما سبق من علم الله. والقدر سر الله لا يدرك بجدال، ولا يشفى منه مقال، والحجاج فيه مرتجة، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه، وقد تظاهرت الآثار، وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار، الطيبين الأبرار، بالاستسلام والانقياد والاقرار، بأن علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ﴿وَمَا رُبُّكَ بظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾³. اهـ⁴

الخطيب البغدادي⁵ (463 هـ)

أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، أبو بكر الخطيب البغدادي، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت. ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. سمع من القاضي أبي عبدالله القضاعي، وأبي نعيم الحافظ

1 القمر الآية (49).

2 التكوير الآية (29).

3 فصلت الآية (46).

4 التمهيد (فتح البر 2/293-294).

5 السير (18/270-297) والأنساب (2/384) والكامل في التاريخ (10/68) ووفيات الأعيان (1/92-93)

وتذكرة الحفاظ (3/1135-1146)، والوفاء بالوفيات (7/190-199)، والبداية والنهاية (12/108-110)

وشذرات الذهب (3/311-312).

وابن ماکولا، وغيرهم كثير. وحدث عنه أبو بكر البرقاني وأبو الفضل بن خيرون والحميدي وخلق يطول ذكرهم. قال السلفي: سألت شجاعا الذهلي عن الخطيب، فقال: إمام مصنف حافظ، لم ندرك مثله. قال الذهبي: طلب هذا الشأن ورحل فيه إلى الأقاليم وبرع، وصنف وجمع وسارت بتصانيفه الركبان وتقدم في عامة فنون الحديث. وقال ابن السمعاني: كان إمام عصره بلا مدافعة، وحافظ وقته بلا منازعة، صنف قريبا من مائة مصنف، صارت عمدة لأهل الحديث. وقال: كان الخطيب مهيبا وقورا، ثقة متحريرا، حجة حسن الخط، كثير الضبط، فصيحاً، ختم به الحفاظ. وقال ابن ماکولا: كلن أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا واتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ. وقال أبو إسحاق الشيرازي الفقيه: أبو بكر الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه. وقال مؤمن الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني مثل الخطيب. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

- قال في مطلع كتابه 'شرف أصحاب الحديث': أما بعد، وفقكم الله لعمل الخيرات، وعصمنا وإياكم من اقتحام البدع والشبهات، فقد وقفنا على ما ذكرتم من عيب المبتدعة لأهل السنن والآثار، وطعنهم على من شغل نفسه بسماع الأحاديث وحفظ الأخبار، وتكذيبهم بصحيح ما نقله إلى الأمة الأئمة الصادقون، واستهزائهم بأهل الحق فيما وضعه عليهم الملحدون؛

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾¹. وليس ذلك

عجيباً من متبعي الهوى ومن أضلهم الله عن سلوك سبيل الهدى.

ومن واضح شأنهم الدال على خذلانهم: صدوفهم عن النظر في أحكام القرآن، وتركهم الحجاج بآياته الواضحة البرهان، وإطراحهم السنن من ورائهم، وتحكمهم في الدين بأرائهم. فالحدث منهوم بالغزل، وذو السن مفتون بالكلام والجدل، قد جعل دينه غرضاً للخصومات، وأرسل نفسه في مراتع الهلكات، ومناه الشيطان دفع الحق بالشبهات، إن عرض عليه بعض كتب الأحكام المتعلقة بآثار نبينا عليه أفضل السلام، نبذها جانبا، وولى ذاهبا عن النظر فيها، يسخر من حاملها وراويها، معاندة منه للدين وطعنا على أئمة المسلمين. ثم هو يفتخر على العوام بذهاب عمره في درس الكلام، ويرى جميعهم ضالين سواه، ويعتقد أن ليس ينحو إلا إياه؛ لخروجه زعم عن حد التقليد وانتسابه إلى القول بالعدل والتوحيد؛ وتوحيده إذا اعتبر كان شركا وإلحادا؛ لأنه يجعل الله من خلقه شركاء وأندادا، وعدله عدول عن نهج الصواب إلى خلاف محكم السنة والكتاب. وكم يرى البائس المسكين إذا ابتلي بمحادثة في الدين يسعى إلى الفقيه يستفتيه ويعمل على ما يقوله ويروي به راجعا إلى التقليد بعد فراره منه، وملتزمًا حكمه بعد صدوفه عنه، وعسى أن يكون في حكم حادثته من الخلاف ما يحتاج إلى إنعام النظر فيه والاستكشاف، فكيف استحل التقليد بعد تحريمه، وهون الإثم فيه بعد

تعظيمه، ولقد كان رفضه ما لا ينفعه في الآخرة والأولى واشتغاله بأحكام الشريعة أخرى وأولى.¹

✓ التعليق:

انظر رحمك الله إلى هذا الإمام كيف صور حالة المبتدع الأخلاقية والنفسية، وما ثمن العلم الذي يحمله وما ثمن العلم الذي يجمله. علم يقود إلى الشرك والعياذ بالله، وجهل بالضروريات من أمور الدين. ومع هذه الفضائح، صاحبه يفتخر به على الأقران وكان الأولى به الخجل والتحسر والندم. وعلم لو مضى فيه قليلا من العمر لنور الله بصيرته فعرف به ربه ودينه والله المستعان.

- قال أبو بكر: ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم، وطلب سنن رسول رب العالمين، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه؛ لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد، وصفات رب العالمين، تعالى عن مقالات الملحددين، والإخبار عن صفات الجنة والنار، وما أعد الله تعالى فيهما للمتقين والفاعار، وما خلق الله في الأرضين والسموات من صنوف العجائب وعظيم الآيات، وذكر الملائكة المقربين، ونعت الصافين والمسبحين. وفي الحديث قصص الأنبياء، وأخبار الزهاد والأولياء، ومواعظ البلغاء، وكلام الفقهاء، وسير ملوك العرب

والعجم، وأقاصيص المتقدمين من الأمم، وشرح مغازي الرسول ﷺ وسراياه وجمل أحكامه وقضاياه، وخطبه وعظاته، وأعلامه ومعجزاته، وعدة أزواجه وأولاده وأصحابه، وذكر فضائلهم ومآثرهم، وشرح أخبارهم ومناقبهم، ومبلغ أعمارهم، وبيان أنسابهم. وفيه تفسير القرآن العظيم، وما فيه من النبأ والذكر الحكيم، وأقاويل الصحابة في الأحكام المحفوظة عنهم، وتسمية من ذهب إلى قول كل واحد منهم من الأئمة الخالفين والفقهاء المجتهدين. وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة؛ وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم لا يرجعون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته. إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به، فهو المقبول المسموع. ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن. وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم. وكل مبتدع باعقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر. من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذلهم الله. لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعترلهم. المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم

حسير ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾¹ اهـ²

- وقال: ولعمري إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأي، ومجانبته خلافا بعيدا، فما يجد المسلمون بدا من اتباعها والانتقاد لها، ومثل ذلك ورع أهل العلم والدين فكفهم عن الرأي، ودلهم على غوره وغورته،... ولكن السنن من الإسلام، بحيث جعلها الله، هي ملاك الدين وقيامه الذي بني عليه الإسلام، وأي قول أجسم وأعظم خطرا مما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين خطب الناس فقال: «وقد تركت فيكم أيها الناس ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أما بينا: كتاب الله وسنة نبيه»³. فقرن رسول الله ﷺ بينهما، وأيم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة، وتعلمها شيئا بتعليمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار الناس يعيرون أهل الجدل والتنقيب و-من⁴ -أخذ بالرأي أشد العيب، وينهوننا عن لقاءهم ومجالستهم، ويجذروننا مقاربتهم أشد التحذير، ويجذروننا أنهم أهل ضلال وتحريف، بتأويل كتاب الله وسنن رسول الله ﷺ، وما توفي رسول الله ﷺ، حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث عن الأمور وزجر عن ذلك وحذره المسلمين في غير موطن حتى كان ممن قوله ﷺ كراهية ذلك أن قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين ممن

1 الحج الآية (39).

2 الشرف (7-9).

3 تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي الزناد عبدالله بن ذكوان سنة (130هـ).

4 زيادة اقتضاها المعنى.

قبلكم سؤا لهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا هتيتكم عن شيء فليحتنبوه، وإذا أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»¹. فأى أمر أكف لمن يعقل عن التنقيب من هذا؟. ولم يبلغ الناس يوم قيل لهم هذا القول من الكشف عن الأمور جزءا من مائة جزء مما بلغوا اليوم، وهل هلك أهل الأهواء وخالفوا الحق إلا بأخذهم بالجدل، والتفكير في دينهم، فهم كل يوم على دين ضلال وشبهة جديدة لا يقيمون على دين، وإن أعجبهم إلا نقلهم الجدل والتفكير إلى دين سواه، ولو لزموا السنن وأمر المسلمين وتركوا الجدل لقطعوا عنهم الشك، وأخذوا بالأمر الذي حضهم عليه رسول الله ﷺ، ورضيه لهم، ولكنهم تكلفوا ما قد كفوا مؤنته وحملوا على عقولهم من النظر في أمر الله ما قصرت عنه عقولهم، وحق لها أن تقصر عنه وتحسر دونه، فهنالك تورطوا وأين ما أعطى الله العباد من العلم في قلته وزهادته مما تناولوا، قال الله تعالى: ﴿وَدَسَّأُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾²، وقد قص الله تعالى ما غير -أو غير هذه الكلمة- به موسى عليه السلام، من أمر الرجل الذي لقيه فقال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾³، فكان منه في حرقه السفينة، وقتله الغلام، وبناءه الجدار، ما قد قال الله تعالى

1 تقدم ترجمته ضمن مواقف أبي الزناد سنة (130هـ).

2 الإسراء الآية (85).

3 الكهف الآية (65).

في كتابه، فأنكر موسى ذلك عليه، وجاءه ذلك في ظاهر الأمر منكراً لا تعرفه القلوب، ولا يهتدي له التفكير، حتى كشف الله ذلك لموسى فعرفه، وكذلك ما جاء من سنن الإسلام وشرائع الدين التي لا توافق الرأي، ولا تقتدي لها العقول، ولو كشف للناس عن أصولها لجاءت للناس واضحة بينة غير مشكلة على مثل ما جاء عليه أمر السفينة وأمر الغلام وأمر الجدار، فإن ما جاء به محمد ﷺ كالذي جاء به موسى يعتبر بعضه ببعض، ويشبه بعضه بعضاً، ومن أجهل وأضل وأقل معرفة بحق الله وحق رسوله وبنور الإسلام وبرهانه ممن قال لا أقبل سنة ولا أمراً مضى من أمر المسلمين حتى يكشف لي غيبه وأعرف أصوله؟ أو لم يقل ذلك بلسانه، فكان عليه رأيه وفعله، ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَدُسِّلُوا تَسْلِيمًا ۝١ اهـ²

◀ موقفه من الرافضة:

- جاء في الكفاية عنه قال: كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن.³

1 النساء الآية (65).

2 الفقيه والمتفقه (393/1-396) وقد مر معنا بطوله في مواقف أبي الزناد عبدالله بن ذكوان سنة (130هـ).

3 الكفاية (ص.46).

- وفيها قال: وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التي ظهرت بينهم، وسفك بعضهم دماء بعض فصار أهل تلك الحروب ساقطي العدالة، ولما اختلطوا بأهل التراهة وجب البحث عن أمور الرواة منهم، وليس في أهل الدين، والمتحقيقين بالعلم من يصرف إليهم خير ما لا يحتمل نوعاً من التأويل وضرباً من الاجتهاد فهم بمثابة المخالفين من الفقهاء المجتهدين في تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه، ويجب أن يكونوا على الأصل الذي قدمناه من حال العدالة والرضا، إذ لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم.¹

- قال الخطيب في الحسن بن محمد بن أشناس المتوكلي الحمامي: رافضي خبيث كتبت عنه؛ كان يقرأ على الشيعة مثالب الصحابة.²

- قال الخطيب في عيسى بن مهران المستعطف: كان من شياطين الرافضة ومردقهم، وقع إلي كتاب من تصنيفه في الطعن على الصحابة وتكفيرهم، فلقد قف شعري وعظم تعجبي مما فيه من الموضوعات والبلايا.³

- وقال الخطيب: وتجاوز فتاوى أهل الأهواء، ومن لم تخرجه بدعته إلى فسق، فأما الشراة والرافضة الذين يشتمون الصحابة، ويسبون السلف الصالح، فإن فتاويهم مردولة، وأقاويلهم غير مقبولة.⁴

1 الكفاية (ص.49).

2 الميزان (521/1).

3 الميزان (324/3-325).

4 الفقيه والمتفقه (333/2).

موقفه من القادسي الرافضي:

قال أبو بكر الخطيب: حضرته يوم الجمعة بعد الإملاء، وطالبت به بأن يريني أصوله، فدفع إلي عن ابن شاذان وغيره أصولا كان سماعه فيها صحيحا، ولم يدفع إلي عن ابن مالك شيئا، فقلت له: أربي أصلك عن ابن مالك. فقال: أنا لا يشك في سماعي من ابن مالك، أسمعني منه خالي هبة الله ابن سلامة المفسر 'المسند' كله. فقلت له: لا تروين هاهنا شيئا إلا بعد أن تحضر أصولك وتوقف عليها أصحاب الحديث، فانقطع عن حضور الجامع بعد هذا القول، ومضى إلى مسجد براتا فأملئ فيه، وكانت الرافضة تجتمع هناك، وقال لهم: قد معني النواصب أن أروي في جامع المنصور فضائل أهل البيت. ثم جلس في مسجد الشرقية واجتمعت إليه الرافضة ولهم إذ ذاك قوة، وكلمتهم ظاهرة، فأملئ عليهم العجائب من الأحاديث الموضوعة في الطعن على السلف.¹

◀ موقفه من الجهمية:

عقيدة الخطيب ودفاعه عن العقيدة السلفية:

جاء في مقدمة مختصر العلو: قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله: وهنا يطيب لي بهذه المناسبة أن أنقل من بعض المخطوطات فصلا رائعا من كلام بعض علماء السلف مما لم يطبع حتى الآن - فيما علمت - وهو للخطيب البغدادي الحافظ المؤرخ المشهور، وقد ذكر المصنف طرفا

منه في ترجمته كما يأتي فرأيت أن أذكره هنا بنصه إماما للحجة على الخلف الذين يتوهم الكثير منهم أن القول بوجوب الإيمان بحقائق الصفات ومعانيها كما يليق بالله تعالى هو مذهب تفرد به ابن تيمية ومن اقتدوا به فيها، ولم يعلموا أنه رحمه الله تابع لهم في ذلك وإنما فضله في بيانه وشرحه له وإقامة الأدلة عليه بالمنقول والمعقول، ودفع الشبهات عنه، وإلا فهو سلفي المعتقد وهو الواجب على كل مسلم ولذلك بادرنا إلى نشر كتلب الذهبي هذا الذي بين يديك لتعلم به ما قد يكون خافيا عليك كما خفي على غيرك. فكان ذلك سببا قويا من أسباب الابتعاد عن العقيدة السلفية والطريقة الحمديدية.

قال الحافظ الخطيب رحمه الله تعالى: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضوان الله عليهم أثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله سبحانه، وحققتها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكليف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه. والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حدوه ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكليف. فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة ولا أن معنى السمع والبصر: العلم ولا نقول: إنها

جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»¹ وقوله عز وجل: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»² ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث، ولبسوا على من ضعف علمه، بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ولا يصح في الدين، ورموهم بكفر أهل التشبيه وغفلة أهل التعطيل، أجبوا بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات يفهم منها المراد بظواهرها وآيات متشابهات لا يوقف على معناها إلا بردها إلى المحكم، ويجب تصديق الكل والإيمان بالجميع فكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى ومترلة على هذا الترتيل، يرد المتشابه منها إلى المحكم ويقبل الجميع، وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات ثلاثة أقسام: منها أخبار ثابتة أجمع أئمة النقل على صحتها لاستفاضتها وعدالة ناقليها فيجب قبولها والإيمان بها، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيهها لله بخلقه، ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات والتغير والحركات. القسم الثاني: أخبار ساقطة بأسانيد واهية وألفاظ شنيعة أجمع أهل العلم بالنقل على بطولها فهذه لا يجوز الاشتغال بها ولا التعرّيج عليها. والقسم الثالث: أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نقلتها فقبلهم البعض دون

1 الشورى الآية (11).

2 الإخلاص الآية (4).

الكل، فهذه يجب الاجتهاد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول أو تجعل في حيز الفساد والبطول.¹

قلت: وهذه العقيدة التي نقل الشيخ، من مخطوطات الظاهرية، نقل الذهبي بعضها في سير أعلام النبلاء.²

✓ التعليق:

ليس هذا هو الذي سماه شيخ الإسلام في الحموية بعنوان: الأصلان والمثلان، ثم فصل القول رحمه الله في ذلك، فأين ابن تيمية والخطيب؟ الأول عاش في القرن الخامس والثاني عاش في القرن الثامن؟ ويقرر الثاني ما قرره الأول، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنه ما ثبت ولا وجدنا أحدا ولا سمعنا أن فلانا تاب من العقيدة السلفية ولكن العكس، التاريخ والتراجم طافحة بتوبة فلان كان على مذهب المتكلمين أو الفلاسفة. فلذا السلفي يكون ثابت العقيدة، ثابت المواقف، غير متلون ولا متقلب كما قال هرقل لما سأل أبا سفيان عن أصحاب رسول الله: أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. قال: وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.³

1 مختصر العلو (46-48) والتذكرة (1142/3-1143).

2 السير (18/283-284).

3 أحمد (1/262-263) والبخاري (1/7/42) ومسلم (3/1393/1773) مطبوعا والستر مذبي (5/65-66/2717)

والنسائي في الكبرى (5/8845/265) مختصرا.

القائم بأمر الله¹ (467 هـ)

أمير المؤمنين، القائم بأمر الله، أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد العباسي البغدادي. مولده في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. بويغ سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. ونكب سنة خمسين في كائنة البساسيري ففر إلى البرية في ذمام أمير للعرب ثم عاد إلى خلافته بعد عام. كان أبيض وسيما، عالما مهيبا فيه دين وعدل. وكان ذا حظ من تعبد وصيام وتهجد وكان تاركا للملاهي رحمه الله وكانت خلافته خمسا وأربعين سنة. وغسله شيخ الحنابلة أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي وعاش ستا وسبعين سنة، وبويغ بعده ابن ابنه المقتدي بالله. توفي في شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

جاء في البداية: وفيها - أي سنة تسع وعشرين وأربعمائة - استدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود، وألزموا بالغيار². اهـ³

1 تاريخ بغداد (399/9-404) وطبقات الحنابلة (240/2) والكمال في التاريخ (94/10-95) وتاريخ الإسلام (حوادث 461-470/ص. 226-231) والسير (307/18-318) والبداية والنهاية (117/12) وشذرات الذهب (326/3-327).

2 الغيار: مخالفة المسلمين باللباس.

3 البداية (46/12)

الداوودي عبدالرحمن بن محمد¹ (467 هـ)

الإمام العلامة الورع القدوة، جمال الإسلام مسند الوقت، أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد الداوودي البوشنجي. مولده في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وثلاثمائة. سمع 'الصحيح' و'مسند عبد بن حميد' وتفسيره و'مسند الدارمي' من أبي محمد بن حمويه السرخسي، وتفرد في الدنيل بعلو ذلك. وسمع من عبدالرحمن بن أبي شريح وأبي عبدالله الحاكم وابن الضلت وتفقه على أبي حامد وأبي بكر القفال وعلى أبي الطيب الصعلوكي. قيل: إنه كان يتقوت بما يحمل إليه من ملك له ببوشنج ويبالغ في الورع ومحاسنه جمة ومن شعره:

رب تقبل عملي ولا تخيب أملِي
أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

قال السلفي سألت المؤمن عن الداوودي فقال: كان من سادات رجال خراسان، ترك أكل الحيوانات وما يخرج منها، منذ دخل التركمان ديارهم. وقال أبو سعد السمعاني: له قدم في التقوى راسخ. وقال: فضله في الفنون مشهور، وذكره في الكتب مسطور، وأيامه غرر، وكلامه درر. توفي رحمه الله ببوشنج في شوال سنة سبع وستين وأربعمائة.

◀ موقفه من الخوارج:

ونقل ابن التين عن الداوودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور

1 المنتظم (168/16-169)، وتاريخ الإسلام (حوادث 461-470/ص. 232-236)، والسير (18/222-226) والبدية والنهاية (12/121)، وشذرات الذهب (3/327).

أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر.¹

عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء² (469 هـ)

أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء الأخ الأكبر لصاحب طبقات الحنابلة. ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة. وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري، وجده لأمه جابر بن ياسين، وأبي الحسين بن المهدي. ورحل إلى الآفاق في طلب العلم. وكان ذا عفة وديانة وصيانة. وكان له معرفة بالجرح والتعديل وأسماء الرجال والكنى وكان حسن الخط صحيحاً، فهما لقراءة الحديث. توفي سنة تسع وستين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

جاء في طبقات الحنابلة: ولما ظهرت البدع في سنة تسع وستين وأربعمائة هاجر من بلدنا إلى حرم الله وكانت وفاته في مضيئه إلى مكة، بموضع يعرف بمعدن النقرة، في أواخر ذي القعدة من هذه السنة.³

أبو منصور الديلمي⁴ (469 هـ)

اسبهندوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي، الشاعر، لقي أبا

1 الفتح (8/13).

2 طبقات الحنابلة (236-235/2).

3 طبقات الحنابلة (236/2).

4 المنتظم (185-184/16) والبداية والنهاية (124-123/12) والكامل لابن الأثير (106/10) والنجوم الزاهرة

(104/5).

عبدالله بن الحجاج وعبدالعزیز بن نباتة، وغيرهما من الشعراء وكان شيعيا يهجو الصحابة وغيرهم، فتاب كما في قصيدته التي ذكر فيها اعتقاده، وهي قصيدة طويلة جدا، اقتطف منها كل من ترجم له.

توفي سنة تسع وستين وأربعمائة.

◀ موقفه من الرفضة:

جاء في المنتظم: شاعر مجود لقي أبا عبدالله بن الحجاج، وعبدالعزیز ابن نباتة، وغيرهما من الشعراء، وكان يتشيع ثم تاب من ذلك. وذكر توبته في قصيدة يقول فيها:

لاح الهدى فجلا عن الأبصار	كالليل يجلوه ضياء نهار
ورأت سبيل الرشدي بعدي	غطى عليها الجهل بالأستار
لابد فاعلم للفتى من توبة	قبل الرحيل إلى ديار بوار
يمحو بها ما قد مضى من ذنبه	وينال عفو إلهه الغفار
يا رب إني قد أتيتك تائبا	من زلتي يا عالم الأسرار
وعلمت أنهم هداة قادة	وأئمة مثل النجوم دراري
وعدلت عما كنت معتقدا له	في الصبح صبح نبيه المختار
والسيد الصديق والعدل الرضى	عمر وعثمان شهيد الدار
وعلي الطهر المفضل بعدهم	سيف الإله وقاتل الفجار
صبح النبي الغر بل خلفاؤه	فينا بأمر الواحد القهار
رحماء بينهم بذاك صفاتهم	وردت أشداء على الكفار
وتراهم من راععين وسجد	يستغفرون الله بالأسحار

أيقنت حقاً أن من والاهم
فعدلت نحوهم مقراً بالولا
مترجياً عفو الإله ومحوه
وإذا سئلت عن اعتقادي قلت ما
وأقول خير الناس بعد محمد
ثم الثلاثة بعده خير الورى
هذا اعتقادي والذي أرجو به
سيفوز بالحسنى بدار قرار
ومخالفا للعصبة الأشرار
ما قدمته يدي من الأوزار
كانت عليه مذاهب الأبرار
صديقه وأنيسه في الغار
أكرم بهم من سادة أطهار
فوزي وعتقي من عذاب النار

أبو عبدالله محمد بن جعفر الكوفي¹ (470 هـ)

أبو عبدالله محمد بن جعفر الكوفي، كان فقيه القيروان وعالمها في زمانه، وكان فصيحاً لسناً سنياً مبايناً لأهل البدع شديداً عليهم. وجرت عليه محنة ذكر سببها صاحب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ففر على إثرها من القيروان ونزل مصر ثم الشام بعدها وتوفي هنالك سنة سبعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

جاء في معالم الإيمان: كان فصيحاً لسناً، سنياً مبايناً لأهل البدع، شديداً عليهم. ولما أمر المعز بن باديس بلعنة عبيدالله في الخطب وذلك في يوم عيد الفطر من سنة أربعين وأربعمائة، خطب القاضي محمد بن جعفر هذا

1 معالم الإيمان (196/3).

فقال - بعد ذكر ما جرت العادة به في خطبة الفطر -: اللهم والعن الفسقة الكفار المرائين الفجار، أعداء الدين وأنصار الشياطين، المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك، المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك، اللهم عنهم لعنا وبيلا، واخزهم خزيا عريضا طويلا، اللهم وإن مولانا وسيدنا أبا تمام المعز بن باديس بن المنصور القائم بدينك، والناصر لسنة نبيك، والرافع للواء أولئك، يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك، مباينا لمن غير الدين وسلك غير سبيل المرشدين المؤمنين: ﴿يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝﴾¹، (هكذا بإسقاط "قل" من أول السورة وترك "لكم دينكم ولي دين" لتعلق الأمر بالمراد)، وأمر السلطان خطيب جامع القيروان أن يفعل مثل ذلك على المنبر في الجمع في كل خطبة، وهذا دليل على فصاحته ومباينته لأهل البدع ومحبته لأهل السنة، وجرت عليه محنة أعقبها التأخر عن قضائهم، والزهد في جوارهم.²

المظفر بن الأفتس³ (470 هـ)

أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن مسلمة التجيبي، سلطان الثغر

1 الكافرون الآيات (1-5).

2 معالم الإيمان (196/3-197).

3 الكامل في التاريخ (288/9) ووفيات الأعيان (123/7) والسير (594-596) والوفاء بالوفيات (323/3).

الشمالي من الأندلس، ودار ملكه بطليوس. كان رأساً في العلم والأدب والشجاعة والرأي فكان منافراً للروم شجى في حلوقهم لا ينفس لهم مخنقا ولا يوجد لهم إلى الظهور عليه مرتقى. له تفسير للقرآن كبير. كان مع استغراقه في الجهاد لا يفتر عن العلم، ولا يترك العدل، صنع مدرسة يجلس فيها كل جمعة ويحضره العلماء. وكان بيت في منطرة له، فإذا سمع صوتاً وجه أعوانا لكشف الخبر لا ينام إلا قليلا.

توفي بعد السبعين وأربعمائة أو قبلها، قاله الذهبي.

◀ موقفه من المشركين:

- قال الذهبي: كان رأساً في العلم والأدب والشجاعة والرأي، فكان مناغرا للروم، شجى في حلوقهم، لا ينفس لهم مخنقا، ولا يوجد لهم إلى الظهور عليه مرتقى،... ومن نثره - وقد غنم بلاد شلمنكة وهي مجاورته، فكتب إلى المعتمد بالله يفخر، وينكت عليه بمسألته للروم، فقيل: إنه حصل من هذه الغزوة ألف جارية حسناء من بنات الأصفر -: من يصد صيدا فليصد كما صيدي، صيدي الغزالة من مرابض الأسد. أيها الملك إن الروم إذا لم تغز غزت، ولو تعاقدنا تعاقد الأولياء المخلصين فللنا حدهم، وأذلنا جدهم، ورأي السيد المعتمد على الله سراج تضيء به ظلمات المنى.¹

- وقال: وكان كاتبه الوزير أبو محمد عبدالله بن النحوي أحد البلغاء، فكتب أذفونش - لعنه الله - يردد ويبرق، فأجاب: وصل إلى الملك المظفر من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير، يردد ويبرق، ويجمع تارة ويفرق،

ويهدد بالجنود الوافرة، ولم يدر أن لله جنودا أعز بهم الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا عليه الصلاة والسلام، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، فأما تعبيرك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم، فبالذنوب المركوبة، والفرق المنكوبة، ولو اتفقت كلمتنا علمت أي صائب أذفناك، كما كانت آباؤك مع آبائنا، وبالأمس كانت قطيعة المنصور على سلفك، أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تفد في كل عام عليه، ونحن فإن قلت أعدادنا، وعدم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر تحوضه، ولا صعب تروضه، إلا سيوف يشهد بجدها رقاب قومك، وجلاد تبصره في يومك، وبالله وملائكته¹ نتقوى عليك، ليس لنا سواه مطلب، ولا إلى غيره مهرب، وهل تربصون بنا إلا إحدى الحسينين، شهادة، أو نصر عزيز.²

عبدالرحمن بن منده³ (470 هـ)

الشيخ الإمام، المحدث، المفيد الكبير، المصنف، أبو القاسم عبدالرحمن ابن الحافظ الكبير أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني. ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. كان صاحب خلق وفتوة وسخاء وبهاء. قال ابن رجب: وكان متمسكا بالسنة، معرضا عن أهل

1 كان الاولى أن يقول: وبالله ثم بملائكته نتقوى عليك.

2 السير (596-595/18)

3 السير (355-349/18) وذيل طبقات الحنابلة (31-26/1) والكامل في التاريخ (108/10) وتذكرة الحافظ

(1170-1165/3) وفوات الوفيات (289-288/1) والبداية والنهاية (126/12) وشذرات الذهب (338-337/3)

والمنتظم (195-194/16).

البدع، أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم. قال القاضي أبو الحسين: لم يكن في عصره وبلده مثله في ورعه وزهده وصيانيته، وحاله أظهر من ذلك. من أقواله: علامة الرضاء إجابة الله تبارك وتعالى من حيث دعا بالكتاب والسنة، وعلامة الورع: الخروج من الشبهات بالأخبار والآيات، وعلامة القناعة: السكوت على الكتاب والسنة في الوقوف عند الشبهة، وعلامة الإخلاص: زيادة السر على الإعلان في إثارة قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ على الأقاويل كلها بالإيمان والاحتساب، وعلامة الصبر: حبس النفس في استحكام الدرس بالكتاب والسنة، وعلامة التسليم: الثقة بالله الحكيم في قوله، والسكون إلى الله العليم بقول رسوله ﷺ في جميع الأشياء. توفي في سادس عشر شوال سنة سبعين وأربعمائة.

◀ موقفه من البدعة:

- قال ابن أبي يعلى: وكان قدوة أهل السنة بأصبهان، وشيخهم في وقته، وكان مجتهدا متبعا آثار النبي ﷺ، ويحرض الناس عليها، وكان شديدا على أهل البدع، مباينا لهم. وما كان في عصره وبلده مثله في ورعه، وزهده وصيانيته. وحاله أظهر من ذلك.¹

- وقال ابن رجب: وكان متمسكا بالسنة، معرضا عن أهل البدع، أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم.²

- وقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب: كان عمي سيفا على أهل

1 طبقات الخنابلة (2/242).

2 طبقات الخنابلة (3/27).

البدع وهو أكبر من أن يثني عليه مثلي.¹

- وله تصانيف كثيرة، وردود جمة على المبتدعين والمنحرفين في الصفات وغيرها.²

- جاء في السير عنه قال: قد عجبت من حالي، فإني وجدت أكثر من لقيته إن صدقته فيما يقوله مداراة له سماني موافقا، وإن وقفت في حرف من قوله أوفى شيء من فعله سماني مخالفا، وإن ذكرت في واحد منهما أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك، سماني خارجيا، وإن قرئ علي حديث في التوحيد سماني مشبها، وإن كان في الرؤية سماني سالميا... - إلى أن قال:- وأنا متمسك بالكتاب والسنة، متبرئ إلى الله من الشبه والمثل والند والضد والأعضاء والجسم والآلات، ومن كل ما ينسبه الناسبون إلي، ويدعيه المدعون علي، من أن أقول في الله تعالى شيئا من ذلك، أو قلته، أو أراه، أو أتوهمه، أو أصفه به.³

✓ التعليق:

هذا الإمام يحكي حاله مع أهل زمنه الذين لا يتورعون في نبزه بالألقاب؛ فكل صاحب هوى يرميه بوصمة عار. وسبحان الله! التاريخ يعيد نفسه، فأهل هذا الزمن على هذا المنوال، وعلى المرء - كما قال هذا الإمام - أن يتمسك بالكتاب والسنة ولا عليه من لمز فلان وعلان.

1 التذكرة (3/1166).

2 طبقات الحنابلة (3/28).

3 السير (18/351) وتذكرة الحفاظ (3/1167).

◀ موقفه من الجهمية:

له من الآثار السلفية:

- الرد على الجهمية: ذكره في طبقات الحنابلة¹. ونقل منه قوله تكتب

بماء الذهب وهي (التأويل عند أصحاب الحديث نوع من التكذيب)².

عبد الخالق بن عيسى الشريف أبو جعفر³ (470 هـ)

الإمام شيخ الحنبلية، أبو جعفر، عبد الخالق بن أبي موسى عيسى بن أحمد، الهاشمي، العباسي، الحنبلي، البغدادي. قال ابن الجوزي: ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة. وكان عالماً، فقيهاً، ورعاً عابداً زاهداً، قوالاً بالحق لا يجابي أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم. قال ابن السمعاني: إمام الحنابلة في عصره بلا مدافعة، مليح التدريس، حسن الكلام في المناظرة، ورع زاهد، متقن عالم بأحكام القرآن والفرائض، مرضي الطريقة. قال ابن رجب: وكان شديد القول واللسان على أهل البدع ولم تزل كلمته عالية عليهم. وكان له المترلة والصيت عند الخاص والعام وعند الحاكم والمحكوم، معظماً عندهم، زاهداً في الدنيا إلى الغاية، قائماً في إنكار المنكرات بيده ولسانه، مجتهداً في ذلك. وإذا ذكرت فتنة ابن القشيري والصدع بالحق فيها فلا ينصرف ذلك

1 (29/3).

2 (31/3).

3 السير (548-546/18) والبدية والنهاية (128-127/12) وطبقات الحنابلة (26-15/3) وشذرات الذهب

(337-336/3) والمنظم (197-195/16).

إلا إليه، وقد أخذ في هذه الفتنة وحبس أياما. توفي ليلة الخميس للنصف من صفر، سنة سبعين بعد الأربعمئة.

◀ موقفه من المبتدعة:

قال ابن أبي يعلى: وكان إذا بلغه منكر قد ظهر عظم عليه ذلك جدا، وعرف فيه الكراهة الشديدة، وكان شديد القول واللسان في أصحاب البدع، والقمع لباطلهم، ودحض كلمتهم وإبطالها. ولم تزل كلمته عالية عليهم، وأصحابه متظاهرين على أهل البدع، لا يرد يدهم عنهم أحد.¹

◀ موقفه من الجهمية:

كان هذا الإمام يضرب به المثل في الزهد والورع، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان شوكة في حلق المبتدعة، وكان له المترلة والصيت عند الخاص والعام وعند الحاكم والمحكوم. وإذا ذكرت فتنة ابن القشيري والصدع بالحق فيها فلا ينصرف إلا إلى الشريف أبي جعفر وسوردها إن شاء الله.

جاء في طبقات الحنابلة: (وفي سنة ستين وأربعمئة كان أبو علي بن الوليد - شيخ المعتزلة - قد عزم على إظهار مذهبه، لأجل موت الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف، فقام الشريف أبو جعفر، وعبر إلى جامع المنصور هو وأهل مذهبه وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث وبلغوا ذلك. ففرح أهل

السنة بذلك وقرأوا كتاب التوحيد لابن خزيمة ثم حضروا الديوان وسألوا إخراج الاعتقاد الذي جمعه الخليفة القادر فأجيبوا إلى ذلك وقرئ هناك بمحضر من الجميع واتفقوا على لعن من خالفه وتكفيره).¹

موقفه من فتنة ابن القشيري:

جاء في طبقات الحنابلة: ومضمون ذلك أن أبا نصر بن القشيري ورد بغداد سنة تسع وستين وأربعمائة، وجلس في النظامية، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وكان يتعصب له أبو سعد الصوفي، ومال إلى نصره أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الحنابلة، ويسأله المعونة فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده والإيقاع به، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومة إن وقعت. فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رامهم هؤلاء بالآجر. فوقعت الفتنة وقتل من أولئك رجل من العامة وجرح آخرون وأخذت ثياب.. وأغلق أتباع ابن القشيري أبواب سوق مدرسة النظام، وصاحوا: المستنصر بالله يلد منصور - يعنون العبيدي صاحب مصر - وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسي وأنه ممالي للحنابلة، لاسيما والشريف أبو جعفر ابن عمه. وغضب أبو إسحاق وأظهر التأهب للسفر، وكتب فقهاء الشافعية نظام الملك لما جرى فورد كتابه بالامتعاض من ذلك والغضب لتسلط الحنابلة على الطائفة الأخرى. وكان الخليفة يخاف من السلطان ووزيره نظام الملك ويدرأيهما. وحكى أبو المعالي صالح بن شافع عن شيخه أبي الفتح الحلواني وغيره. ممن

شاهد الحال أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه عند النظام أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما تنحسم به الفتنة، فاستدعى الشريف أبا جعفر بجماعة من الرؤساء منهم ابن جرادة، فتلففوا به حتى حضر في الليل وحضر أبو إسحاق وأبو سعد الصوفي وأبو نصر ابن القشيري، فلما حضر الشريف عظمه الوزير ورفع وقال: إن أمير المؤمنين ساءه ما جرى من اختلاف المسلمين في عقائدهم وهؤلاء يصالحونك على ما تريد وأمرهم بالدنو من الشريف فقام إليه أبو إسحاق وكان يتردد في أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ فقال: أنا ذاك الذي تعرف وهذه كتيبي في أصول الفقه أقول فيها خلافا للأشعرية ثم قبل رأسه. فقال له الشريف: قد كان ما تقول إلا أنك لما كنت فقيرا لم تظهر لنا ما في نفسك فلما جاء الأعوان والسلطان وخوaja بزرگ - يعني النظام - أبديت ما كان مخفيا، ثم قام أبو سعد الصوفي فقبل يد الشريف وتلفف به فالتفت مغضبا وقال: أيها الشيخ إن الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتعبير فمن زاحمك على ذلك حتى داخلت المتكلمين، والفقهاء فأقمت سوق التعصب؟ ثم قام ابن القشيري - وكان أقلهم احتراماً للشريف - فقال الشريف: من هذا؟ فقيل: أبو نصر بن القشيري فقال لو جاز أن يشكر أحد على بدعته لكان هذا الشاب، لأنه باد هنا بما في نفسه ولم ينافقنا كما فعل هذان، ثم التفت إلى الوزير فقال: أي صلح يكون بيننا؟ إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية أو دنيا أو تنازع في ملك. فأما هؤلاء القوم فإنهم يزعمون أنا كفار، ونحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كان كافرا، فأبي

صلح بيننا؟ وهذا الإمام يصدع المسلمين وقد كان جداه -القائم والقادر- أخرجوا اعتقادهما للناس، وقرئ عليهم في دواوينهم وحمله عنهم الخراسانيون والحجيج إلى أطراف الأرض ونحن على اعتقادهما. وأنهى الوزير إلى الخليفة ما جرى وخرج في الجواب: عرف ما أهميته من حضور ابن العم -كثير الله في الأولياء مثله- وحضور من حضر من أهل العلم والحمد لله الذي جمع الكلمة وضم الألفة، فليؤذن للجماعة في الانصراف وليقل لابن أبي موسى: أنه قد أفرد له موضع قريب من الخدمة ليراجع في كثير من الأمور المهمة وليتبرك بمكانه، فلما سمع الشريف هذا قال: فعلتموها. فحمل إلى موضع أفرد له بدار الخلافة وكان الناس يدخلون عليه مدة مديدة ثم قيل له: قد كثير استطراق الناس دار الخلافة فاقصر على من تعين دخوله فقال: مالي غرض في دخول أحد علي، فامتنع الناس.

ثم إن الشريف مرض مرضاً أثر في رجله فانتفختا. فيقال: إن بعض المتفقهة من الأعداء ترك له في مداسه سما والله تعالى أعلم. ثم إن أبا نصر بن القشيري أخرج من بغداد وأمر بملازمة بلده لقطع الفتنة وذلك نفسي في الحقيقة. قال ابن النجار: كوتب نظام الملك الوزير بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه وقطع هذه الثائرة، فبعث واستحضره وأمره بلزوم وطنه فأقام به إلى حين وفاته.¹

✓ التعليق:

ما يستفاد من هذا الحادث:

- ما كان يمثله السلفيون من قوة حسية ومعنوية وعلمية.
- حسن قصد السلفيين وسلامة فطرتهم، وبالمقابل كيد المبتدعة ومكرهم.
- ما كان عليه معظم خلفاء بني العباس من حسن العقيدة.
- الصلح في أمر الدنيا جائز، وأما العقيدة فلا بيع فيها ولا شراء ولا مصالحة.
- منقبة للشريف أبي جعفر.

الملك أقسيس¹ (471 هـ)

هو أتسز بن أوق الخوارزمي، صاحب دمشق، كان يلقب بالمعظم، وكانت تسميه العامة بأقسيس. قال ابن كثير: وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة وأصحهم سريرة، أزال الرفض عن أهل الشام، وأبطل الأذان بحج علي خير العمل، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين. قال ابن عساکر: ولي دمشق في ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة بعد حصاره إياها دفعات، وأقام بها الدعوة لبني العباس، وتغلب على أكثر الشام، وقصد مصر ليأخذها فلم يتم له ذلك ثم رجع إلى دمشق، ووجه المصريون إليه عسكرا ثقيلا فلما خاف من ظفرهم به راسل تتش بن ألب أرسلان يستنجد به، فقدم دمشق سنة إحدى وسبعين وأربعمائة فغلب على البلد، وقتل أتسز لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة واستقام الأمر لتتش.

1 السير (431/18-432) والكامل في التاريخ (99/10-100)، والوفاي بالوفيات (6/195) والبداية والنهاية (127/12) وتاريخ دمشق لابن عساکر (7/348).

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في البداية والنهاية: وقد كان إقسييس هذا... من خيار الملوك وأجودهم سيرة، وأصحهم سريرة، أزال الرفض عن أهل الشام، وأبطل الأذان بحج علي خير العمل، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين.¹

1) سعد بن علي الزنجاني² (4هـ)

سعد بن علي بن محمد بن علي بن حسين، أبو القاسم الزنجاني الحافظ. ولد في حدود سنة ثمانين وثلاثمائة. سمع أبا عبدالله محمد بن الفضل بن نظيف وأبا الحسن الحبان وعلي بن سلامة وعبدالرحمن بن ياسر والحسين بن ميمون الصدي وجماعة. وروى عنه أبو بكر الخطيب وأبو المظفر السمعاني ومحمد ابن طاهر المقدسي وهبة الله بن فاجر، وآخرون. قال أبو سعد: كان أبو القاسم حافظاً، متقناً، ثقة، ورعاً، كثير العبادة. وقال محمد بن طاهر: ما رأيت مثله، سمعت أبا إسحاق الحبال يقول: لم يكن في الدنيا مثل أبي القاسم سعد بن علي الزنجاني في الفضل.

وقال الذهبي: وقد كان الحافظ سعد بن علي هذا من رؤوس أهل السنة وأئمة الأثر ومن يعادي الكلام وأهله، ويذم الآراء والأهواء. وله قصيدة مشهورة في السنة. وسئل إسماعيل الطلحي عنه فقال: إمام كبير

1 البداية والنهاية (127/12).

2 الأنساب (168/3) والمتنظم (201/16) والسير (385-389) وتاريخ الإسلام (حوادث 471-480/45-49) وتذكرة الحفاظ (1174-1178/3) والوفايات (180/15) وشذرات الذهب (339-340).

عارف بالسنة. توفي رحمه الله سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل سنة سبعين بمكة.

◀ موقفه من المبتدعة والجهمية:

قال الذهبي في التذكرة: وقد كان الحافظ سعد بن علي هذا من رؤوس أهل السنة وأئمة الأثر ومن يعادي الكلام وأهله ويذم الآراء والأهواء فنسأل الله أن يحتتم لنا بخير وأن يتوفانا على الإيمان والسنة، فلقد قل من يتمسك بمحض السنة بل تراه يثني على السنة وأهلها وقد تلطخ بيدع الكلام ويجسر على الخوض في أسماء الله وصفاته وبادر إلى نفيها وبالغ بزعمه في التثريب، وإنما كمال التثريب تعظيم الرب عز وجل وبعته بما وصف به نفسه تعالى.¹

له من الآثار السلفية:

قصيدة أبدى عقيدته السلفية فيها، ونقل منها الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش² والذهبي في السير³ وهي من أبلغ القصائد، قال رحمه الله:

تدبر كلام الله واعتمد الخير ودع عنك رأيا لا يلائمه الأثر
 ونهج الهدى فالزمه واقتد بالألى هم شهدوا التثريب علك تنحير
 وكن موقنا أنا وكل مكلف أمرنا بقفو الحق والأخذ بالحذر
 وحكم فيما بيننا قول مالك قدير حلیم عالم الغيب مقتدر
 سمیع بصير واحد متكلم مرید لما يجري على الخلق من قدر

1 التذكرة (1177/3-1178).

2 (179-180).

3 (387/18-389).

فمن خالف الوحي المبين بعقله
وفي ترك أمر المصطفى فتنة فذر
فذاك امرء قد خاب حقا وقد خسر
خلاف الذي قد قاله واتل واعتبر¹
إلى أن قال:

وما أجمعت فيه الصحابة حجة
ففي الأحذ بالإجماع فاعلم سعادة
وتلك سبيل المؤمنين لمن سير
كما في شنوذ القول نوع من الخطر
وفي اجتماع الجيوش:

تمسك بجبل الله واتبع الأثر
ثم قال ابن القيم: وقال في شرح هذه القصيدة: والصواب عند أهل
الحق أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقا قبل
خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السماوات
والأرض على ما ورد به النص ونطق به القرآن، وليس معنى استوائه أنه ملكه
واستولى عليه لأنه كان مستوليا عليه قبل ذلك وهو أحدثه، لأنه مالك جميع
المخلوقات ومستول عليها، وليس معنى الاستواء أيضا أنه ماس العرش أو اعتمد
عليه أو طابقه فإن كل ذلك ممتنع في وصفه جل ذكره ولكنه مستو بذاته
على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.²

1 السير (387/18-388).

2 اجتماع الجيوش (ص. 180).

ابن البناء¹ (471 هـ)

الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء البغدادي أبو علي الإمام العالم المفتي المحدث، صاحب التأليف، سمع من هلال الحفار وأبي الفتح بن أبي الفوارس وعبدالله بن يحيى السكري وطبقتهم، فأكثر وأحسن. روى عنه أحمد ابن ظفر المغازلي وأبو منصور عبدالرحمن القزاز وآخرون وقد تلا بالروايات على أبي الحسن الحمامي، وعلق الفقه والخلاف عن القاضي أبي يعلى قديما، واشتغل في حياته وصنف في الفقه والأصول والحديث، وكان له حلقة للفتوى وحلقة للوعظ وكان شديدا على المخالفين. قال القفطي: كان مشارا إليه في القراءات واللغة والحديث. وقال شجاع الذهلي: كان أحد القراء المجودين سمعنا منه قطعة من تصانيفه. توفي في رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

آثاره السلفية:

- 1- 'المختار في أصول السنة' وهو عبارة عن مختصر لشريعة الأجرى، وهو مطبوع ومتداول.
- 2- 'شرح قصيدة ابن أبي داود في السنة'.² وكان أديبا شديدا على أهل الأهواء.³

1 السير (382-380/18) والوافي بالوفيات (383-381/11) وتذكرة الحفاظ (1176/3-1177) والعبير (5/2) والمنتظم (201-200/16) وشذرات الذهب (338/3-339).

2 طبقات الحنابلة (35/3).

3 طبقات الحنابلة (33/3).

3- 'شرف أصحاب الحديث'، ذكره ابن رجب في ذيل الطبقات¹ والعلمي في الدر المنضد².

4- 'كتاب مفرد في الاثني والسبعين فرقة'، ذكره المؤلف نفسه في كتابه المختار في أصول السنة³ (حيث قال: وقد أفردت كتابا بالاثني وسبعين فرقة ومذاهبهم وبعض أدلتهم، وأجبت على جميع ذلك بحمد الله ومنه إن شاء الله).

5- 'كتاب في السنة'، وهو جزآن يشتمل على خمسين بابا. وقد ذكره المؤلف في كتاب المختار⁴.

﴿ موقفه من المشركين: ﴾

قال شيخ الإسلام: وقال أبو علي ابن البناء في 'الخصال والأقسام' له: ومن سب النبي عليه الصلاة والسلام وجب قتله، ولا تقبل توبته، وإن كان كافرا فأسلم فالصحيح من المذهب أنه يقتل أيضا ولا يستتاب. قال: ومذهب مالك كمذهبننا⁵.

﴿ موقفه من الجهمية والقدرية: ﴾

قال رحمه الله: وأما القدرية والمعتزلة وأنواعهم فينكرون الصراط والميزان والكرسي ووزع يوم القيامة، ونعيم القبر، وعذابه، وسؤال منكر ونكير

1 (35/1).

2 (209/1).

3 (ص. 91-92).

4 (ص. 150).

5 الصارم (310-311).

وضغطة القبر، وخلق الجنة والنار والحدود العيون، وقالوا: ليس للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعة، ولا له حوض، وكذبوا بالأخبار الواردة في ذلك، وقالوا: لا يجوز أن يرى الله عز وجل أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة لا مؤمن ولا كافر، وقالوا: كلام الله محدث مخلوق، وقالوا: أسماء الله مخلوقة، وما كان له اسم حتى خلق له الخلق اسما، ويبقى عند عدم الخلق بلا اسم ولا صفة، وقالوا: يجوز أن يقال: بأن الله قادر على الظلم والكذب وغيرهما من القبائح، وقال الجبائي: يجوز أن يقال: بأن الله محبل نساء العالمين، وقالوا: يجب على الله أن يعرض الثواب والجزاء، وأهل السنة يقولون ذلك تفضل منه غير واجب عليه. وعندنا جميع أفعال العباد خلق لله تعالى كسب لهم خيرها وشورها، وعند القدرية هي خلق لهم لا رب لها ولا إله، وعندنا صانع العالم واحد، وعندهم عدد كثير يشركونه في الصنعة والخلق.¹

موقف السلف من

ابن العجوز محمد بن عبدالرحمن (474 هـ)

بيان زندقته وتحريفه لكلام الله:

قال الذهبي: لقي أبا إسحاق التونسي بالقيروان، وعليه وعلى ابن البريا كانت العمدة في الفتوى، وكانت بينهما إحن، فجرت محنة للفظه قالها أبو عبدالله، قرأ الخطيب: (وأعدوا لهم ما استطعتم من) عدة، بدل: (قوة)²

1 المختار في أصول السنة له (ص. 87).

2 الأنفال الآية (60).

فقال: الوزن واحد. فكفروه، وأفتوا باستتابته، وسجن.¹

أحمد بن علي بن عبدالله المقرئ أبو الخطاب² (476 هـ)

أحمد بن علي بن عبدالله المقرئ الصوفي أبو الخطاب البغدادي. ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة قرأ على أبي الحسن الحمامي وغيره. تلا على الحمامي المذكور بالسبع وقرأ عليه خلق كثير منهم أبو الفضل بن المهدي وهبة الله بن المجلى وغيرهما. وروى عنه الحديث أبو بكر بن عبد الباقي وله مصنف في السبعة وقصيدة في السنة وقصيدة في عدد الآي وكان من شيوخ الإقراء ببغداد المشهورين بتجويد القراءة وتحسينها. توفي يوم الثلاثاء سادس وعشرين رمضان سنة ست وسبعين وأربعمائة ودفن بباب حرب.

◀ موقفه من الجهمية:

قال رحمه الله:

وإن كتاب الله ليس بمحدث	على ألسن تتلو، وفي الصدر يجمع
وما كتب الحفاظ في كل مصحف	كذلك إن أبصرت، أو كنت تسمع
وللجبل الرحمن لما بدا	له تدكدك خوفا كالشطى يتقطع
وكلم موسى ربه فوق عرشه	على الطور تكليما، فما زال يخضع ³

1 السير (551/18).

2 ذيل طبقات الحنابلة (48-45/3) وغاية النهاية (85/1) ومعرفة القراء الكبار (446-447/1) وتاريخ الإسلام (183/32) وشذرات الذهب (353/3).

3 ذيل الطبقات (47/1).

أبو الفتح عبد الوهاب ابن جلبة¹ (476 هـ)

عبد الوهاب بن أحمد بن جلبة الحراني أبو الفتح مفتي حران وقاضيها، تفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء، وكتب تصانيفه وسمع من أبي علي بن شاذان وأبي بكر البرقاني والحسن بن شهاب العكبري. أخذ عنه مكّي الرميلى والرحالة، وكان ولي قضاء حران نيابة من أبي يعلى. درس ووعظ وخطب ونشر السنة.

قتله ابن قريش العقيلي في سنة ست وسبعين وأربعمائة. عند قيام أهل حران على ابن قريش لما أظهر سب الصحابة.

◀ موقفه من المبتدعة والرافضة:

- قال ابن أبي يعلى: واختار الله العظيم له الشهادة على يدي ابن قريش العقيلي في سنة ست وسبعين وأربعمائة، عند اضطراب أهل حران على ابن قريش. لما أظهر سب السلف بها.²

- جاء في السير: وكان ولي قضاء حران نيابة من أبي يعلى. درس ووعظ وخطب ونشر السنة.

1 السير (561-560/18) والعر (9/2) والكامل في التاريخ (130-129/10) وشدرات الذهب (352/3).

2 طبقات الحنابلة (245/2) والسير (561/18) وذيل طبقات الحنابلة (43/1).

أبو إسحاق الشيرازي¹ (476 هـ)

الشيخ الإمام، القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن يوسف، الفيروز آبادي، الشيرازي الشافعي. ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. وقيل سنة ست وتسعين. سمع من أبي علي بن شاذان، وأبي بكر البرقاني، ومحمد بن عبيد الله الخرجوشي. وعنه الخطيب، وأبو الوليد الباجي، والحميدي وآخرون. قال ابن كثير: كان زاهدا عابدا ورعا، كبير القدر معظما محترما إماما في الفقه والأصول والحديث وفنون كثيرة، وله المصنفات الكثيرة النافعة. قال أبو بكر الشاشي: أبو إسحاق حجة الله على أئمة العصر. وقال الموفق الحنفي: أبو إسحاق أمير المؤمنين في الفقهاء. وقال شيرويه الديلمي: وكان ثقة فقيها زاهدا في الدنيا على التحقيق أوجد زمانه. وقال الذهلي: إمام أصحاب الشافعي والمقدم عليهم في وقته ببغداد، كان ثقة، ورعا، صالحا، عالما بالخلاف علما لا يشاركه فيه أحد. وقال القاضي ابن هانئ: إمامان ما اتفق لهما الحج، أبو إسحاق وأبو عبد الله الدامغاني، أما أبو إسحاق فكان فقيرا، ولو أرادته لحملوه على الأعناق... توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

لقد اختلفت الآراء في أبي إسحاق، هل هو سلفي أو أشعري، والذي رجحه الكثير من الباحثين أنه كان على عقيدة السلف. وقد ذكر الدكتور

1 السيرة (18/452-464) والأنساب (9/361-362) والمنتظم (16/228-231) والكامل في التاريخ (10/132-133) ووفيات الأعيان (1/29-31) والوفيات بالوفيات (6/62-66) والبداية والنهاية (12/133) وشذرات الذهب (3/349-351).

زكريا عبدالرزاق في مقدمة تحقيقه لكتاب النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة مرجحات ثمانية لسلفية الشيخ، ثم عقد فصلا للجواب عن شبه من ادعى أنه أشعري وكذلك الدكتور عبدالمجيد التركي في مقدمته لكتاب 'الوصول إلى مسائل الأصول' للشيخ أبي إسحاق فقال: (والمرجح أن ابن الصباغ لم يكن يقول بمقالة الأشاعرة، وإنما كان على غرار الشيرازي على عقيدة السلف الصالح ويبدو هذا من خلال كتابه الوحيد الذي وصل إلينا من كامل كتبه - أي كتاب الطريق السالم -).

ومن أكبر المرجحات ما تركه من الآثار السلفية: 'عقيدة السلف'.

كان الشيخ أبو إسحاق يقول: إنما نفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم

إلى الحنابلة.¹

عبدالله بن عطاء الهروي² (476 هـ)

عبدالله بن عطاء بن عبدالله الإبراهيمي الهروي المحدث الحافظ أبو محمد. أحد الحفاظ المشهورين الرحالين سمع من عبدالواحد المليحي وشيخ الإسلام الأنصاري ومن عبدالرحمن وعبدالوهاب ابني منده وجماعة. وكتب بخطه الكثير وخرج التخاريج وحدث.

روى عنه أبو محمد سبط الخياط وأبو بكر بن الزعفراني وآخر من

1 مجموع الفتاوى (17/4).

2 ذيل طبقات الحنابلة (3/44-45) وشدرات الذهب (3/352-353) والميزان (2/462) واللسان (3/316) والمنتظم (16/231-232).

روى عنه أبو المعالي بن النحاس ووثقه طائفة من حفاظ وقته في الحديث منهم المؤمن الساجي.

قال شهردار الديلمي عنه كان صدوقا حافظا متقنا واعظا حسان التذكير.

وقال يحيى بن منده: كان أحد من يفهم الحديث ويحفظ صحيح النقل كثير الكتابة حسن الفهم وكان واعظا حسن التذكير. وتوفي في طريق مكة بعد عوده منها على يومين من البصرة سنة ست وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى.

◀ موقفه من الجهمية:

قال خميس الجوزي: رأيت ببغداد ملتحقا بأصحابنا، ومتخصصا بالحنابلة، يخرج لهم الأحاديث المتعلقة بالصفات، ويرويها لهم. وأضداده من الأشعرية يقولون: هو يضعها. وما علمت فيه ذلك. وكان يعرفه¹.

موقف السلف من

البكري أبي بكر عتيق الأشعري (476 هـ)

بيان فضائحه الأشعرية:

جاء في السير: وفد على النظام الوزير -أي البكري-، فنسق عليه، وكتب له توقيعا بأن يعظ بجوامع بغداد، فقدم وجلس، واحتفل الخلق، فذكر

الحنابلة، وحط وبالغ، ونيزهم بالتجسيم، فهاجت الفتنة، وغلت بها المراحل، وكفر هؤلاء هؤلاء، ولما عزم على الجلوس بجامع المنصور، قال نقيب النقباء: قفوا حتى أنقل أهلي، فلا بد من قتل ونهب. ثم أغلقت أبواب الجامع، وصعد البكري، وحوله الترك بالقسي، ولقب بعلم السنة، فعرض لأصحابه طائفة من الحنابلة، فشددت الدولة منه، وكبست دور بني القاضي ابن الفراء، وأخذت كتبهم، وفيها كتاب في الصفات، فكان يقرأ بين يدي البكري، وهو يشنع ويشغب، ثم خرج البكري إلى المعسكر متشكياً من عميد بغداد أبي الفتح بن أبي الليث. وقيل: إنه وعظ وعظم الإمام أحمد، ثم تلا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا﴾¹ فجاءته حصة ثم أخرى، فكشف النقيب عن الحال فكانوا ناساً من الهاشميين حنابلة قد تحبوا في بطانة السقف، فعاقبهم النقيب، ثم رجع البكري عليلاً، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة.²

✓ التعليق:

- من هذه الحادثة يستفاد:
- ما كان عليه نظام الملك من نصرة لعقيدة الأشاعرة.
- جراءة الأشاعرة على أهل الإثبات.
- مصادرة كتب السلف.

1 البقرة الآية (102).

2 السر (561/18-562).

- تمسك السلفين بعقيدتهم مهما كان المقابل.
- تشويه الأشاعرة لأهل الإثبات ومحاولة التستر وراء الإمام أحمد وهو بريء منهم.

موقف السلف من

مسعود بن ناصر (477 هـ)

بيان ضلاله في باب القدر:

قال أبو بكر بن الخاضبة: وكان مسعود قدريا، سمعته يقرأ الحديث، فلما أتى على حديث أبي هريرة: «احتج آدم وموسى»¹ في الحديث، وقال: «فحج آدم موسى» فجعل موسى فاعلا وآدم محجوجا، نوزع في ذلك وجرت قصة².

عبد الملك الجويني³ (478 هـ)

إمام الحرمين، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، أبو المعالي، عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين الشافعي، صاحب التصانيف. ولد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة. سمع من والده، وأبي حسان محمد بن أحمد المزكي، وأبي

1 تقدم في مواقف هارون الرشيد سنة (193 هـ).

2 المنتظم (238/16) والتذكرة (1217/4).

3 السير (477-468/18) والأنساب (387-386/3) والمنتظم (247-244/16) والكمال في التاريخ (145/10)

ووفيات الأعيان (170-167/1) والبداية والنهاية (137-136/12) والعقد الثمين (128-127/5) وشذرات

الذهب (362-358/3).

عبدالرحمن محمد بن عبدالعزيز النبلي وآخرين. وعنه جماعة منهم أبو عبدالله الفراوي، وزاهر الشامسي، وأحمد بن سهل المسجدي. سمع الحديث الكثير في البلاد وفي بغداد، وخرج إلى الحجاز فأقام بمكة أربع سنين، وعاد إلى نيسابور فجلس للتدريس ثلاثين سنة، وقد سلم إليه التدريس والمحراب والمنبر والخطابة ومجلس التذكير يوم الجمعة، وكان يحضر درسه كل يوم نحو ثلاثمائة، وتخرج به جماعة من الأكابر، حتى درسوا في حياته. قال أبو إسحاق الفيروز أبادي: تمتعوا من هذا الإمام، فإنه نزهة هذا الزمان، يعني أبا المعالي الجويني. كان من أئمة أهل الكلام، فتاب منه وتبرأ من أهله، ورجع إلى مذهب السلف. توفي رحمه الله ليلة الأربعاء بعد العشاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

هذا الرجل تركه أبوه وعمره عشرون سنة مع أن أباه رجع إلى عقيدة السلف ونبت الأشعرية، ولا أدري كيف لم يستفد عبدالملك من أبيه عبدالله الذي تقدم الحديث عنه. والمهم أن أبا المعالي تربى على الأشعرية وعلم الكلام وترعرع في ذلك، حتى أصبح العمدة عند الأشاعرة على الخصوص وعند علماء الكلام على العموم، وألف لهم كتباً أصبحت المصدر الأول للعقيدة الأشعرية، منها 'الإرشاد' وقد طبع، و'الشامل' وهو الذي سماه شيخ الإسلام بـ'زبور الأشاعرة'، والحق أنه قطع الطريق على الأشعري وأصحابه، وأصبحت العقيدة الأشعرية مستمدة على ما قعده أبو المعالي. والكلام على أبي المعالي يحتاج إلى تأليف خاص، والمهم عندنا الإشارة إلى المواقف السلفية،

ومن كان واقفا عقبه أمام العقيدة السلفية، فكان هذا الرجل من أكبر العقبات التي واجهت العقيدة السلفية وسمع ما يقوله في السلف وكتبهم.

قال أبو المعالي: إن أئمة السنة وأخيار الأمة بعد صحب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، لم يودع أحد منهم كتابه الأخبار المتشابهات، فلم يورد مالك رضي الله عنه في الموطأ منها شيئا مما أورده الآجري وأمثاله، وكذلك الشافعي وأبو حنيفة وسفيان والليث والثوري ولم يفتوا بنقل المشكلات.

ونبغت ناشئة ضرروا بنقل المشكلات وتدوين المتشابهات، وتبويب أبواب ورسم تراجم على ترتيب فطرة المخلوقات، ورسموا بابا في ضحك الباري، وبابا في نزوله وانتقاله وعروجه ودخوله وخروجه، وبابا في إثبات الأضراس، وبابا في خلق الله آدم على صورة الرحمن، وبابا في إثبات القدم والشعر القطط، وبابا في إثبات الأصوات والنعيمات، تعالى الله عن قول الزائغين.

قال: وليس يعتمد جمع هذه الأبواب وتمهيد هذه الأنساب إلا مشبهه على التحقيق أو متلاعب زنديق.¹

✓ التعليق:

انظر إلى هذا الحقد على السلف وكتبهم حتى جعله يخترع ما لم يوجد، ولا خطر ببال، وأين هذه الدعاوى في كتاب الآجري الذي مثل به. ودعواه أن الأئمة لم يوردوا شيئا من أحاديث الصفات جهل واضح. وقد

بين شيخ الإسلام ذلك بيانا مفصلا في الفتاوى الكبرى.¹

وكانت بضاعة أبي المعالي في الحديث قليلة وربما منعدمة.

يقول الإمام الذهبي: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته، لا يدري الحديث كما يليق به، لا متنا ولا إسنادا. ذكر في كتاب البرهان حديث معاذ في القياس فقال: هو مدون في الصحاح متفق على صحته.²

✓ التعليق:

فمن كان حاله كما وصف الذهبي، هل له أن يقول إن الأئمة لم يوردوا شيئا من أحاديث الصفات. فكل فن له أربابه، ومن تكلم فيما لا يحسنه كان ساقط الحجة.

وقوعه في الحيرة لمخالفة عقيدة السلف في العلو:

- قال محمد بن طاهر: حضر المحدث أبو جعفر الهمداني مجلس وعظ أبي المعالي، فقال: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه. فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت بمحنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا، أو قال: فهل عندك دواء لدفع هذه الضرورة التي نجدها؟ قال: يا حبيبي ما ثم إلا الحيرة. ولطم على رأسه، ونزل، وبقي

1 (307-292/5).

2 السير (471/18).

وقت عجيب، وقال فيما بعد: حيرني الهمداني.¹

- ونقل أن أبا المعالي تاب ورجع إلى عقيدة السلف نحسن الظن به أنه رجع في نيته إلى عقيدة السلف، ولكن العبارة التي يستدل بها من قال إنه رجع في كتابه المسمى العقيدة النظامية، والعبارة عبارة عن التعبير عن التفويض لا عن الإثبات وهذه هي العبارة بعينها من العقيدة النظامية قال: اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فحواها فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في القرآن وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقد اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب الرسول ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام المستقلون بأعباء الشريعة...²

- ومن أقواله في رجوعه عن الكلام إلى الحديث والآثار ما جاء في السير: قال الحافظ محمد بن طاهر: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب - وكان يختلف إلى درس الأستاذ أبي المعالي في الكلام- فقال: سمعت أبا المعالي اليوم يقول: يا أصحابنا: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

1 السير (474/18-475).

2 العقيدة النظامية (ص. 23) والسير (473/18).

- وحكى الفقيه أبو عبدالله الحسن بن العباس الرستمي قال: حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.¹

- قال ابن الجوزي: وكان أبو المعالي الجويني يقول لقد جلست أهل الإسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي فهو عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويحتم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني. وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلته به.²

- قال المازري في شرح 'البرهان' في قوله: إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات: وددت لو محوها بدمي. وقيل: لم يقل بهذه المسألة تصريحاً، بل ألزم بها لأنه قال بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناه من نعيم أهل الجنة، فالله أعلم. قلت -أي الذهبي-: هذه هفوة اعتزال، هجر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه، ونفي بسببها، فجاور وتعبد، وتاب - والله الحمد- منها، كما أنه في الآخر رجع مذهب السلف في الصفات

1 السير (18/474) ومجموع الفتاوى (11/5).

2 تلبيس إبليس (104-105).

وأقره.¹

- قال الفقيه الغانم الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالي يقول لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام.²

موقف السلف من

مسلم بن قريش صاحب الموصل (478 هـ)

بيان رفضه وتسلطه:

جاء في السير: السلطان شرف الدولة، أبو المكارم، مسلم بن ملك العرب قريش بن بدران بن الملك حسام الدولة مقلد بن المسيب بن رافع العقيلي.

كان يترفض كأبيه. ونهب أبوه دور الخلافة في فتنة البساسيري، وأجار القائم بأمر الله. ومات سنة ثلاث وخمسين كهلا، فولي ابنه دينار ربيعة ومضر، وتملك حلب، وأخذ الأتاوة من بلاد الروم، وحاصر دمشق، وكاد أن يأخذها، فترع أهل حران طاعته، فبادر إليها، فحاربوه، فافتتحها، وبذل السيف في السنة بها، وأظهر سب الصحابة، ودانت له العرب، ورام الإستيلاء على بغداد بعد طغربك، وكان يجيد النظم، وله سطوة وسياسة وعدل بعنف، وكان يعطي جزية بلاده للعلوية. عمر سور الموصل وشييدها. ثم إنه عمل المصاف مع سلطان الروم سليمان بن قلمش في سنة 478 بظاهر

1 السير (472/18).

2 السير (473/18).

أنطاكية، فقتل مسلم وله بضع وأربعون سنة. وقيل: بل خنقه خادم في الحمام. وملكوا أخاه إبراهيم، وله سيرة طويلة وحروب وعجائب.¹

شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (481 هـ)

كان هذا الإمام سدا منيعا في وجوه المبتدعة، برز ذلك في شخصه وكتبه ومناظراته، لقد عرض على السيف خمس مرات ومع ذلك رزقه الله الصمود في وجه من أراد أن يجعله أشعريا أو كلايبيا. ولأبي إسماعيل أخطاء تمنينا وتمنى أهل العلم قبلنا عدم صدورها من الشيخ يتمثل ذلك في كتابه: 'منازل السائرين' ذكر فيه أشياء يتبرأ السلف منها، وربما فيه ما يؤدي إلى الحلول. وقد قال الإمام الذهبي في 'منازل السائرين': فيه أشياء مطربة وفيه أشياء مشكلة ومن تأمله لاح له ما أشرت إليه.²

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلام له على إبطال أن الله في كل مكان: وإن قالوا بحلوله بذاته في قلوب العارفين كان هذا قولاً بالحلول الخالص وقد وقع في ذلك طائفة من الصوفية حتى صاحب: 'منازل السائرين' في توحيده المذكور في آخر المنازل في مثل هذا الحلول.³

وقال الذهبي: ورأيت أهل الاتحاد يعظمون كلامه في منازل السائرين ويدعون أنه موافقهم، ذائق لوجدتهم، ورامز لتصوفهم الفلسفي، وأنى يكون

1 السر (482/18-483).

2 السر (509/18).

3 مجموع الفتاوى (230/5).

ذلك وهو من دعاة السنة وعصبة آثار السلف؟¹

وقال أيضا: ... فإن طائفة من صوفة الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في منازل السائرين وينتحلون، ويزعمون أنه موافقهم، كلا بل هو رجل أثري، لهج بإثبات نصوص الصفات، منافر للكلام وأهله جدا.²

وقال ابن رجب: وقد اعتنى بشرح كتابه منازل السائرين جماعة، وهو كثير الإشارة إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية، واضمحلال ما سوى الله تعالى في الشهود لا في الوجود. فيتوهم فيه أنه يشير إلى الاتحاد حتى انتحله قوم من الاتحادية، وعظموه لذلك. وذمه قوم من أهل السنة، وقدحوا فيه بذلك. وقد برأه الله من الاتحاد. وقد انتصر له شيخنا أبو عبد الله ابن القيم في كتابه الذي شرح فيه المنازل، وبين أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل.³

وإليك نماذج من مواقف شيخ الإسلام الهروي من الجهمية:

مخن الشيخ:

- قال شيخ الإسلام الهروي: ثم إني لا أعلم أي سمعت في عمري بشرا واحدا في بلدتنا يقر على نفسه بذلك المذهب أو يصرح بشيء من الكلام، وهو يعرفه أو يظهر شيئا من كتبهم إلا من أحد وجوه أربعة:

أحدها: أن يكون رجل علم منه أنه قرأ الكلام فهو يحلف أنه إنما قرأه ليصول به على خصم لا ليدين به دينا.

1 تذكرة الحفاظ (1183/3).

2 سير أعلام النبلاء (510/18).

3 ذيل طبقات الحنابلة (67/1).

والثاني: رجل أخذ عن أستاذ متهم به فهو يحلف بالله أنه إنما أخذ عنه الفقه لا الكلام.

والثالث: قوم لحقهم داء من الصحبة حتى لحظتهم الأعين بالهوان بصحبة أهل التهمة والركون إليهم، فهم إذا خلوا يتناجون، وإذا برزوا يتهاجون.

والرابع: رجل ظهر عليه شيء من كتب الكلام بخطه أو قراءته أو أخذه حيا أو ميتا، فكلهم يحمل من أعباء الذل والهجران والطررد ما لا يحمل عيار ولا يعالجه ماجن ولا مخنث، ولا مريضهم يعاد ولا جنائزهم تشيع، على أنك لا تعدم منهم قلة الورع وقسوة القلب، وقلة الورد وسوء الصلاة والاستخفاف بالسنة والتهاون بالحديث والوضع من أهله وترك الجماعات والشماتة بفواجع أهل السنة والهزوء بهم. وقد سمعت بعض المتهمين يقول: وما الكلام كل ما خرج من الفم من النطق فهو كلام، فهو والله حمق ظاهر أن يكون يلبسه بالشافعي الإمام المطلي باعترائه الكاذب إليه، وزعمه الباهت عليه، وهو من أشد خلق الله تعالى على المتكلمين وأثقلهم عليه، كما نظمنا عنه من أقاويله الغر في ذمهم، ثم هذا المراوغ يدعي أنه لا يدري ما الكلام، وهؤلاء أئمة الإسلام. وكل هذا التحذير وإيدانه قديما بالضرر الكبير، فليبرزوا به إذا من الخباء، وليخرجوا الطبل من الكساء وقيموا الخطأ على أولئك السادة الهداة، وليشيروا بنا إلى كل مسلم أدركه في الكلام رشد، أو لقي به خيرا، فلا والله لا دين المتناجين دين، ولا رأي

المستترين متين.¹

- قال ابن تيمية: وشيخ الإسلام، وإن كان رحمه الله من أشد الناس مباينة للجهمية في الصفات، وقد صنف كتابه 'الفاروق في الفرق بين المثبتة والمعطلة' وصنف كتاب 'تكفير الجهمية' وصنف كتاب 'ذم الكلام وأهله' وزاد في هذا الباب، حتى صار يوصف بالغلو في الإثبات للصفات، لكنه في القدر على رأي الجهمية، نفاة الحكم والأسباب.²

- جاء في سير أعلام النبلاء: قال ابن طاهر: سمعته يقول: عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال اسكت عمّن خالفك. فأقول لا أسكت.³

وقال المحافظ أبو النضر الفامي: كان شيخ الإسلام أبو إسماعيل بكر الزمان وواسطة عقد المعاني وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن منها، نصره الدين والسنة من غير مداينة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت وسعوا في روحه مرارا وعمدوا إلى إهلاكه أطوارا، فوفاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه.⁴

- وسمعت خادمه أحمد بن أميرجه يقول: حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير نظام الملك، وكان أصحابنا كلفوه الخروج إليه وذلك بعد المحنة ورجوعه إلى وطنه من بلخ - يعني أنه كان قد غرب - قال: فلما دخل عليه

1 ذم الكلام (425/4-428 الأنصاري).

2 المنهاج (358/5).

3 السير (509/18) وطبقات الحنابلة (54-53/1).

4 السير (510/18).

أكرمه وبجله وكان هناك أئمة من الفريقين فاتفقوا على أن يسأله بين يدي الوزير فقال العلوي الدبوسي: يأذن الشيخ الإمام أن يسأل؟ قال: سل؟ قللي: لم تلعن أبا الحسن الأشعري؟ فسكت الشيخ وأطرق الوزير. فلما كان بعد ساعة قال الوزير: أجبه؟ فقال: لا أعرف أبا الحسن وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء وأن القرآن في المصحف ويقول: إن النبي ﷺ اليوم ليس ببني. ثم قام وانصرف فلم يمكن أحدا أن يتكلم من هيئته فقال الوزير للسائل: هذا أردتم، أن نسمع ما كان يذكره بهراة بآذاننا وما عسى أن أفعل به؟ ثم بعث إليه بصلة وخلع فلم يقبلها وسافر من فورهِ إلى هراة.¹

- قال: وسمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشائخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه، وقالوا ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنما من نحاس صغيرا وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنما يزعم أن الله تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده. فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاما وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألقى الغلام الصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتى فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة. قال: لست عن ذا

أسألك. قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا وأنت تقول: إن الله على صورته. فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: سبحانك هذا بهتان عظيم. فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرما وقال لهم: اصدقوني وهددهم فقالوا: نحن في يدي هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامه فأردنا أن نقطع شره عنا. فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم.¹

✓ التعليق:

هكذا مكائد المبتدعة في كل زمان ومكان، لا يراقبون الله ولا يخافونه، فالرجل ينافح عن مذهب السلف ويدافع عنه، وهم يتهمونه بالتشبيه والتمثيل وتصل بهم الوقاحة إلى ما فعلوا. ولكن الله لطيف بعباده وهو للظالمين بالمرصاد مهما علا شأنهم وارتفع.

مناظرات الشيخ وفحمة للخصم:

- قال ابن طاهر: حكى لي أصحابنا، أن السلطان ألب أرسلان قدم هراة ومعه وزيره نظام الملك، فاجتمع إليه أئمة الحنفية وأئمة الشافعية للشكوى من الأنصاري ومطالبته بالمناظرة، فاستدعاه الوزير فلما حضر قال: إن هؤلاء قد اجتمعوا لمناظرتك فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم رجعت أو تسكت عنهم، فوثب الأنصاري وقال: أناظر على ما في كمي قال: وما في كمي؟ قال: كتاب الله - وأشار إلى كفه

اليمين - وسنة رسوله - وأشار إلى كفه اليسار - وكان فيه: الصحيحان فنظر الوزير إليهم مستفهما لهم؟ فلم يكن فيهم من ناظره من هذا الطريق.¹

- وجاء في ذيل طبقات الحنابلة: وذكر الرهاوي أن الحسين بن محمد الكتبي، ذكر في تاريخه أن مسعود ابن محمود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة فاستحضر شيخ الإسلام وقال له: أتقول: إن الله عز وجل يضع قدمه في النار؟ فقال: أطال الله بقاء السلطان المعظم إن الله عز وجل لا يتضرر بالنار والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون في ما يروون عنه، ويسندون إليه فاستحسن جوابه ورده مكرما.²

✓ التعليق:

كان السلاح عند علماء السلف الكتاب والسنة. فما وافقهما استعانوا به، وما خالفهما نبذوه وراءهم ظهريا. والأمر إلى يومنا هذا كذلك، فمن تمسك بالكتاب والسنة وطلب الحجة منهما تجده دائما هو القوي والغالب مهما كان شأن المناظر، ومن قصر فيهما يكون كل واحد بحسبه، فعلمه بما يفيد به بقدر ذلك وجهله بما يجعله مذموما مدحورا.

- جاء في السير: قال المؤمن وسمعتة يقول: تركت الحيري لله، قال: وإنما تركه لأنه سمع منه شيئا يخالف السنة.

قال الإمام الذهبي: كان يدري الكلام على رأي الأشعري وكان شيخ الإسلام أثريا قحا، ينال من المتكلمة فلهذا أعرض عن الحيري، والحيري فتحة

1 السير (510/18-511) وذيل طبقات الحنابلة (54/1).

2 ذيل طبقات الحنابلة (57/1).

عالم.¹

- وجاء في طبقات الحنابلة: وكان شديدا على الأشعرية.²

ولشيخ الإسلام قصيدة نونية طويلة مشهورة ذكر فيها أصول السنة.³

آثار الشيخ السلفية:

1- 'الفاروق في الصفات': نقل منه ابن القيم في اجتماع الجيوش⁴،

وشيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى⁵ والمنهاج⁶، وقال فيه الإمام الذهبي:

غالب ما رواه في كتاب 'الفاروق' صحاح وحسان وفيه باب إثبات استواء

الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنا من خلقه، من الكتاب والسنة...⁷

2- 'ذم الكلام': وهو من خيرة المصادر السلفية، وتوجد منه نسخة في

الجامعة الإسلامية، ونسخة أخرى في تركيا، وقد سجل رسالة علمية بالجامعة

الإسلامية: قسم العقيدة من قبل الطالب عبدالرحمان الشبلي، في مرحلة

الماجستير - وقد نفعنا الله به في هذا البحث المبارك - وأكثر من النقل عنه العلماء

في كتبهم. ولخصه السيوطي في صون المنطق وهو أشهر من أن يعرف به.

3- 'الأربعون في أصول الدين'، وقد طبع الكتاب بحمد الله بتحقيق

الشيخ علي ناصر فقيهي.

1 السير (506/18) وتذكرة الحفاظ (1186/3) وذيل طبقات الحنابلة (51/1).

2 ذيل الطبقات (247/2).

3 ذيل الطبقات (53/1).

4 (ص. 253-254).

5 (49/5).

6 (358/5).

7 السير (514/18).

4- 'الرد على الجهمية'، ذكره شيخ الإسلام في المنهاج.¹

السنة الثانية والثمانون بعد الأربعمئة

فضائح الشيعة وموقف المسلمين منهم (482 هـ)

جاء في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة، وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ورفعوا المصاحف، وجرت حروب طويلة وقتل فيها خلق كثير، نقل ابن الجوزي في المنتظم من خط ابن عقيل، أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل قال: وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي ﷺ. فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ. وإنما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الإسلام وأهله ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم لله ولرسوله وشريعته.²

✓ التعليق:

لا أدري ماذا يقول دعاة التقارب في مثل هذه الوقائع المؤلمة، وماذا يقولون في تعبير الإمام ابن كثير هذا: هل هو جاهل بالوقائع التاريخية أو بالأحكام الشرعية، أو لا يعرف الفرق بين السنة والشيعة ومدى إمكانية التقارب بينهما. كل هذه أسئلة ينبغي لها أن توضع، ويجد دعاة التقارب لها جوابا حتى يقنعونا بفكرتهم الفاشلة التي منطلقها الضعف والخور، أو الأغراض الشخصية والمذهبية...

1 (358/5).

2 البداية والنهاية (144/12).

الحبال¹ (482 هـ)

إبراهيم بن سعيد بن عبدالله النعماني أبو إسحاق الإمام الحافظ المتقن العالم المصري الكتي الوراق الحبال، ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. وسمع من الحافظ عبدالغني بن سعيد في سنة سبع وأربعمائة. فكان آخر من سمع منه، وسمع من أحمد بن عبدالعزيز بن ثرثال ومن أبي محمد عبدالرحمن بن عمر بن النحاس ومحمد بن الفضل بن نظيف وخلق سواهم. وكان يتجر في الكتب ويخبرها، وحصل من الأصول والأجزاء ما لا يوصف كثرة. روى عنه أبو عبدالله الحميدي وإبراهيم بن الحسن العلوي النقيب ومحمد بن إبراهيم البكري وعدة.

قال ابن ماكولا: كان الحبال ثقة ثبتا ورعا خيرا. قال ابن طاهر: رأيت الحبال وما رأيت أنقن منه.

مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وله إحدى وتسعون سنة.

◀ موقفه من المشركين:

جاء في السير: وكانت الدولة الباطنية قد منعه من التحديث، وأخافوه، وهددوه، فامتنع من الرواية، ولم ينتشر له كبير شيء. قال القاضي أبو علي الصدي: منعت من الدخول إليه إلا بشرط أن لا يسمعي، ولا يكتب إجازة، فأول ما فاتحته الكلام خلط في كلامه، وأجابني على غير سؤال حذرا من أن أكون مدسوسا عليه، حتى بسطته، وأعلمته أن أندلسي

1 السير (503-495/18) والعبير (15/2) وتذكرة الحفاظ (1191/3-1196) والروايات بالوفيات (355/5) والنجوم الزاهرة (129/5) وشذرات الذهب (356/3).

أريد الحج، فأجاز لي لفظاً، وامتنع من غير ذلك.

✓ التعليق:

قال الذهبي: قبح الله دولة أمات السنة ورواية الأثارة النبوية، وأحيت الرفض والضلال، وبثت دعاها في النواحي تغوي الناس، ويدعونهم إلى نحلة الإسماعيلية، فبهم ضلت جبلية الشام، وتعشروا، فنحمد الله على السلامة في الدين.¹

موقف السلف من

أبي منصور بن شكرويه الأشعري (482 هـ)

بيان أشعريته:

قال السمعاني: سألت أبا سعد البغدادي عن أبي منصور بن شكرويه، فقال: كان أشعرياً، لا يسلم علينا، ولا نسلم عليه، ولكنه كان صحيح السماع.²

نظام الملك³ (485 هـ)

الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي أبو علي الوزير الكبير نظام الملك، عاقل سائس خبير سعيد متدين، محتشم عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشأ

1 السير (497/18).

2 السير (494/18).

3 السير (96-94/19) والمنتظم (307-302/16) ووفيات الأعيان (131-128/2) والوفيات بالوفيات (127-123/12) والبداية والنهاية (151-149/12) وشذرات الذهب (375-373/3).

المدرسة الكبرى ببغداد وأخرى بنيسابور وأخرى بطوس. ورغب في العلم وأدر على الطلبة الصلوات وأملى الحديث وبعد صيته، تنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكة على أتم ما ينبغي وخفف المظالم ورفق بالرعايا. سمع من القشيري وأبي مسلم بن مهرزاد وأبي حامد الأزهري. روى عنه علي بن طراد الزيني ونصر بن نصر العكبري وجماعة. وكان فيه تمشعر وفيه خير وتقوى وميل إلى الصالحين وخضوع لموعظتهم يعجبه من يبين له عيوب نفسه فينكسر ويكي. قتله باطني في هيئة صوفي ليلة الجمعة سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

جاء في السير: مولده في سنة ثمان وأربع مئة، وقتل صائما في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله قصة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك ليلة جمعة سنة خمس وثمانين وأربعمائة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله.¹

أبو الفرج عبد الواحد بن محمد² (486 هـ)

الإمام العلم، القدوة، سيد الوعاظ، شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الواحد ابن علي الأنصاري الشيرازي الأصل، الحراني المولد الدمشقي المقر.

1 السير (95/19).

2 السير (53-51/19) وطبقات الحنابلة (249-248/2) والكمال (228/10) وتذكرة الحفاظ (1199/3)

وشذرات الذهب (378/3).

سمع من أبي الحسن بن السمسار، وأبي عثمان الصابوني، وعبدالرزاق ابن الفضل الكلاعي وآخرين.

قال ابن أبي يعلى: كانت له كرامات ظاهرة ووقعات مع الأشاعرة، وظهر عليهم بالحجة في مجالس السلاطين ببلاد الشام.

قال ابن العماد: وكان إماما عارفا بالفقه والأصول صاحب حال وعبادة وتأله.

توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة ست وثمانين وأربعمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

- جاء في السير: قال أبو الحسين بن الفراء: وكانت له كرامات ظاهرة ووقعات مع الأشاعرة وظهر عليهم بالحجة في مجلس السلاطين بالشام.¹

- قال ابن أبي يعلى: وكان أبو الفرج ناصرا لاعتقادنا متجردا في نشره، مبطلا لتأويلات أخبار الصفات.²

وله من الآثار السلفية:

كتاب 'التبصرة في أصول الدين'، والكتاب مخطوط وهو في مكتبي، أخذته من جامعة سعود بالرياض. وقد سجل رسالة علمية في مرحلة الماجستير في جامعة الإمام وفيه مباحث قيمة.

1 السمر (52/19) وطبقات الحنابلة (248/2).

2 طبقات الحنابلة (249/2).

هبة الله بن عبد الوارث (486 هـ)

◀ موقفه من الصوفية:

قال أبو نصر الفاشاني: كنت إذا أتيت هبة الله بالرباط، أخرجني إلى الصحراء، وقال: اقرأ هنا، فالصوفية يترمون بمن يشتغل بالعلم والحديث، يقولون: يشوشون علينا أوقاتنا.¹

✓ التعليق:

ما حاجتهم إلى العلم، وهم يعتمدون على الكشف والعلم المباشر، الذي يحصل بطريق الفتح، كما في كتاب 'الإبريز' للمسمى عبدالعزيز الدباغ. وكما ذكر الغزالي في الإحياء وغيرهما مما سيأتي إن شاء الله.

ابن الأخضر² (486 هـ)

علي بن محمد بن محمد بن يحيى بن شعيب الشيباني بن الأخضر أبو الحسن الشيخ العالم الخطيب المسند. ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. سمع أبا أحمد بن أبي مسلم الفرضي وأبا عمر بن مهدي وأبا الحسن بن رزقويه وغيرهم. روى عنه إسماعيل بن محمد الحافظ وأبو نصر الغازي وأبو سعد بن البغدادي ونصر الله بن محمد مفتي دمشق وعدة. وكان فقيها خطيباً بالأنبار عمر وارتحل الناس إليه. قال السمعي: كان ثقة نبيلاً صدوقاً معمرًا مسنداً

1 السير (19/19).

2 السير (606-605/18) والمنظم (8/14) والبداية والنهاية (155/12)، وتذكرة الحفاظ (1199/3) وشذرات

الذهب (379/3).

انتشرت رواياته في الآفاق. أمره البساسيري أن يخطب للمستنصر، فلما خطب دعا للقائم، فأمر البساسيري بقطع يده على المنبر. توفي في شوال سنة ست وثمانين وأربعمائة.

◀ موقفه من الرفض:

جاء في السير: قال صالح بن علي بن الخطيب الأنباري: أمر البساسيري الرفض - جدنا عليا الخطيب أن يخطب للمستنصر صاحب مصر، فلما خطب، دعا للقائم، ولم يمثل أمر البساسيري، فأمر بقطع يده على المنبر.¹

موقف السلف من

صاحب سمرقند الزنديق (487 هـ)

بيان زندقته:

جاء في السير: الخان أحمد، كان جبارا مارقا، قام عليه الأمراء، وأمسكوه، ثم عقدوا له مجلسا، فادعوا أنه زنديق، فجحد، فأقاموا الشهود عليه بعظائم، فأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه، وسلطنوا بعده ابن عمه مسعودا سنة سبع وثمانين وأربعمائة.²

✓ التعليق:

نقرأ مثل هذه الوقائع ونبكي الدم على أحوالنا: كم من الزنادقة الذين يحتاجون إلى تنفيذ الحدود فيهم؟ والله المستعان.

1 السير (606/18).

2 السير (127/19-128).

موقف السلف من

المستنصر العبيدي الرافضي (487 هـ)

بيان رفضه:

- جاء في السير: وكان ناصر الدولة، يظهر التسنن، ويعيب المستنصر لخبث رفضه وعقيدته.¹
- وفيها: مات المستنصر في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وقد قارب السبعين. وكان سب الصحابة فاشيا في أيامه، والسنة غريبة مكتومة، حتى إنهم منعوا الحافظ أبا إسحاق الجبال من رواية الحديث، وهددوه، فامتنع. ثم قام بعد المستنصر ابنه أحمد.²

الحميدي³ (488 هـ)

الإمام الحافظ شيخ الحديث محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله أبو عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي. ولد قبل سنة عشرين وأربعمائة. لازم أبا محمد علي بن أحمد بن حزم، فأكثر عنه، وأخذ عن أبي عمر بن عبد البر وارتحل إلى مصر والحجاز والعراق وسمع الحديث هنالك من طائفة من أهل الحديث. حدث عنه الحافظ أبو عامر العبدري، ومحمد بن طرخان التركي وغيرهما.

قال عنه يحيى بن إبراهيم السلماسي: كان ورعا تقيًا إمامًا في

1 السير (191/15).

2 السير (195-196).

3 السير (127-120/19) ونفع الطيب (112/2) ومعجم الأدباء (282/18) وتذكرة الحفاظ (1218/4).

الحديث... على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة. قال أحمد ابن محمد المقرئ: كان إماما من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفته واتقانه وثقته ونبله وديانته. ومن نظمه:

طريق الزهد أفضل ما طريق وتقوى الله تأدية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه يعنك وذر بنيات الطريق
وقال أيضا:

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال
توفي رحمه الله سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

له أبيات يبين فيها منهجه السلفي:

كتاب الله عز وجل قولي وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بـداء وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها تكن منها على عين اليقين¹
وقال رحمه الله:

زين الفقيه حديث يستضيء به عند الحجاج وإلا كان في ظلم
إن تاه ذو مذهب في قفر مشكلة لاح الحديث له في الوقت كالعلم²
وقال أيضا:

1 السمر (127/19).

2 الإلغام (ص. 40).

الناس نبت، وأرباب العلوم معاً روض، وأهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه فلا شهود له إلا الأولى ذكروا¹

موقف السلف من

أبي يوسف القزويني المعتزلي (488 هـ)

بيان اعتراله:

من تأليفه التي بث فيها اعتراله:

قال السمعاني: كان أحد الفضلاء المقدمين، جمع 'التفسير' الكبير الذي لم ير في التفاسير أكبر منه، ولا أجمع للفوائد، لولا أنه مزجه بالاعتزال، وبث فيه معتقده، ولم يتبع نهج السلف. أقام بمصر سنين، وحصل أحمالاً من الكتب، وحملها إلى بغداد وكان داعية إلى الاعتزال. وقال ابن عساكر: سكن طرابلس مدة. سمعت الحسين بن محمد البلخي يقول: إن أبا يوسف صنف 'التفسير' في ثلاث مئة مجلد ونيف. وقال: من قرأه علي وهبت له النسخة. فلم يقرأه أحد.²

قال ابن عقيل في 'فنونه': قدم علينا من مصر القاضي أبو يوسف القزويني، وكان يفتخر بالاعتزال، ويتوسع في قدح العلماء، وله جرأة، وكان إذا قصد باب نظام الملك، يقول: استأذنوا لأبي يوسف المعتزلي. وكان طويل اللسان بعلم تارة، وبسفه تارة، لم يكن محققاً إلا في التفسير، فإنه لهج بذلك

1 المصدر نفسه.

2 السير (617/18).

حتى جمع كتابا بلغ خمس مئة مجلد، فيه العجائب، رأيت منه مجلدة في آية واحدة، وهي: «وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ»¹ فذكر السحر والملوك الذين نفق عليهم السحر، وتأثيراته وأنواعه.²

نصره لمذهب الاعتزال وبغضه السلف:

قال أبو علي بن سكرة: أبو يوسف كان معتزليا داعية يقول: لم يبق من ينصر هذا المذهب غيري، وكان قد أسن، وكاد أن يخفى في مجلسه، وله لسان شاب، ذكر لي أن 'تفسيره' ثلاث مئة مجلد، منها سبعة في سورة الفاتحة. وكان عنده جزء من حديث أبي حاتم الرازي، عن الأنصاري، فقرأت عليه بعضه، عن القاضي عبد الجبار، عن رجل عنه، قرأته لولدي شيخنا ابن سوار المقرئ، وقرأت لهما جزءا من حديث الحاملي، وسمعه في سنة تسع وتسعين وثلاث مئة وهو ابن أربع سنين أو نحوها. وكان لا يسلم أحدا من السلف، ويقول لنا: اخرجوا تدخل الملائكة.³

أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني⁴ (489 هـ)

إمام عصره بلا مدافعة، وعلو النظر في فنه بلا منازعة، مفتي خراسان،

1 البقرة الآية (102).

2 السير (618/18).

3 السير (620-619/18).

4 السير (119-114/19) والأنساب (140-139/7) والمنتظم (38-37/17) ووفيات الأعيان (211/3) والبداية

والنهاية (164/12) وشذرات الذهب (394-393/3).

شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي، السمعاني، المروزي. ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة. سمع بمرؤ أباه، وأبا غانم أحمد ابن علي الكراعي، وأبا بكر محمد بن عبد الصمد الترابي وآخرين. وعنه أولاده، وعمر بن محمد السرخسي، ومحمد بن أبي بكر السنجي وأبو نصر الغازي وغيرهم.

قال عبد الغافر في تاريخه: هو وحيد عصره في وقته فضلا، وطريقة، وزهدا وورعا، من بيت العلم والزهد، تفقه بأبيه، وصار من فحول أهل النظر، وأخذ يطالع كتب الحديث، وحج ورجع، وترك طريقته التي ناظر عليها ثلاثين سنة، وتحول شافعيًا. له تصانيف عديدة، وكان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة. وكان مناظرا فقيها. قال الإمام أبو علي بن الصفار: إذا ناظرت أبا المظفر، فكأني أناظر رجلا من أئمة التابعين، مما أرى عليه من آثار الصالحين. وقال حفيده في الأنساب: لا أقدر أن أصف بعض مناقبه، ومن طالع تصانيفه وأنصف، عرف محله من العلم.

توفي رحمه الله في ربيع الأول سنة تسع وثمانين بعد الأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

هذا الإمام ممن شاع صيته وبارك الله له في العمر وجعل من نسله العلماء، ألف تراثا عظيما سلفيا، يقول الذهبي عنه: تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة وكان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة.¹

آثاره السلفية:

1- 'الانتصار لأهل الحديث'، ذكره حفيده في الأنساب¹ والذهبي في السير² وذكره السيوطي في صون المنطق ولخصه³ وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون⁴ وابن الجوزي في المنتظم.⁵

2- 'التفسير'، مطبوع متداول وذكره حفيده في الأنساب⁶. وقد نحنا فيه نحو السلف.

3- 'منهاج أهل السنة'، ذكره حفيده في الأنساب.⁷

4- 'تقويم الأدلة'، ذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة⁸ وقال: نقل فيه الإجماع من علماء السنة أن أبا بكر أعلم من علي.

وله من المواقف الطيبة والكلام البليغ الذي من قرأه عرف قيمة الرجل العلمية والسلفية منها على سبيل المثال ما ذكره في كتابه 'الانتصار لأهل الحديث':

قال السيوطي: قال في كتابه 'الانتصار لأهل الحديث': قد لهج بـذم أصحاب الحديث صنفان: أهل الكلام، وأهل الرأي. فهم في كل وقت يقصدونهم بالثلب والعيب وينسبونهم إلى الجهل وقلة العلم، واتباع السواد

1 (299/3).

2 (117/19).

3 (183-147).

4 (173/1).

5 (38/17).

6 (299/3).

7 (299/3).

8 (502/7).

على البياض، وقالوا غناء وغثر، وزوامل أسفار، وقالوا أقاصيص وحكايات وأخبار، وربما قرأوا ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾¹. وفي الحقيقة: ما ثلموا إلا دينهم ولا سعوا إلا في هلاك أنفسهم، وما للأساكفة وصوغ الحلي وصناعة البز، وما للحدادين وتقليب العطر والنظر في الجواهر. أما يكفيهم صدأ الحديد، ونفخ في الكير وشواظ الذيل والوجه وغيرة في الحدقة، وما لأهل الكلام ونقد حملة الأخبار، وما أحسن قول من قال:

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذي حسب ودين
ينيلك منه عرضا لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون
لكن الحق عزيز، وكل مع عزته يدعيه. ودعواهم الحق تحجبهم عن مراجعة الحق. نعم إن على الباطل ظلمة وإن على الحق نورا، ولا يبصر نور الحق إلا من حشى قلبه بالنور ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾² فالتعبط في ظلمات الهوى والمتردى في مهاوي الهلكة، والمتعسف في المقال لا يوفق للعود إلى الحق، ولا يرشد إلى طريق الهدى ليظهر وعورة مسلكه وعز جانبه، وتأبيه إلا على أهله ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾³.

- ثم قال (باب الحث على السنة، والجماعة، والاتباع، وكرهة التفرق

1 الجمعة الآية (5).

2 النور الآية (40).

3 الأنعام الآية (108).

والابتداع): اعلم أن الله تعالى أمر خلقه بلزوم الجماعة، ونهاهم عن الفرقة، وندبهم إلى الاتباع، وحثهم عليه، وذم الابتداع، وأوعدهم عليه، وذلك بين في كتابه وسنة رسوله، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾¹ وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾². وقل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾³ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾⁴ وأمر تعالى باتباع النبي ﷺ في آيات من كتابه. وقد وردت الأحاديث حاثّة على لزوم سنته واجتناب كل بدعة.

- ثم قال: فهؤلاء الأئمة هم المرجوع إليهم في أمر الدين وبيان الشرع ومن سلك طريقا في الاسلام بعدهم فإياهم يتبع وهم يقتدى وموافقهم تتحرى، فلا يجوز لمسلم أن يظن بهم ظن السوء وإنهم قالوا ذلك عن جهل وقلة علم وخبرة في الدين وما هذا إلا من الغل الذي أمر الله بالاستعاذة منه فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁵ فتبين لنا أن الطريق عند

1 آل عمران الآية (103).

2 الشورى الآية (13).

3 الأنعام الآية (153).

4 صون المنطق (ص. 147-149).

5 الحشر الآية (10).

الأئمة الهادية اتباع السلف والافتداء بهم دون الرجوع إلى الآراء.¹

- ثم قال: واعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي، ولا يرون رد كلامهم بدلائل العقل، وإنما كانوا إذا سمعوا بواحد من أهل البدعة أظهروا التبري منه، ونهوا الناس عن مجالسته ومحاورته والكلام معه، وربما نهوا عن النظر إليه. وقد قالوا: إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر. ولقد ظهرت هذه الأهواء الأربع التي هي رأس الأهواء، أعني القدر والإرجاء، ورأي الحرورية والرافضة في آخر زمان الصحابة. فكان إذا بلغهم أمرهم أمروا بما ذكرنا ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه جادلهم بدلائل العقل، أو أمر بذلك، وقد كانوا إلى عهد رسول الله ﷺ أقرب. وقد شاهدوا الوحي والتزيل وعدلهم الله في القرآن، وشهد لهم بالصدق وشهد لهم النبي ﷺ بالخيرية في الدين. وكانت طاعتهم أجل، وقلوبهم أسلم، وصدورهم أظهر، وعلمهم أوفر، وكانوا من الهوى والبدع أبعد. ولو كان طريق الرد على المبتدعة هو الكلام ودلائل العقل والجدال معهم لاشتغلوا به وأمروا بذلك وندبوا إليه، وإنما ظهرت المجادلات في الدين والخصومات بعد مضي قرن التابعين ومن يليهم، حين ظهر الكذب، وفشت شهادات الزور، وشاع الجهل، واندرس أمر السنة بعض الاندراس، وأتى على الناس زمان حذر منه النبي ﷺ والصحابة من بعده. ولقد صدق إبراهيم النخعي حيث يقول: إن القوم لم يؤخر عنهم شيء خبي لكم لفضل عندكم، وإنما كان غايتهم

التبري، وإظهار المجانبة، والأمر بالتباعد، والمشهور عن ابن عمر أنه لما بلغه قول أهل القدر قال: أبلغوهم أني منهم بريء، ولو وجدت أعوانا لجاهدتهم، وقال ابن عباس: لو رأيت بعضهم لضربت رأسه. وأتى رجل علي بن أبي طالب، فقال: أخبرني عن القدر، قال طريق مظلّم فلا تسلكه، قال أخبرني عن القدر. قال بحر عميق فلا تلجه. قال أخبرني عن القدر، قال سر الله فلا تكلفه، وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: يستتاب القدري، فإن تاب وإلا نفي من بلاد المسلمين. وقال عمر بن عبدالعزيز: ينبغي أن نتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر، فإن كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أفقيتهم استللا. فهذا طريق القوم في أمر البدع وأهلها. قال رجل من أهل البدع لأيوب السخيتاني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، فولى وهو يقول ولا نصف كلمة. وقال ابن طاووس لابن له، وتكلم رجل من أهل البدع: يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك، ثم قال اشدد اشدد، وقال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه غرضا للخصومات، أكثر التنقل. وقال رجل للحكم بن عتيبة: مل حمل أهل الأهواء على هواهم؟ قال الخصومات. وقال معاوية بن قرة - وكان أبوه من أصحاب النبي ﷺ -: إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال. وقال أبو قلابة وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب النبي ﷺ: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، ولا تكلموهم فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون. ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث. قال: لا. قالوا نقرأ عليك آية من كتاب الله. قال لا لتقومان أو لأقومن.

وكانوا يقولون إن القلب ضعيف، وإنا نخاف إن استمعت منهم شيئا أن يميل قلبك إلى قولهم. وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: اعلموا أن اتباع الكتاب والسنة أسلم، والخوض في أمر الدين بالمنازعة والرد حرام. والاجتناب عنه سلامة. وأرجو أن يجوز القياس على الأصل الثابت من العالم الفطن المتيقظ. ولا تكاد تجد شيئا من تأويل الكتاب مخالفا لسنة النبي ﷺ إذا صحت الرواية، وعامة تاركي العلم والسنة وأصحاب الأهواء والرأي والمقاييس لثقل السنة عليهم ولا أعرف حديثين يخالف أحدهما الآخر، ولكل ما روي من الأحاديث المختلفة معان يعلمها أهل العلم بها. فهذا الذي نقلناه طريقة السلف وما كانوا عليه. واعلم أن الأئمة الماضين وأولي العلم من المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام وهذا النوع من النظر عجزا عنه، ولا انقطاعا دونه. وقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة. وقد كانت هذه الفتن قد وقعت في زمانهم، وظهرت. وإنما تركوا هذه الطريقة، وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنها، وعلموه من سوء عاقبتها وسيء مغبتها، وقد كانوا على بينة من أمورهم وعلى بصيرة من دينهم، لما هداهم الله بنوره، وشرح صدورهم بضياء معرفته، فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنة وبيانها غناء ومندوحة مما سواها، وأن الحجة قد وقعت وتمت بهما، وأن العلة والشبهة قد أزيلت بمكائهما، فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة، وقلت عنايتهم بها، واعترضهم الملحدون بشبههم، والطاعنون في الدين بجدهم، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ودلائل العقل، لم يقووا عليهم،

ولم يظهروا في الحجاج عليهم فكان ذلك ضلة من الرأي، وخذعة من الشيطان. فلو سلكوا سبيل القصد، ووقفوا عند ما انتهى بهم التوقيف لوجدوا برد اليقين، وروح القلوب، وكثرت البركة، وتضاعف النماء، وانشرت الصدور، وأضاءت فيها مصابيح النور، وإنما وقعوا فيما وقعوا فيه عند أهل الحق بعد ما تدبروا. وظهر لهم بتوفيق الله سبب ذلك، وهو أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يسول لكل من أحس من نفسه زيادة فهم، وفضل ذكاء وذهن يوهمه أنه إن رضي في عمله ومذهبه بظاهر من السنة، واقتصر على واضح بيان منها، كان أسوة العامة، وعد واحدا من الجمهور والكافة. وأنه قد ضل فهمه، واضمحل عقله وذهنه، فحركهم بذلك على التنطع في النظر والتبدع لمخالفة السنة والأثر، ليمتازوا بذلك عن طبقة الدهماء، ويتبينوا في الرتبة عن يرونة دونهم في الفهم والذكاء. فاختدعهم بهذه المقدمة حتى استزلهم عن واضح المحجة، وأورطهم في شبهات تعلقوا بزخارفها، وناهوا عن حقائقها، ولم يخلصوا منها إلى شفا نفس ولا قبلوه بيقين علم. ولما رأوا كتاب الله ينطق بخلاف ما انتحلوه، ويشهد عليه بباطل ما اعتقدوه، ضربوا بعض آياته ببعض، وتأولوها على ما يسنح لهم في عقولهم، واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم. ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله ﷺ ولسنته الماثورة عنه، وردوها على وجوهها. وأساءوا في نقلتها القالة، ووجهوا عليهم الظنون، ورموهم بالتزديد، ونسبواهم إلى ضعف المنة، وسوء المعرفة بمعاني ما يرونه من الحديث. ولو أنهم أحسنوا الظن بسلفهم، وآثروا متابعتهم، وسلموا حيث سلموا، وطلبوا المعاني حيث طلبوا،

واجتهدوا في رد الهوى وخداع الشيطان لانشرحت صدورهم، وظهر لهم من برد اليقين وروح المعرفة، وضياء التسليم ما ظهر لسلفهم، وبرز لهم من اعلام الحق ما كان مكشوفاً لهم غير أن الحق عزيز، والدين غريب والزمان مفتح ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾¹. اهـ²

ثم قال: والذي يزيد ما قلناه إيضاحاً: أن النبي ﷺ حين سئل عن الفرقة الناجية. قال: «ما أنا عليه وأصحابي»³، بمعنى من كان على ما أنا عليه وأصحابي، فلا بد من تعرف ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وليس طريق معرفتنا إلا النقل، فيجب الرجوع إلى ذلك. وقد قال النبي ﷺ: «لا تنازعوا الأمر أهله»⁴ فكما يرجع في معرفة مذاهب الفقهاء، الذين صاروا قدوة في هذه الأمة إلى أهل الفقه، ويرجع في معرفة اللغة إلى أهل اللغة، ويرجع في معرفة النحو إلى أهل النحو، فكذلك يجب أن يرجع في معرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أهل النقل والرواية، لأنهم عنوا بهذا الشأن، واشتغلوا بحفظه والتفحص عنه ونقله، ولولاهم لاندرس علم النبي ﷺ، ولم يقف أحد على سنته وطريقته. فإن قال قائل: إن أهل الفقه مجتمعون على قول الفقهاء وطريق كل واحد منهم في الفروع. وأهل النحو مجتمعون على طريق البصريين والكوفيين في النحو وكذلك أهل الكلام مجتمعون على

1 النور الآية (40).

2 صون المنطق (153-157).

3 تقدم تخريجه ضمن مواقف الآجري سنة (360هـ).

4 الطبراني (18/247-248/621) والطحاوي في المشكل (3/221-222/1185) والحاكم (1/96) من حديث

العرياض بن سارية قال: "صحيح على شرطهما، ولا أعرف له علة" ووافقه الذهبي.

طريق كل واحد منهم: من متقدميهم وسلفهم. فأما ما يرجع إلى العقائد فلم يجتمع أهل الإسلام على ما كان رسول الله ﷺ عليه وأصحابه، بل كل فريق يدعي دينه وينتسب إلى ملته ويقول نحن الذين تمسكنا بملة رسول الله ﷺ واتبنا طريقته، ومن كان على غير ما نحن عليه، فهو مبتدع صاحب هوى، فلم يجز اعتبار الذي تنازعنا فيه بما قلتم.

الجواب: أن كل فريق من المبتدعة إنما يدعي أن الذي يعتقدده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ، لأنهم كلهم يدعون شريعة الإسلام، ملتزمون في الظاهر شعائرها، يرون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقدده وينتقله، غير أن الله تعالى أبي أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة، إلا مع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرنا عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ وأخذ أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم إلا هذا الطريق، الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلى معقولهم، وخواطرتهم، وآرائهم. فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله بحرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستتكرة،

فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله عما يصفون.

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قبلهما وما وقع لهم من معقولهم وخواطيرهم، عرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله عز وجل حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني، وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدثني نفسي بشيء إلا طلبت منه شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتى بهما وإلا رددته في نحره¹. أو كلام هذا معناه، ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلداتهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يجيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد لا ترى بينهم اختلافا ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا. قال الله تعالى:

1 انظر تخريجه في مواقف أبي سليمان الصوفي.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾¹، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
 تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾² وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع
 رأيتهم متفرقين مختلفين وشيعا وأحزابا لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة
 واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضا، بل يترقون إلى التكفير، يكفر الابن
 أباه، والرجل أخاه، والجار جاره. تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف،
 تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ۚ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾³. أو ما سمعت أن المعتزلة مع
 اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين والبصريون منهم
 البغداديين ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي ابنه أبا هاشم وأصحاب أبي
 هاشم يكفرون أباه أبا علي وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم.
 إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من
 بعض وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم، وهل
 على الباطل دليل أظهر من هذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا

1 النساء الآية (82).

2 آل عمران الآية (103).

3 الحشر الآية (14).

شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ^١ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ^١ وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدر فيه. وأما دلائل العقل فقلما يتفق بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر وهذا بين والحمد لله. وبهذا يظهر مفارقة الاختلاف في مذاهب الفروع اختلاف العقائد في الأصول فإننا وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم من بعده واختلفوا في أحكام الدين، فلم يفترقوا ولم يصيروا شيئا. لأنهم لم يفارقوا الدين ونظروا فيما أذن لهم فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة، مثل مسألة الحد والمشاركة وذوي الأرحام ومسألة الحرام وفي أمهات الأولاد، وغير ذلك مما يكثر تعداده من مسائل البيوع والنكاح والطلاق، وكذلك في مسائل كثيرة من باب الطهارة وهيآت الصلاة وسائر العبادات. فصاروا باختلافهم في هذه الأشياء محمودين، وكان هذا النوع من الاختلاف رحمة من الله لهذه الأمة حيث أيدهم باليقين، ثم وسع على العلماء النظر فيما لم يجدوا حكمه في التزليل والسنة فكانوا مع هذا الاختلاف، أهل مودة ونصح، وبقيت بينهم أخوة الإسلام ولم ينقطع عنهم نظام الألفة. فلما حدثت هذه الأهواء المردية الداعية صاحبها إلى النار ظهرت العداوة وتبليينوا

وصاروا أحزابا، فانقطعت الأخوة في الدين، وسقطت الألفة، فهذا يدل على أن هذا التباین والفرقة إنما حدثت من المسائل المحدثه التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضا بالكفر. فكل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس، فتفرقوا واختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضا ولا تفرقا وبقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة، علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام يحل النظر فيها، والأخذ بقول من تلك الأقوال لا يوجب تبديعا ولا تكفيرا كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة، وكل مسألة حدثت فاختلفوا فيها فأورث اختلافهم في ذلك التولي والإعراض والتدابير والتقاطع، وربما ارتقى إلى التكفير علمت أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء بل يجب على كل ذي عقل أن يجتنبها ويعرض عن الخوض فيها لأن الله شرط تمسكنا بالإسلام أنا نصبح في ذلك إخوانا، فقال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾¹. فإن قال قائل: إن الخوض في مسائل القدر، والصفات، وشرط الإيمان يورث التقاطع والتدابير والاختلاف فيجب طرحها والإعراض عنها على ما زعمتم.

الجواب: إنما قلنا هذا في المسائل المحدثه، فأما الإيمان في هذه المسائل من شرط أصل الدين، فلا بد من قبولها على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله

ﷺ وأصحابه، ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها لتفرق النلس في ذلك كما في أصل الإسلام والدعاء إلى التوحيد، وإظهار الشهادتين، وقد ظهر بما قدمنا، وذكرنا بحمد الله ومنه أن الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحق ما نقلوه ورووه، ومن تدبر ما كتبناه وأعطى من قلبه النصفة وأعرض عن هواه واستمع وأصغى بقلب حاضر، وكان مسترشدا مستهديا ولم يكن متعتا وأمدته الله بنور اليقين عرف صحة جميع ما قلناه ولم يخف عليه شيء من ذلك، والله الموفق ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ تَجْعَلْهُ عَلِيًّا

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾. اهـ²

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في المنهاج: وقد نقل غير واحد الإجماع على أن أبا بكر أعلم من علي، منهم الإمام منصور بن عبد الجبار السمعاني المروزي أحد أئمة الشافعية، وذكر في كتابه 'تقويم الأدلة' الإجماع من علماء السنة: أن أبا بكر أعلم من علي، كيف وأبو بكر كان بحضرة النبي ﷺ يفتي ويأمر وينهى ويخطب، كما كان يفعل ذلك إذا خرج النبي ﷺ - هو وإياه - يدعو الناس إلى الإسلام، ولما هاجرا، ويوم حنين، وغير ذلك من المشاهد، وهو ساكت يقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيره.³

◀ موقفه من الجهمية:

1 الأنعام الآية (39).

2 صون المنطق (165-170) والحجة في بيان المحجة (222/2-230).

3 منهاج السنة (502/7).

هذا الإمام ممن شاع صيته، وبارك الله له في العمر، وجعل من نسله العلماء، ألف تراثا عظيما سلفيا، يقول الذهبي عنه: تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة.¹ وله من المواقف الطيبة والكلام البليغ الذي من قرأه عرف قيمة الرجل العلمية والسلفية، وعلى سبيل المثال، ما نقله الحافظ في الفتح من موقفه من الأشاعرة والمتكلمين عموما.

- جاء في فتح الباري: قال الحافظ عند قول البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾².

واستدل أبو المظفر بن السمعاني بآيات الباب وأحاديثه على فساد طريقة المتكلمين في تقسيم الأشياء إلى جسم وجوهر وعرض، قالوا: فالجسم، ما اجتمع من الافتراق، والجوهر ما حمل العرض، والعرض: ما لا يقوم بنفسه، وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا الأخبار في خلق الروح قبل الجسد والعقل قبل الخلق، واعتمدوا على حدسهم وما يؤدي إليه نظرهم ثم يعرضون عليه النصوص، فما وافقه قبلوه وما خالفه ردوه، ثم ساق هذه الآيات ونظائرها من الأمر بالتبليغ، قال وكان مما أمر بتبليغه التوحيد بل هو أصل ما أمر به فلم يترك شيئا من أمور الدين، أصوله وقواعده وشرائعه، إلا بلغه ثم لم

1 السير (116/19).

2 المائدة الآية (67).

يدع إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم، وسلكوا غير سبيلهم، بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح، ونسبتهم إلى قلة المعرفة، واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم، والاكتراث بمقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا وتجد لخصومهم عليه كلاما يوازنه أو يقاربه فكل بكل مقابل، وبعض ببعض معارض، وحسبك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنا إذا جرينا على ما قالوه، وألزمنا الناس بما ذكروه، لزم من ذلك تكفير العوام جميعا لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق ما فهمه أكثرهم، فضلا عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أثمتهم في عقائد الدين، والعض عليها بالنواجذ والمواظبة على وظائف العبادات وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبه والشكوك، فتراهم لا يجيدون عما اعتقدوه ولو قطعوا إربا إربا، فهنيئا لهم هذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة. فإذا كفر هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة فما هذا إلا طي بساط الإسلام وهدم منار الدين والله المستعان.¹

✓ التعليق:

هذا الكلام فيه البيان الكافي لمن يعقل عن الله وعن رسوله وعن السلف الصالح الذين يتكلمون من مشكاة النبوة. فأين الذين يتبجحون، ويقولون: إن ابن تيمية وابن القيم هما اللذان أحدثا هذه الطرق، التي اعتمد عليها السلفيون.

فهذا الإمام بعيد عن الشيخين بعد الثرى من الثريا، فهما - كما يزعمون - حنابلة وهذا الإمام شافعي، وهما عاشا في القرن الثامن، وهو عاش في القرن الخامس، وكلامه رضي الله عنه في الإنكار على الأشاعرة والمتكلمين، ربما كان أشد في اللهجة من كلام الشيخين، وإن كانت طريقة الشيخين أكثر تفصيلا، ولكن هذه شذرة من شجرة هذا الإمام فمن رجع إلى كتابه: الانتصار لأهل الحديث، الذي لخصه السيوطي في 'صون المنطق' لرأى كلام الرجل السلفي بحق، وهذا الكتاب أحد تراث الشيخ السلفي.

- قال الحافظ في الفتح: وقال أبو المظفر بن السمعاني: تعقب بعض أهل الكلام قول من قال إن السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بإيراد دلائل العقل في التوحيد، بأنهم لم يشتغلوا بالتعريفات في أحكام الحوادث، وقد قبل الفقهاء ذلك واستحسنوه فدونوه في كتبهم، فكذلك علم الكلام، ويمتاز علم الكلام بأنه يتضمن الرد على الملحددين وأهل الأهواء، وبه تزول الشبهة عن أهل الزيغ ويثبت اليقين لأهل الحق وقد علم الكل أن الكتاب لم تعلم حقيقته، والنبي لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقل، وأجاب: أما أولافإن الشارع والسلف الصالح فهو عن الابتداع وأمروا بالاتباع، وضح عن السلف

أهم فهو عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب...¹

- وقال الحافظ أيضا: وقال أبو المظفر بن السمعياني أيضا ما ملخصه:

إن العقل لا يوجب شيئا ولا يحرم شيئا، ولا حظ له في شيء من ذلك، ولو لم يرد الشرع بحكم، ما وجب على أحد شيء، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾² وقوله: ﴿لَعَلَّأَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾³ وغير ذلك من الآيات. فمن زعم أن دعوة رسل

الله عليهم الصلاة والسلام إنما كانت لبيان الفروع، لزمه أن يجعل العقل هو

الداعي إلى الله دون الرسول ويلزمه أن وجود الرسول وعدمه بالنسبة إلى

الدعاء إلى الله سواء، وكفى بهذا ضلالا، ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى

التوحيد وإنما ننكر أنه مستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقه،

مع قطع النظر عن السمعيات لكون ذلك خلاف ما دلت عليه آيات الكتاب

والأحاديث الصحيحة التي تواترت ولو بالطريق المعنوي، ولو كان كما يقول

أولئك لبطلت السمعيات التي لا مجال للعقل فيها أو أكثرها، بل يجب

الإيمان بما ثبت من السمعيات، فان عقلناه فبتوفيق الله، وإلا اكتفينا باعتقاد

حقيقته على وفق مراد الله سبحانه وتعالى. انتهى.⁴

وجاء في كتاب الحجة للأصبهاني عن أبي المظفر أنه قال: واعلم: أن

1 الفتح (352/13).

2 الإسراء الآية (15).

3 النساء الآية (165).

4 الفتح (353/13).

فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة، قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوا. ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آماناً به، وصدقنا، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيتته، وقال الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾¹. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾² ثم نقول لهذا القائل الذي يقول: بني ديننا على العقل، وأمرنا باتباعه: أخبرنا إذا أتاك

1 الإسراء الآية (85).

2 البقرة الآية (255).

أمر من الله يخالف عقلك فبأيهما تأخذ؟ بالذي تعقل، أو بالذي تؤمر؟ فإن قال: بالذي أعقل، فقد أخطأ، وترك سبيل الإسلام وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله: وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً، وما لم نعقله قبلناه استسلاماً وتسليماً، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم. فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفانا على ملة رسوله ﷺ بمنه وفضله.¹

← موقفه من المرجئة:

- قال رحمه الله في تفسيره: والإيمان في الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان.²

- وقال أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾³

أي: صلاتكم فجعل الصلاة إيماناً، وهذا دليل على المرجئة، حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان.⁴

← موقفه من القدرية:

1 الحجة في بيان المحجة (320/1-322).

2 تفسير القرآن (43/1).

3 البقرة الآية (143).

4 تفسير القرآن (150/1).

آثاره السلفية:

'الرد على القدرية': ذكره حفيده في الأنساب¹ والذهبي في السير².
 - قال أبو القاسم الأصبهاني في كتابه 'الحجة': قال أبو المظفر السمعاني:
 قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون
 محض القياس، وبمجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه
 في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب.
 وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه. ضربت دونه الأستار،
 وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب، حجبه عن عقول البشر
 ومعارفهم، لما علم من الحكمة. وسيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن لا
 نتجاوز إلى ما وراءه. فالبحث عنه تكلف، والاقترحام فيه تعمق وتهور.

قال: وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما
 قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا، لأنه
 خلقهم ليعبدهم، ويمتحنهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
 إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾³. وقد نقلنا عن علي رضي الله عنه: أنه خلقهم ليأمرهم
 بالعبادة.

فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم
 لافتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر في العاقبة فيكون

1 (299/3).

2 (117/19).

3 الذاريات الآية (56).

قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط. وفي ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء. فلطف الله سبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل: ليلو سعيهم واجتهداهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، والله الحجة البالغة.¹

نصر بن إبراهيم² (490 هـ)

نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود المقدسي أبو الفتح شيخ الإسلام العلامة القدوة الفقيه المحدث صاحب التصانيف والأمالي ولد قبل سنة عشر وأربعمائة، وارتحل إلى دمشق قبل الثلاثين فسمع صحيح البخاري من أبي الحسن بن السمسار صاحب الفقيه أبي زيد المروزي وسمع من عبدالرحمن بن الطيبز وأبي الحسن محمد بن عوف المزني، وابن سلوان وطبقتهم. حدث عنه الخطيب وهو من شيوخه ومكي الرميلى ومحمد بن طاهر وخلق كثير.

وكان فقيها إماما زاهدا عاملا لم يقبل صلة من أحد بدمشق. حكى ناصر النجار وكان يخدمه من زهده وتقله وتركه الشهوات أشياء عجيبة. قال نصر: درست على الفقيه سليم الرازي من سنة سبع وثلاثين وأربعمائة إلى سنة أربعين ما فاتني منها درس ولا وجعت إلا يوما واحدا وعوفيت. وجرى على منهاج السلف من التقشف، وتجنب السلاطين ورفض الطمع،

1 الحجة في بيان المحجة (2/30-31).

2 السير (19/136-143) وشنرات الذهب (3/395-396) تهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول/2-125-126).

والاجتراء باليسير مما يصل إليه من غلة أرض له كانت بنا بلس، وكانت أوقاته كلها مستغرقة في عمل الخير إما في نشر علم وإما في صلاح عمل. توفي في المحرم سنة تسعين وأربعمائة.

◀ موقفه من الرفضية:

جاء في الاعتصام: قال ابن العربي: وقد كان قال لي أصحابنا النصرية بالمسجد الأقصى: إن شيخنا أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي اجتمع برئيس من الشيعة، فشكا إليه فساد الخلق، وأن هذا لا يصلح إلا بخروج الإمام المنتظر، فقال نصر: هل لخروجه ميقات أم لا؟ قال الشيعي: نعم. قلل له أبو الفتح: ومعلوم هو أو مجهول؟ قال: معلوم. قال نصر: ومتى يكون؟ قال: إذا فسد الخلق. قال أبو الفتح: فهل تحبسونه عن الخلق وقد فسد جميعهم إلا أنتم، فلو فسدتم؛ لخرج، فأسرعوا به وأطلقوه من سجنه وعجلوا بالرجوع إلى مذهبنا، فبهت.¹

◀ موقفه من الجهمية:

قال شيخ الإسلام في الدرء: وقال الشيخ نصر المقدسي الشافعي الشيخ المشهور في كتاب 'الحجة' له: إن قال قائل: قد ذكرت ما يجب على أهل الإسلام من اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وما أجمع عليه الأئمة والعلماء، والأخذ بما عليه أهل السنة والجماعة، فاذا ذكر مذاهبهم وما أجمعوا عليه من اعتقادهم، وما يلزمنا من المصير إليه من إجماعهم. فالجواب: أن الذي

أدركت عليه أهل العلم ومن لقيتهم وأخذت عنهم، ومن بلغني قوله من غيرهم... فذكر جمل اعتقاد أهل السنة وفيه: أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه، كما قال في كتابه: «أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا»¹، «وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا»². اهـ³

له من الآثار السلفية:

'الحجة على تارك المحجة': ذُكِرَ فِي السِّرِّ⁴ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ⁵ وَدَرِّ التَّعَارُضِ⁶ وَهَدِيَةِ الْعَارِفِينَ⁷.

وهو كتاب مفقود تتبعت الكثير من الفهارس ولم أجد له خيرا. فلعل الله ييسر وجوده فيما بعد إن كان له وجود. وله مختصر في مخطوطات الجامعة الإسلامية، وقد سجل رسالة علمية وهو تحت التحقيق بإشراف الشيخ الفاضل عبدالمحسن بن حمد العباد.

ابن جَزَلَةَ⁸ (493 هـ)

1 الطلاق الآية (12).

2 الجن الآية (28).

3 درء التعارض (251/6).

4 (137/19).

5 (396/3).

6 (251/6).

7 (490/2).

8 السير (188/19) ووفيات الأعيان (267/6-268) والبداية والنهاية (170/12) والمنظم (61/17) والنجوم الزاهرة (166/5) والكامل في التاريخ (302/10).

يحيى بن عيسى بن جزلة أبو علي البغدادي إمام الطب كان نصرانياً
 فأسلم في كهولته على يد قاضي القضاة الدامغاني وقيل على أبي علي بن
 الوليد المعتزلي، وحسن إسلامه، وصنف يرد على النصارى. ثم كان يطبب
 الناس بعد ذلك بلا أجر وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعاً، وكان يتفقد
 الفقراء ويحسن إليهم، ووقف كتبه قبل وفاته.
 وتوفي في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

قال ابن خلكان: وصنف رسالة في الرد على النصارى وبيان عوار
 مذاهبهم، ومدح فيها الإسلام وأقام الحجة على أنه الدين الحق، وذكر فيها
 ما قرأه في التوراة والإنجيل من ظهور النبي ﷺ، وأنه نبي مبعوث وأن اليهود
 والنصارى أخفوا ذلك ولم يظهروه، ثم ذكر فيها معائب اليهود والنصارى.
 وهي رسالة حسنة أجاد فيها.¹

حوادث أربع وتسعين وأربعمائة (494 هـ)

وقال ابن كثير في حوادث سنة أربع وتسعين وأربعمائة: عظم الخطب
 بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً، وأبيحت
 ديارهم وأموالهم للعامّة، ونودي فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فساقتلوه
 وخذوا ماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في

1 وفيات الأعيان (267/6).

سنة ثلاث وثمانين، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح، أحد دعاةهم، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبيا جاهلا، لا يعرف يمينه من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجبه الله لهم ورسوله، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تقاتل بني أمية لعلي، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه، ويظهر له أشياء من المحرقة والنيرنجيات والحيل التي لا تروج إلا على الجهال، حتى التف عليه بشر كثير، وجم غفير، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهدده وينهاه عن ذلك، وبعث إليه بفتلوى العلماء، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب: إني أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه، فاشرأبت وجوه الحاضرين، ثم قال لشلب منهم: اقتل نفسك، فأخرج سكيناً فضرب بها غلصمته فسقط ميتا، وقال لآخر منهم: ألق نفسك من هذا الموضع، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع. ثم قال لرسول السلطان. هذا الجواب. فمنها امتنع السلطان من مراسلته.¹

محمد بن الفرّج الطّالعي² (497 هـ)

1 البداية والنهاية (170/12-171).

2 السير (199/19-202) وشذرات الذهب (407/3) وشجرة النور الزكية (123/1).

الشيخ الإمام القدوة أبو عبدالله محمد بن الفرج القرطبي المالكي. ولد سنة أربع وأربعمائة. حدث عن يونس بن عبدالله القاضي، ومكي بن أبي طالب، وأبي عبدالله بن عابد. وروى عنه أبو جعفر البطرودي، ومحمد بن عبد الخالق الخزرجي، ومحمد بن عبدالله بن خليل. وكان رأساً في العلم والعمل قولاً بالحق رحل الناس إليه من الأقطار لسماع الموطأ والمدونة لعلوه في ذلك. قال عنه الذهبي: كان ذا دين وخير وفضل، وطول صلاة، قولاً للحق وإن أؤذي لا تأخذه في الله لومة لائم، معظماً عند الخاصة والعامة. قال ابن بشكوال: هو بقية الشيوخ الأكابر في وقته، وزعيم المفتين بحضرتيه. توفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المبتدعة:

جاء في السير: قال القاضي عياض: كان صالحاً، قولاً للحق، شديداً على المبتدعة. وفيها: وكان شديداً على أهل البدع، مجانباً لمن يخوض في غير الحديث.¹

السلطان بركياروق² (498 هـ)

بركياروق السلطان ركن الدين بن ملكشاه أبو المظفر، أحد الملوك

1 السير (200/19).

2 المنتظم (93/17) والسير (196-195/19) والبداية والنهاية (176-175/12) وشذرات الذهب (408-407/3) والوفاي بالوفيات (122-121/10) والنجوم الزاهرة (191/5).

السلجوقية، ولي بعد موت أبيه وهو حدث، له ثلاث عشرة سنة. وكان شابا شهما شجاعا فيه كرم وحلم، لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للشراب والإدمان عليه. مات ببروجرد في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

◀ موقفه من المشركين:

قال ابن الأثير: وفي هذه السنة - أي سنة أربع وتسعين وأربعمائة - أمر السلطان بركياروق بقتل الباطنية، وهم الإسماعيلية، وهم الذين كانوا قديما يسمون القرامطة.¹

جاء في المنتظم: قتل السلطان بركياروق خلقا من الباطنية ممن تحقق مذهبه. ومن أتهم به، فبلغت عدتهم ثمانمائة ونيفا، ووقع التبع لأموال من قتل منهم، فوجد لأحدهم سبعون بيتا من الزوالي المحفور، وكتب بذلك كتاب إلى الخليفة، فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب، ولم يتجاسر أحد أن يشفع في أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب، وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا، وصار كل من في نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب، فيقصد وينهب حتى حسم هذا الأمر فانحسم، وأول ما عرف من أحوال الباطنية في أيام ملك شاه جلال الدولة، فإنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد في ساوة، فظن بهم الشحنة، فأخذهم وحبسهم، ثم أطلقهم، ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة، فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل، فخافوا أن ينم عليهم فاغتالوه وقتلوه، فبلغ الخبر إلى نظام الملك، وتقدم بأخذ من يتهم بقتله فقتل

المتهم، وكان نجارا، فكانت أول فتكة لهم قتل نظام الملك وكانوا يقولون: قتلتم منا نجارا، وقتلنا به نظام الملك، فاستفحل أمرهم بأصبهان لما مات ملك شاه، قال الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان فيقتلونه ويلقونه في البئر، فكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله يئسوا منه، وفتش النلس المواضع، فوجدوا امرأة في دار الأزج فوق حصير، فأزالوها تحت الحصير أربعين قتيلا، فقتلوا المرأة، وأخربوا الدار والمحلة، وكان يجلس رجل ضريـر على باب الزقاق الذي فيه الدار، فإذا مر به إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق، فإذا حصل هناك جذبته من في الدار، واستولوا عليه، فجد المسلمون في طلبهم بأصبهان، وقتلوا منهم خلقا كثير.¹

يوسف بن تاشفين² (500 هـ)

يوسف بن تاشفين أبو يعقوب اللمتوني أمير المسلمين المثلث البربري، بنى مراکش وصيرها دار ملكه، قال ابن الأثير: وكان حسن السيرة خيرا، عادلا يميل إلى أهل الدين والعلم، ويكرمهم ويصدر عن رأيهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام. قال ابن خلكان: وكان حازما سائسا للأمر، ضابطا لمصالح مملكته مؤثرا لأهل العلم والدين، كثير المشورة لهم. وكان رجلا شجاعا مقداما، استقدمه ملوك الأندلس لغزو الفرنج فعبير البحر

1 المنتظم (62/17-63).

2 السير (252/19-254) والكامل في التاريخ (417/10-418) ووفيات الأعيان (112/7-130) والعبير (39/2) والنجوم الزاهرة (195/5) وشذرات الذهب (412/3-413).

وغنم المسلمون ما لا يوصف...¹

السراج² (500 هـ)

الشيخ الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسن البغدادي، السراج القارئ. ولد سنة ست عشرة وأربعمائة. سمع أبا علي بن شاذان وأبا محمد الخلال والحافظ أبا نصر عبيدالله السجزي وأبا بكر الخطيب، وعدة. وحدث عنه ابنه ثعلب ومحمد بن ناصر وأبو طاهر السلفي وإسماعيل بن السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي.

قال السلفي: كان ممن يفتخر برؤيته وروايته لديانته ودرايته. وقال ابن ناصر: كان ثقة مأمونا، عالما فهما صالحا. وقال أبو بكر ابن العربي: ثقة، عالم مقرئ، له أدب ظاهر واختصاص بالخطب. وقال أبو علي الصديقي: هو شيخ فاضل، جميل وسيم، مشهور يفهم، عنده لغة وقراءات، وكان الغالب عليه الشعر.

توفي رحمه الله في صفر سنة خمسماية.

◀ موقفه من المتدعة:

من شعره قوله:

قتل الذين بجهلهم أضحوا يعييون الحاسبر

1 السير (61/19-62).

2 المنتظم (102/17-103) والسير (228/19-231) وتاريخ الإسلام (حوادث 491-500/ص.315) والسواني بالوفيات (92/11-93) والبداية والنهاية (179/12-180).

والحاملين لها من الـ
 لولا الخابر والمقـ
 والحافظون شريعة الـ
 والناقلون حديثه عن
 لرأيت من بشع الضلا
 كل يقول بجهله
 سميتهم أهل الحديث
 هم حشو جنات النعيم
 رفقاء أحمد كلهم

أيدي بمجتمع الأساور
 لم والصحائف والدفاتر
 مبعوث من خير العشائر
 كابر ثبت وكابر
 ل عساكرا تتلو عساكر
 والله للمظلوم ناصر
 أولي النهي وأولي البصائر
 على الأسرة والمنابر
 عن حوضه ريان صادر¹

موقف السلف من

أحمد بن غطاش الباطني (500 هـ)

بيان زندقته:

جاء في السير: طاغية الإسماعيلية، هو الرئيس أحمد بن عبدالمك بن

غطاش العجمي.

كان أبوه من كبار دعاة الباطنية، ومن أذكىء الأدياء، له بلاغة وسرعة

جواب، استغوى جماعة، ثم هلك، وخلفه في الرياسة ابنه هذا، فكان جاهلا،

لكنه شجاع مطاع، تجمع له أتباع، وتحيلوا، حتى ملكوا قلعة أصبهان التي

غرم عليها السلطان ملكشاه ألفي ألف دينار، وصاروا يقطعون السبل،
والنف عليهم كل فاجر، ودام البلاء بهم عشر سنين، حتى نازلهم محمد بن
ملكشاه أشهراً، فجاعوا، ونزل كثير منهم بالأمان، وعصى ابن عطاش في
برج أياما، وجرت أمور طويلة، ثم أخذ وسلخ، وتأمر على الباطنية بعده ابن
صباح، وكانوا بلاء على المسلمين، وقتلوا عددا من الأعيان بشغل السكين.¹
وقال ابن الجوزي: كان هذا ابن عطاش في أول أمره طبيبا، فأخذ أبوه
في أيام طغرلبيك لأجل مذهبه، فأراد قتله فأظهر التوبة ومضى إلى الري،
وصاحب أبا علي النيسابوري وهو متقدمهم هناك وصاهره وصنف رسالة في
الدعاء إلى هذا المذهب سماها (العقيقة). ومات في سواد الري.²

الرويانى³ (501 هـ)

القاضي، العلامة، أبو المحاسن عبدالواحد بن إسماعيل الرويانى الطبري
الشافعي. ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة. سمع أبا منصور محمد بن
عبدالرحمن الطبري وشيخ الإسلام أبا عثمان الصابوني وأبا نصر أحمد بن
محمد البلخي وجده أبا العباس أحمد بن محمد الرويانى وعدة. وحدث عنه أبو
طاهر السلفي وإسماعيل بن محمد التيمي وأبو الفتوح الطائي. تفقه ببخارى

1 السير (267/19).

2 المنتظم (102/17).

3 المنتظم (113/17) والسير (260-262/19) وتهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول/277/2) وتاريخ
الإسلام (حوادث 501-510/ص. 62-63) والبداية والنهاية (182/12) وطبقات الشافعية لابن كثير
(524-526/2) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (264/4-265).

مدة، وبرع في المذهب حتى قال العماد محمد بن أبي سعد صدر الري في عصره: أبو المحاسن القاضي شافعي عصره. وكان يقول: لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي. وقال السبكي: كان يلقب فخر الإسلام، وله الجاه العريض في تلك الديار والعلم الغزير والدين المتين، والمصنفات السائرة في الآفاق، والشهرة بحفظ المذهب يضرب المثل باسمه في ذلك. قتل سنة إحدى وخمسمائة.

◀ موقفه من المشركين:

قال الذهبي: قال معمر بن الفاخر: قتل بجامع آمل يوم الجمعة حادي عشر المحرم، قتلته الملاحدة يعني الإسماعيلية.¹

الغزالي² (505 هـ)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي الشيخ الإمام صاحب التصانيف والذكاء، لازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل، تعاطى الفلسفة وخاض فيها وليس له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وقد ألف في الرد عليهم كتاب التهافت، ووقع في بعض ضلالهم وغلا فيها حتى قال عنه أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع. ودخل

1 السير (262/19).

2 السير (346-322/19) والمنظم (127-124/17) والكامل في التاريخ (491/10) ووفيات الأعيان (216/4-219) والروافى بالوفيات (277-273/1) والبداية (186-185/12).

التصوف وصنف فيه أغلب تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع وساءت به الظنون حتى أمر سلطان المغرب ابن تاشفين بحرق كتبه بفتوى الفقهاء. كان من أذكىء العالم في كل ما يتكلم فيه وساد في شببته حتى إنه درس بالنظامية ببغداد في سنة أربع وثمانين وله أربع وثلاثون سنة فحضر عنده رؤوس العلماء فتعجبوا من فصاحته واطلاعه. رحل إلى دمشق وبيت المقدس مدة ثم إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ثم عاد إلى طوس فأقام بها وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة وغرس فيها بستاناً أنيقاً ورجع عما كان فيه من الكلام والفلسفة والتصوف وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة.

إن الكلام على الغزالي يحتاج إلى تفصيل أكثر لما فيه من تشعب. ويكفينا نحن في بحثنا هذا الإشارة، لأن القصد بيان المواقف السلفية والعقبات التي تعرضت لها العقيدة السلفية. وكان أبو حامد هذا من الذين كان ضررهم على العقيدة الإسلامية على العموم واضحاً، ولا ينكر هذا إلا مكابر أو معاند، أو صاحب هوى. فما يزال المسلمون يتجرعون سموم كتبه التي خلفها ما بين باطنية مدسوسة أو ظاهرة. وقد هيا الله لهذه الأمة من يفضح مثل هذه الأباطيل. فمن المضمون به على غير أهله إلى مشكاة الأنوار إلى إحياء علوم الدين ومع الأسف قد انتشرت كتبه المليئة بالضلال انتشاراً فاحشاً لا نظير له، وقد فرح بها الدجاجلة والمعرضون.

أما المضمون به على غير أهله فقد أفرد بالرد عليه كتاب مستقل، وسيمر بنا إن شاء الله. وقد بين شيخ الإسلام في غير ما موضع من كتبه ما فيه من الضلال وأكفي بنقل عبارة له في درء التعارض: كصاحب الكتب المضمون بها على غير أهلها ومن مشى خلفه من القائلين بالوحدة المطلقة والاتحاد.¹

وأما مشكاة الأنوار فقد ردَّ عليها الشيخ في كثير من كتبه، انظر الدرء.²

وأما إحياء علوم الدين فقد رد عليه جماعة من أهل العلم عددهم يفوق الحصر، وقد أمر سلطان مراکش ابن تاشفين بحرقه بفتوى أهل العلم في عصره. وسيمر بنا ذلك إن شاء الله.

نماذج من مواقف العلماء من أبي حامد وكتبه:

قال الغزالي: وحد الاقتصاد بين هذا وهذا دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع. ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هم عليه ونظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فيه فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه. فأما من يأخذ هذه الأمور كلها من السمع فلا يستقر له قدم.

قال شيخ الإسلام: هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة. وهذان أصلان للإلحاد، فإن كل ذي مكاشفة إن

1 (82/5).

2 (317/1) و(354/5) و(223/6).

لم يزلها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات.¹

وقال الإمام ابن الجوزي في التلبيس: وجاء أبو حامد الغزالي، فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملاه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفتح بالأحوال: إن الصوفية في يقظتهم يشلهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.²

✓ التعليق:

قال جامعه: هذه نقطة من بحر، وكم كنت أتمنى أن تفرد هذه الكتب بالرد والبيان في رسائل علمية جامعية مركزة حتى يعلم الناس خبيثها وما فيها من السموم والأفاعي المفتكة.³

- قال الذهبي في السير: وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام، والله سر في خلقه.⁴

- وفيها قال: ومما نقم عليه ما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في

1 درء التعارض (348/5).

2 التلبيس (ص. 205).

3 وقد يسر الله إخراج كتاب في بيان ضلالات ما في الإحياء تحت عنوان: 'الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم

الدين' فليراجعه من أراد الاستزادة، والله الموفق للصواب.

4 السير (323/19).

كتاب كيمياء السعادة والعلوم وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملة، وكان الأولى به -والحق أحق ما يقال- ترك ذلك التصنيف، والإعراض عن الشرح له، فإن العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج، فإذا سمعوا شيئا من ذلك، تخيلوا منه ما هو المضر بعقائدهم، وينسبون ذلك إلى بيان مذهب الأوائل.¹

وفيها: ولأبي المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في كتاب رياض الأفهام في مناقب أهل البيت قال: ذكر أبو حامد في كتابه سر العالمين وكشف ما في الدارين فقال في حديث: «من كنت مولاه، فعلي مولاه»² إن عمر قال لعلي: بخ بخ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى حبا للرياسة، وعقد البنود، وأمر الخلافة ونهياها، فحملهم على الخلاف، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا، فبئس ما يشترون، وسرد كثيرا من هذا الكلام الفسل الذي تزعمه الإمامية، وما أدري ما عذره في هذا؟ والظاهر أنه رجع عنه، وتبع الحق، فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم. هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد، ففي هذا التأليف بلايا لا تتطبب، وقال في أوله: إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربي سرا بالنظامية، قال: وتوسمت فيه الملك.

قال الذهبي: قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب التهافت، وكشف

1 السير (326/19).

2 أخرجه: أحمد (118/1) والترمذي (3713/591/5) وقال: "هذا حديث حسن صحيح". والنسائي في الكبرى (8478/134/5)، وصححه ابن حبان (6931/376-375/15).

عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق، أو موافق للملّة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف. فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليزِم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو إن شاء الله.

وقال أبو عمرو بن الصلاح: فصل لبيان أشياء مهمة أنكرت على أبي حامد: ففي تواليفه أشياء لم يرتضها أهل مذهبه من الشذوذ، منها قوله في المنطق: هو مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط به، فلا ثقة له بمعلوم أصلا. قال: فهذا مردود، إذ كل صحيح الذهن منطقي بالطبع، وكم من إمام ما رفع بالمنطق رأسا.¹

- وفيها أيضا: وقد رأيت كتاب الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء للمازري، أوله: الحمد لله الذي أنار الحق وأداله، وأبار الباطل وأزاله، ثم أورد المازري أشياء مما نقده على أبي حامد، يقول: ولقد أعجب من قوم مالكية يرون مالكا الإمام يهرب من التحديد، ويجانب أن يرسم رسما، وإن كان فيه أثر ما، أو قياس ما، تورعا وتحفظا من الفتوى فيما يحمل الناس عليه، ثم يستحسنون من رجل فتاوى مبناها على ما لا حقيقة له، وفيه كثير

من الآثار عن النبي ﷺ لفق فيه الثابت بغير الثابت، وكذا ما أورد عن السلف لا يمكن ثبوته كله، وأورد من نزغات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجلب موقعه، لكن مزج فيه النافع بالضار، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها، وإن أخذت معانيها على ظواهرها، كانت كالرموز إلى قدح الملحدين.¹

- وفيها: وقال: وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فيجلس فارغ القلب، مجموع الهم يقول: الله الله الله، على الدوام، فليفرغ قلبه، ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث. قال: فإذا بلغ هذا الحد، التزم الخلوة في بيت مظلم، وتدثر بكسائه، فحينئذ يسمع نداء الحق: ﴿يَتَأَيَّأُ الْمُدَّثِّرُ﴾² و﴿يَتَأَيَّأُ الْمُزْمَلُ﴾³.

قال الذهبي: سيد الخلق إنما سمع (يا أيها المدثر) من جبريل عن الله، وهذا الأحق لم يسمع نداء الحق أبدا، بل سمع شيطانا، أو سمع شيئا لا حقيقة من طيش دماغه، والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع.⁴

- وفيها: قال أبو بكر بن العربي في شرح الأسماء الحسنی: قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيماً انتقده عليه العلماء، فقال: وليس في قدرة الله أبدع من هذا العالم في الإتيان والحكمة، ولو كان في القدرة أبدع أو أحكم منه ولم

1 السير (330/19).

2 المدثر الآية (1).

3 المزمل الآية (1).

4 السير (334-333/19).

يفعله، لكان ذلك منه قضاء للحدود، وذلك محال. ثم قال: والجواب أنه بلاعد في اعتقاد عموم القدرة ونفي النهاية عن تقدير المقدورات المتعلقة بها، ولكن في تفاصيل هذا العالم المخلوق، لا في سواه، وهذا رأي فلسفي قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق، ونسبت الإلتقان إلى الحياة مثلا، والوجود إلى السمع والبصر، حتى لا يبقى في القلوب سبيل إلى الصواب، وأجمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد، وقالت عن بكرة أبيها: إن المقدورات لا نهاية لها لكل مقدر الوجود، لا لكل حاصل الوجود، إذ القدرة صالحة، ثم قال: وهذه وهلة لا لعا لها، ومزلة لا تماسك فيها، ونحن وإن كنا نقطة من بحره، فإننا لا نرد عليه إلا بقوله.

قال الذهبي: كذا فليكن الرد بأدب وسكينة.¹

- وفيها: ولأبي الحسن بن سكر رد على الغزالي في مجلد سماه: إحياء

ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء.²

- وفيها: وللإمام محمد بن علي المازري الصقلي كلام على الإحياء

يدل على إمامته، يقول: وقد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا في

الكتاب المترجم بإحياء علوم الدين، وذكرتم أن آراء الناس فيه قد اختلفت،

فطائفة انتصرت وتعصبت لإشهاره، وطائفة حذرت منه ونفرت، وطائفة

لكتبه أحرقت، وكاتبني أهل المشرق أيضا يسألوني، ولم يتقدم لي قراءة هذا

الكتاب سوى نبذ منه، فإن نفس الله في العمر، مددت فيه الأنفاس، وأزلت

1 السير (337/19).

2 السير (342/19).

عن القلوب الالتباس: اعلّموا أن هذا رأيت تلامذته، فكل منهم حكى لي نوعاً من حاله ما قام مقام العيان، فأنا أقتصر على ذكر حاله، وحال كتابه... وأما مذاهب الصوفية، فلا أدري على من عول فيها، لكني رأيت فيما علق بعض أصحابه أنه ذكر كتب ابن سينا وما فيها، وذكر بعد ذلك كتب أبي حيان التوحّيدي، وعندني أنه عليه عول في مذهب التصوف... وفي الإحياء من الواهيات كثير. قال: وعادة المتورعين أن لا يقولوا: قال مالك، وقال الشافعي، فيما لم يثبت عندهم. ثم قال: ويستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له... ثم قال: وقال: من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن البارئ قديم، مات مسلماً إجماعاً. قال: فمن تساهل في حكاية الإجماع في مثل هذا الذي الأقرب أن يكون الإجماع في خلافه، فحقيق أن لا يوثق بما روى، ورأيت له في الجزء الأول يقول: إن في علومه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب، فليت شعري أحق هو أو باطل؟. فإن كان باطلاً، فصدق، وإن كان حقاً، وهو مراده بلا شك، فلم لا يودع في الكتب، ألغوضه ودقته؟. فإن كان هو فهمه، فما المانع أن يفهمه غيره؟¹

- وذكر شيخ الإسلام في المنهاج رجوع أبي حامد الغزالي من الكلام والتصوف قال: وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة، بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر: أهل الكلام والفلسفة، وسلك ما تبين له من طرق العبادة والرياضة والزهد، وفي آخر عمره اشتغل

بالحديث: بالبخاري ومسلم.¹

◀ موقفه من المشركين:

- قال شيخ الإسلام: قال أبو حامد الغزالي عن الفلسفة: هي بين علوم صادقة لا منفعة فيها، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، وبين ظنون كاذبة لا ثقة بها، وإن بعض الظن إثم.

قال ابن تيمية عقبه: فإن ما يقوم عليه الدليل، من الرياضي ونحوه، كثير التعب قليل الفائدة، لحم جهل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى، وما لم يقم عليه الدليل فظنون وأباطيل.²

- وقال الشاطبي: قال أبو حامد رحمه الله: ينبغي أن يعرف الإنسان أن رتبة هذه الفرقة هي أحسن من رتبة كل فرقة من فرق الضلال، إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية، إذ مذهبها إبطال النظر وتغيير الألفاظ عن موضوعاتها بدعوى الرمز، وكل ما يتصور أن تنطق به ألسنتهم، فإما نظر أو نقل، أما النظر؛ فقد أبطوه، وأما النقل؛ فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه، فلا يبقى لهم معتصم، والتوفيق بيد الله.³

- وقال شيخ الإسلام: وصنف كتاباً سماه 'القسطاس المستقيم'، ذكر فيه خمس موازين: الثلاث الحملات؛ والشرطي المتصل، والشرطي المنفصل. وغير عباراتها إلى أمثلة أخذها من كلام المسلمين وذكر أنه خاطب بذلك

1 المنهاج (269/5).

2 درء التعارض (71/5).

3 الاعتصام (1/324-325).

بعض أهل التعليم، وصنف كتابا في تهافتهم، وبين كفرهم بسبب مسألة قدم العالم وإنكار العلم بالجزئيات وإنكار المعاد؛ وبين في آخر كتبه؛ أن طريقهم فاسدة، لا توصل إلى يقين، وذمها أكثر مما ذم طريقة المتكلمين. وكان أولا يذكر في كتبه كثيرا من كلامهم: إما بعبارتهم، وإما بعبارة أخرى. ثم في آخر أمره بالغ في ذمهم، وبين أن طريقهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريق المتكلمين.¹

وقال الشيخ أيضا: وصرح الغزالي بأن قتل من ادعى أن رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوة أحب إليه من قتل مائة كافر، لأن ضرر هذا في الدين أعظم.²

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في مجموع الفتاوى: قال أبو حامد الغزالي - في كتابه الذي صنّفه في الرد عليهم (أي على الإسماعيلية) - ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض.³

◀ موقفه من الجهمية:

قال أبو حامد الغزالي: أكثر الناس شكّا عند الموت أهل الكلام.⁴

المعمر بن علي أبو سعد البغدادي¹ (506 هـ)

1 الفتاوى (184/9-185).

2 مجموع الفتاوى (173/4).

3 مجموع الفتاوى (320/4).

4 مجموع الفتاوى (28/4).

المفتي الواعظ الكبير أبو سعد المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمارة البغدادي الحنبلي. ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. وسمع من ابن غيلان والحسن بن محمد الخلال وأبي القاسم التنوخي وروى اليسير. حدث عنه ابن ناصر وأبو المعمر الأنصاري. قال ابن النجار: درس الفقه على شيوخ زمانه وأفقي وناظر وحفظ من الآداب والشعر والنوادر في الجدل والهزل ما لم يحفظه غيره. وانفرد بالوعظ وانتفعوا بمجالسه فكان يبكي الناس ويضحكهم، وله قبول عظيم عند الخاص والعام. مات في ربيع الأول سنة ست وخمسمائة وشيعه خلق كثير.

◀ موقفه من الجهمية:

جاء في ذيل طبقات الحنابلة: وكان في زمن أبي علي بن الوليد شيخ المعتزلة، يجلس في مجلسه، ويلعن المعتزلة.²

الأبيوردي³ (507 هـ)

العلامة أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأموي، الأبيوردي اللغوي، الشاعر المشهور. سمع إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي وأبل بكر بن خلف الشيرازي. وأخذ العربية عن عبدالقاهر الجرجاني. وروى عنه

1 السير (452-451/19) وذيل طبقات الحنابلة (110-107/3) وشذرات الذهب (15-14/4) وتاريخ الإسلام (150/35) والمنظّم (132-130/17) والبداية والنهاية (187/12).

2 ذيل طبقات الحنابلة (107/1).

3 المنظّم (136-135/17) والأنساب (80-79/1) ووفيات الأعيان (449-444/4) وسمير أعلام النبلاء (292-283/19) وطبقات الشافعية الكبرى (63-62/4) والرواي بالوفيات (93-91/2).

ابن طاهر المقدسي وأبو الفتوح الطائي وأبو طاهر السلفي، وجماعة.
 قال السلفي: كان الأبيوردي -والله- من أهل الدين والخير والصلاح
 والثقة. وقال عبدالغافر: فخر العرب أبو المظفر الأبيوردي الكوفي، الرئيس
 الأديب، الكاتب النسابة من مفاخر العصر وأفاضل الدهر، له الفضائل الرائقة
 والفصول الفائقة والتصانيف المعجزة، والتواليف المعجبة. وقال أبو زكريا بن
 منده: فخر الرؤساء أفضل الدولة، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، متصرف
 في فنون حجة من العلوم، عارف بأنساب العرب، فصيح الكلام، حاذق في
 تصنيف الكتاب. قال الذهبي: هو ريان من العلوم، موصوف بالدين والورع
 إلا أنه تياه، معجب بنفسه، قد قتله حب السؤدد.

توفي رحمه الله سنة سبع وخمسمائة.

◀ موقفه من الجهمية:

قال يحيى بن منده: سئل الأديب أبو المظفر عن أحاديث الصفات،
 فقال: تقر وتمر.

النسيب أبو القاسم¹ (508 هـ)

الشيخ الإمام، النسيب أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس، الحسيني
 الدمشقي الخطيب، مولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة. حدث عن أبيه
 وعمه أبي البركات وأبي علي الأهوازي وأبي بكر الخطيب وسليم بن أيوب

1 تاريخ دمشق (41/244-247) والكامل في التاريخ (10/508) وسير أعلام النبلاء (19/358-360) وتاريخ
 الإسلام (حوادث 501-510/ص.209) وشذرات الذهب (4/21).

وأبي القاسم الحنائي. وروى عنه هبة الله الأكفاني وأبو المعالي بن صابر، وأبو القاسم والصائن ابنا ابن عساكر وخلق سواهم.

قال ابن عساكر: كان مكثرا ثقة، وله أصول بخطوط الوراقين، وكان متسننا، وسبب تسننه مؤدبه أبو عمران الصقلي وكثرة سماعه للحديث. وقال الذهبي: كان صدرا، نبیلا، مرضیا، ثقة، محدثا، مهيبا، سنیا، ممدوحا بكل لسان.

توفي رحمه الله سنة ثمان وخمسمائة. ودفن بالمقبرة الفخرية في المصلى.

◀ موقفه من الرافضة:

جاء في السير: قال ابن عساكر: وكانت له جنازة عظيمة، وأوصى أن يصلي عليه جمال الإسلام أبو الحسن الفقيه، وأن يسلم قبره، وأن لا يتولاه أحد من الشيعة.¹

ابن حمدین² (508 هـ)

محمد بن علي بن محمد بن عبدالعزيز أبو عبدالله العلامة قاضي الجماعة الأندلسي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف ولي القضاء ليوسف بن تاشفين الملك، فسار أحسن سيرة وحمل عن أبيه. روى عنه القاضي عياض وعظمه، ولي قضاء قرطبة، وله إجازة من أبي عمر بن عبدالبر وأبي العباس ابن دلهات وتفقه بأبيه وبمحمد بن عتاب وحاتم بن محمد وكان ذكيا بارعا في العلم

1 السير (360/19) وهو في تاريخ دمشق (247/41).

2 السير (422/19) وتاريخ الإسلام (حوادث 501-510/ص 212-213).

أبو الخطاب محفوظ بن أحمد¹ (510 هـ)

الإمام العلامة، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوزاني ثم البغدادي الأزجي. ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة. سمع أبا محمد الجوهري وأبا طالب العشاري وأبا يعلى محمد بن الحسين بن الفراء وغيرهم. وروى عنه ابن ناصر وأبو المعمر الأنصاري وأبو الكرم بن الغسال، وجماعة من الأئمة.

قال أبو الكرم بن الشهرزوري: كان إلكيا إذا رأى أبا الخطاب الكلوزاني مقبلا قال: قد جاء الجبل.

وقال السمعاني: أحد الفقهاء، وكان مفتيا، فاضلا، ورعا، دينا غزير الفضل، وافر العقل، وكان له شعر رقيق.

وقال الذهبي: كان أبو الخطاب من محاسن العلماء، خيرا صادقا حسن الخلق، حلو النادرة، من أذكىء الرجال، روى الكثير، وطلب الحديث وكتبه.

توفي رحمه الله سنة عشر وخمسمائة.

◀ **موقفه من الجهمية والرافضة والمرجئة والقدرية:**

قال أبو الخطاب رحمه الله:

1 الأنساب (90/5) والمنظوم (152/17-155) والسير (348/19-350) وذييل طبقات الحنابلة (116/3-127) والنجوم الزاهرة (212/5) وشذرات الذهب (27/4-28) وتاريخ الإسلام (حوادث 501-510/ص. 251-253).

والشوق نحو الآنسات الخرد
 تذكّار سعدى شغل من لم يسعد
 يوم الحساب وخذ بهديي تمّند
 نهج ابن حنبل الإمام الأوحّد
 والتابعين إمام كل موحد
 شرفا علا فوق السها والفرقد
 لم آل فيها النصح غير مقلد
 ذي صولة عند الجدال مسود
 ذي همة لا يستلذ بمرقّد
 يتسابقون إلى العلا والسؤدد
 فأجبت بالنظر الصحيح المرشد
 قلت الكمال لربنا المتفرد
 قلت المشبه في الجحيم الموصد
 قلت الصفات لذي الجلال السرفد
 كالذات؟ قلت كذاك لم تتجدد
 قلت الجسّم عندنا كالملحد
 فأجبت بل في العلو مذهب أحمد
 قلت الصواب كذاك أخبر سيدي
 فأجبتهم هذا سؤال المعتدي
 قوم تمسكهم بشرع محمد

دع عنك تذكّار الخليط المنجد
 والنوح في أطلال سعدى إنّما
 واسمع مقالي إن أردت تخلصا
 واقصد فإني قد قصدت موقفا
 خير البرية بعد صحب محمد
 ذي العلم والرأي الأصيل ومن حوى
 واعلم بأني قد نظمت مسائلنا
 وأجبت عن تسأل كل مهذب
 هجر الرقاد وبات ساهر ليله
 قوم طعامهم دراسة علمهم
 قالوا بما عرف المكلف ربه؟
 قالوا فهل رب الخلائق واحد؟
 قالوا فهل لله عندك مشبه؟
 قالوا فهل تصف الإله؟ ابن لنا
 قالوا فهل تلك الصفات قديمة
 قالوا فأنت تراه جسما مثلنا؟
 قالوا فهل هو في الأماكن كلها؟
 قالوا أتزعم أن على العرش استوى
 قالوا فما معنى استواه ابن لنا
 قالوا التزول؟ فقلت ناقلة له

لم ينقل التكييف لي في مسند
فأجبت رؤيته لمن هو مهتدي
من عالم إلا بعلم مرتدي
قلت السكوت نقيصة المتوحد
من غير ما حدث وغير تجدد
لا ريب فيه عند كل مسدد
من خالق غير الإله الأجدد
قلت الإرادة كلها للسيد
سبحانه عن أن يعجز في الردي
عمل وتصديق بغير تبدد
قلت الموحد قبل كل موحد
في الغار مسعد يا له من مسعد
ذاك المؤيد قبل كل مؤيد
تصديقه بين السورى لم يجحد
قلت الإمارة في الإمام الأزهد
نصر الشريعة باللسان وباليد
من بايع المختار عنه باليد
فضلين فضل تلاوة وتجدد
في الناس ذا النورين صهر محمد
من جاز دونهم أخوة أحمد

قالوا فكيف نزوله؟ فأجبتهم
قالوا فينظر بالعيون؟ أبنا لنا
قالوا فهل لله علم؟ قلت ما
قالوا فيوصف أنه متكلم؟
قالوا فما القرآن؟ قلت كلامه
قالوا الذي نتلوه؟ قلت كلامه
قالوا فأفعال العباد؟ فقلت ما
قالوا فهل فعل القبيح مراده؟
لو لم يرده لكان ذاك نقيصة
قالوا فما الإيمان؟ قلت مجاوبا
قالوا فمن بعد النبي خليفة؟
حاميه في يوم العريش ومن له
خير الصحابة والقراية كلهم
قالوا فمن صديق أحمد؟ قلت من
قالوا فمن تالي أبي بكر الرضا؟
فاروق أحمد والمهذب بعده
قالوا فثالثهم؟ فقلت مسارعا
صهر النبي على ابنتيه ومن حوى
أعني ابن عفان الشهيد ومن دعي
قالوا فابعدهم؟ فقلت مبادرا

بعد الثلاثة والكريم المختد
 بين الآنام فضائل لم تجحد
 لو عددت لم تنحصر بتعدد
 عمر أو ان الجذب بين الشهد
 نسقا إلى المستظهر بن المقتدي
 وعلى بنيه الراكعين السجد
 ما حن في الأسحار كل مفرد
 قلت الذي فوق السماء مؤيدي¹

زوج البتول وخير من وطئ الحصى
 أعني أبا الحسن الإمام ومن له
 ولعم سيدنا النبي مناقب
 أعني أبا الفضل الذي استسقى به
 ذاك الهمام أبو الخلائف كلهم
 صلى الإله عليه ما هبت صبا
 وأدام دولتهم علينا سرمدا
 قالوا أبان الكلوزاني الهدي
 وله أيضا:

أناضل عن أعراضهم وأحامي
 ولا كنت زنديقا حليف خصام
 ولا في حياة أولعت بسقام
 مذلته تطلبه له لخطام

ومذ كنت من أصحاب أحمد لم أزل
 وما صديني عن نصرة الحق مطمع
 ولا خير في دنيا تنال بذلة
 ومن جانب الأطماع عز وإنما

أبو شجاع السلطان صاحب العراق¹ (511 هـ)

محمد بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان التركي السلجوقي أبو

شجاع الملك صاحب العراق، لما مات أبوه سنة خمس وثمانين وأربعمائة، اقتسموا الأقاليم، وكانت نزاعات بينه وبين أخويه ثم عظم شأن محمد وتفرد بالسلطنة، ودانت له البلاد وكان أخوه يخطب له بخراسان، وقد كان محمد فحل آل سلجوق وله بر في الجملة وحسن سيرة مشوبة، فمن عدله أنه أبطل ببغداد المكس والضرائب ومنع من استخدام يهودي أو نصراني، وكسا في نهار أربعمائة فقير وكان قد كف ممالিকে عن الظلم. ملك العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة والأقاليم الواسعة، كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، عادلا رحيفا سهل الأخلاق محمود العشرة، لما حضرته الوفاة استدعى ولده محمودا وضمه إليه وبكى كل منهما، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة وعمره إذ ذاك أربعة عشر سنة فحكم بعد وفاة أبيه سنة إحدى عشرة وخمسمائة. توفي السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأيام.

◀ موقفه من المشركين:

- قال ابن كثير: ومما وقع في هذه السنة - أي خمسمائة - من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعا كثيرة من حصون الباطنية، فافتتح منها أماكن كثيرة وقتل خلقا منهم، منها قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان في رأس جبل منيع هناك... أنفق عليها ألف ألف دينار، ومائتي ألف دينار، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد

1 السير (506/19-507) والمتنظم (159/17) والكامل في التاريخ (525/10-527) ووفيات الأعيان (71/5) والوفيات بالوفيات (62/5) والبداية والنهاية (193/12) وشذرات الذهب (30/4).

ابن عبد الله بن عطاء، فتعب المسلمون بسبيها، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها، وسلخ هذا الرجل، وحشا جلده تبنا وقطع رأسه وطاف به في الأقاليم، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة يقولون: كان دليلها كلبا والمشير بها كافرا والمتحصن بها زنديقا.¹

- وجاء في السير: وقد حارب الإسماعلية وأباد منهم وأخذ منهم قلعة أصبهان وقتل ابن غطاش ملكهم.²

ابن عقيل³ (513 هـ)

علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة صاحب التصانيف المفيدة. ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. وسمع أبا بكر ابن بشران وأبا الفتح بن شيطا وأبا محمد الجوهري، وتلا بالعشر على ابن شيطا وأخذ العربية على أبي القاسم بن برهان وأخذ علم العقليات على شيخه الاعتزال أبي علي بن الوليد وأبي القاسم بن التبان فأنحرف عن السنة، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب فرمما لاهمه بعض أصحابه فلا

1 البداية والنهاية (178/12).

2 السير (507/19).

3 السير (443-451/19) وطبقات الحنابلة (259/2) والمنتظم (179-182) والكامل في التاريخ (561/10) وميزان الاعتدال (146/3) والبداية والنهاية (197/12) ولسان الميزان (244-243/4) وشذرات

الذهب (40-35/4).

يلوي عليهم. فلهذا برز على أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال وكان فيه شيء من الاعتزال. قال ابن حجر: ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك، وصحت توبته ثم صنف في الرد عليهم، وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم. حدث عنه أبو حفص المغازلي وأبو المعمر الأنصاري وأبو طاهر السلفي وابن ناصر وآخرون. قال السلفي: ما رأيت عيني مثل أبي الوفاء بن عقيل الفقيه ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وحسن إيراده وبلاغة كلامه وقوة حجته. كان يقول: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة وقصر محبتي على العلم، وما خالطت لعابا قط ولا عاشرت إلا أمثالي من طلاب العلم. توفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. وصلى عليه ابن شلفع بجامع القصر وكان الجمع ما لا يحصى.

◀ موقفه من المشركين:

- قال ابن الجوزي: قال أبو الوفاء علي بن عقيل رضي الله عنه: صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها كابن الراوندي ومن شاكله كأبي العلاء. ثم مع ذلك لا يرون لمقاتلتهم نباهة ولا أثرا بل الجوامع تتدفق زحاما والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ والإقرار بما جاء به، وإنفاق الأموال والأنفس في الحج مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد. فجعل بعضهم يندس في أهل النقل فيضع المفاصد على الأسانيد، ويضع السير والأخبار، وبعضهم يروي ما يقارب المعجزات من ذكر خواص في أحجار

وخوارق العادات في بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ويبالغ في تقرير ذلك حتى قالوا إن سطيحا قال في الحبيء الذي حبيء له: حبة بر، في إحليل مهر. والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه. وههنا اليوم معزومون يكلمون الجني الذي في باطن الجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا، وليس قول الكاهن. حبة بر في إحليل مهر، وقد أخفيت كل الإخفاء بأكثر من قوله: «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ^١» وهل بقي لهذا وقع في القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم، وهل ترك تلمح هذا إلا النبي، والله ما قصدوا بذلك إلا قصدا ظاهرا ولحوا إلا المحا جليا، فقالوا تعالوا نكثر الجولان في البلاد والأشخاص والنجوم والخواص فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه. فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقا للعادات. ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلاً ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين. وبطريق العادات في حق المنجمين وبطريق الخواص في حق الطبائعيين. وبطريق الكهانة في حق المعزمين والعرافين. فأى حكم بقي لقول عيسى عليه السلام. «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ^١» وأي خرق بقي للعادات وهل العادات إلا استمرار الوجود وكثرة الحصول.

فإذا نبههم العاقل المتدين على ما في هذا من الفساد، قال الصوفي: أتنكر كرامات الأولياء، وقال أهل الخواص: أتنكر المغناطيس الذي يجذب الحديد، والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان، فويل للمحقق معهم. هذا، والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يجلون ولا يعقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلي كلمتها حتى إن كل الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعا لأهل المحال.¹

- وقال ابن رجب: وكتب ابن عقيل إلى السلطان جلال الدولة (ملكشاه) وقد كانت الباطنية أفسدوا عقيدته، ودعوه إلى إنكار الصانع: أيها الملك، اعلم أن هؤلاء العوام والجهال يطلبون الله من طريق الحواس، فإذا فقدوه جحدوه. وهذا لا يحسن بأرباب العقول الصحيحة. وذلك أن لنا موجودات ما نالها الحس، ولم يجحدها العقل، ولا يمكننا جحدها لقيام دلالة العقل على إثباتها. فإن قال لك أحد من هؤلاء: لا تثبت إلا ما ترى. فمن هاهنا دخل الإلحاد على جهال العوام، الذين يستقلون الأمر والنهي، وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة، التي تنمي ولا تفسد، وتقبل الأغذية وتصدر عنها الأعمال المحكمة، كالطب، والهندسة. فعلموا أن ذلك صادر عن أمر وراء هذه الأجساد المستحيلة، وهو الروح والعقل. فإذا سألناهم: هل أدر كنتم هذين الأمرين بشيء من إحساسكم قالوا: لا، لكننا أدر كناهما من طريق الاستدلال بما صدر عنهما من التأثيرات، قلنا: فما لكم

جحدتم الإله، حيث فقدتموه حسا، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم، وإدارة الأفلاك، وإنبات الزرع، وتقليب الأزمنة؟ وكما أن لهذا الجسد عقلا وروحا بهما قوامه ولا يدركهما الحس، لكن شهدت بهما أدلة العقل من حيث الآثار، كذلك الله سبحانه -وله المثل الأعلى- ثبت بالعقل، لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه، وإتقان أفعاله. وأرسل هذا الفصل إلى السلطان مع بعض خواصه. قال: فحكى لي أنه أعاده عليه فاستحسنه، وهش إليه، ولعن أولئك، وكشف إليه ما يقولون له.¹

- وجاء في البداية والنهاية: وفي شوال قتل رجل باطني عند باب النوبي، كان قد شهد عليه عدلان: أحدهما ابن عقيل، أنه دعاها إلى مذهبه فجعل يقول: أتقتلونني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ فقال ابن عقيل: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾² الآية وما بعدها.³

◀ موقفه من الرافضة:

- جاء في التلييس: قال ابن عقيل: الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم. فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله. فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا

1 ذيل طبقات الحنابلة (3/148-149).

2 غافر الآية (84).

3 البداية والنهاية (12/164-165).

إلا لسوء اعتقاد في المتوفى. فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهلهم وذريتهم. فإذا قالت الرافضة إن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا في الشرع لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم. فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول. وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول. ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه. فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة.¹

✓ التعليق:

انظر هذا الإمام الحنبلي كيف عبر عن أصل الرفض. وهذا الذي ذكره لا يشك فيه من له علم بأحوال القوم، قاتلهم الله وأخزاهم.

◀ موقفه من الصوفية والجهمية:

- جاء في تلبس إبليس: وقال ابن عقيل: عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى، فقالوا في الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة: أوقات. وقالوا في المردان: شب. وفي المعشوقة: أخت. وفي المحبة: مريدة. وفي الرقص والطرب: وجد، وفي مناخ اللهو والبطالة: رباط. وهذا التغيير للأسماء لا يباح.²

1 تلبس إبليس (ص. 120).

2 التلبس (424).

- وفيه عنه قال: والصوفية يوهمون التشبيه. فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات. فإذا قالوا عن أصحاب الحديث، قالوا: أخذوا علمهم ميتا عن ميت. فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع. ومتى أزري على طريق سقط الأخذ به. ومن قال حدثني قلبي عن ربي فقد صرح أنه غني عن الرسول، ومن صرح بذلك فقد كفر. فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة، ومن رأيناه يزري على النقل علمنا أنه قد عطل أمر الشرع. وما يؤمن هذا القائل (حدثني قلبي عن ربي) أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين. فقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءِهِمْ¹﴾. وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقي في قلبه الذي لم يثبت حراسته من الوسوس، وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطرا. قال: والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذايين عن الشريعة حفظها لأصلها، وبالفقهاء لمعانيها: وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأسا ترتفع.

- قال ابن عقيل: والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر: عاشر الصوفية قال وأنا أقول: وخراب دينه. لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقه من الرجال الأجانب فإذا حضروا السماع والطرب فرمما جرى في خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض، فصارت الدعوة عرسا للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص، ومال طبع

إلى طبع وتغير المرأة على زوجها، فإن طابت نفس الزوج سمى بللديوث، وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط. عن لا يضيق الخنق ولا يحجر على الطباع. ويقال: تبات فلانة وألبسها الشيخ الخرقه وقد صلرت من بناته. ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ، حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة في القلوب.¹

- قال ابن الجوزي في المنتظم في ترجمة حماد بن مسلم الصوفي: وكان ابن عقيل ينفر الناس عنه، حتى إنه بلغه أنه يعطي كل من يشكو إليه الحصى لوزة وزبيبة ليأكلها فيبرأ. فبعث إليه ابن عقيل إن عدت إلى مثل هذا ضربت عنقك.²

✓ التعليق:

وقد أسهب القول رحمه الله في بيان ضلال الصوفية وخطرهم، جاعلا مقارنة بينهم وبين أهل الكلام من الجهمية وغيرهم كما سيأتي قريبا. كان هذا الإمام آية في الذكاء والصبر على طلب العلم. وحكوا في ترجمته أن له كتابا اسمه: الفنون قال الذهبي في سيره³ وهو أزيد من أربع مئة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث. وذكر في ترجمته في الطبقات أنه مال إلى مذهب المعتزلة وهجر بسبب

1 التليس (452).

2 المنتظم (266/17).

3 (445/19).

ذلك. وأحضر وتاب على ملاً منهم، وأعلن توبته وبراءته من الحلاج، وبين أنه كان مقتنعا بأهل البدع وذكر براءته منهم ونقطف له بعض المواقف التي توافق طريقة السلف.

- جاء في ذيل طبقات الحنابلة: أنه قال: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت. وذكر عنه أنه قال: لقد بلغت في الأصول طول عمري، ثم عدت القهقري إلى مذهب المکتب. وقد حكى هذا عنه القرطبي في شرح مسلم. وله من الكلام في السنة والانتصار لها والرد على المتكلمين شيء كثير وقد صنف في ذلك مصنفاً¹.

✓ التعليق:

هذه الكلمات من إمام مجرب ذكي، لها وزنها وقيمتها العلمية، فهل للسادة الأشاعرة أن يعتبروا بهذا الإمام ويقتنعوا بعبقيرة أبي بكر وعمر، ولا يضيعوا الأوقات في تحليل الجوهر والعرض، مع أن النظريات العلمية أبطلت وهم الجوهر والعرض، وبينت تحليل الخلايا إلى أصغر جزء.

- وقال: فصل: المتكلمون وقفوا النظر في الشرع بأدلة العقول فتفلسفوا واعتمد الصوفية المتوهمة على واقعهم فتكهنوا لأن الفلاسفة

1 ذيل طبقات الحنابلة (152/1).

اعتمدوا على كشف حقائق الأشياء بزعمهم، والكهان اعتمدوا على ما يلقي إليهم من الاطلاع، وجميعا خوارج على الشرائع، هذا يتحاصر أن يتكلم في المسائل التي فيها صريح نقل بما يخالف ذلك المنقول، بمقتضى ما يزعم أنه يجب في العقل، وهذا يقول: قال لي قلبي عن ربي، فلا على هؤلاء أصبحت، ولا على هؤلاء أمسيت، لا كان مذهب جاء على غير طريق السفراء والرسول، يريد تعلم بيان الشرائع، وبطلان المذاهب والتوهمات، والطرائق المخترعات، هل لعلم الصوفية عمل في إباحة دم أو فرج، أو تحريم معاملة، أو فتوى معمول بها في عبادة أو معاقدة؟ أو للمتكلمين بحكم الكلام حاكم ينفذ حكمه في بلد أو رستاق؟ أو تصيب للمتوهمة فتاوى وأحكام؟ إنما أهل الدولة الإسلامية والشريعة المحمدية المحدثون والفقهاء: هؤلاء يروون أحاديث الشرع، وينفون الكذب عن النقل، ويحسون النقل عن الاختلاف. وهؤلاء المفتونون ينفون عن الأخبار تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، هم الذين سماهم النبي ﷺ: الحملة العدول، فقال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين»¹. فالخارج - وإن خفقت بنوده، وكثرت جموعه، وسمي بالملك - يبعد أن يضرب له دينار أو درهم، أو

1 أخرجه البراز (143/86/1 كشف الأستار) وابن عبد البر في التمهيد (59/1) عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة مرفوعا. وأخرجه العقيلي في الضعفاء (256/4) وابن عدي في الكامل (146/1) وابن عبد البر في التمهيد (58/1-59) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص. 29) والبيهقي (209/10) عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلا. قال القسطلاني في إرشاد الساري (13/1): وهذا الحديث رواه من الصحابة علي وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وابن عباس وجابر بن سمرة ومعاذ وأبو هريرة رضي الله عنهم وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر، لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسنا كما جزم به ابن كيكلي العلاتي.

يخطب له على منبر، أو تكون أموره إلا على المغالطة والمخالسة، بينا هو على حاله يتضعضع لكتاب الملك، ويتخشى من أن يقابله بقتال، أو يصفاه بحرب، لأن في نفس الخارجي بقية من انخساس الباطل، وللملك - وإن قل جمعه - صولة الحق، وكذلك البرخشتي مع الطبيب المقيم: هذا مختار يطلب من الأدوية ما يسكن الألم في الحال، ويضع على الأمراض الأدوية الجواد العاملة بسرعة، فيأخذ العطية والخلعة لسكون الألم وإزالة المرض، ويصبح على أرض أخرى، ومترل بعيد، وطبه مجازفة، لأنه يأمن الموافقة والمعاندة. والأطباء المقيمون يلامون على تطويل العلاج، وإنما سلكوا الملائفة بالأدوية المتركة دون الحادة، لأن الحادة من الأدوية، وإن عجلت سكون الألم، فإنها غير مأمونة الغوائل، ولا سليمة العواقب، لأن ما تعطي الأدوية الحادة من السكون إنما هو لغلبة المرض، وحيثما غلبت الأمراض أوهت قوى المحل الذي حلته الأمراض، فهو كما قيل: الدواء للبدن كالصابون للثوب ينقيه ويبيله، كذلك كلما احتد الصابون وجاد أخلق الثوب، فكذلك الفقهاء والمحدثون يقصرون عن إزالة الشبه لأنهم عن النقل يتكلمون، وللخوف على قلوب العوام من الشكوك يقصرون القول ويقللون، فهم حال الأجوبة ينظرون في العاقبة، والمبتدعة والمتوهمة يتهجمون، كتهجم البرخشتي، فعلومهم فرح ساعة، ليس لعلومهم ثبات، فإن اشتبه على قوم ما دلسه الصوفية عليهم من قول النبي ﷺ: «إن في أمي محدثين ومكلمين»¹ وهو ما يلقي من الفراسات

1 أحمد (339/2) والبخاري (3689/52/7) والنسائي في الكبرى (8120/40/5) كلهم أخرجه من حديث أبي هريرة. وفي الباب من حديث عائشة رضي الله عنها.

والدرايات، كما نطق به عمر. قيل لهم: لو نطق عمر برأيه ولم يصدقه الوحي على لسان السفير، لما التفت إلى واقعته، ولا بيتنى الشرع على فراسته. ألا تراه لما مات السفير قال من هو أعلى طبقة منه: أي سماء تظلي، وأي أرض تظلي، إذا قلت في كتاب الله برأبي؟¹ وقال في الكلاله ما قال. يقول الصديق هذا، وأسلم اليوم لشيخ رباط يخلو بأمرد في سمعه، ويسمع الغناء من أمرد وحره، ويأكل من الحرام شبعه، ويرقص كما تشمس الخيل، لا يسأل الفقهاء، ولا يبني أمره على النقل، يقول بواقعة، ويقول أتباعه: الشيخ يسلم إليه طريقته، وأي طريقة مع الشرع؟ وهل أبتت الشريعة لقائل قولاً؟ وهل جاءت إلا بهدم العوايد ونقض الطرائق؟ ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين. هؤلاء يفسدون العقول بتوهامات شبّهات العقول، وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان، يجنون البطالات، والاجتماع على اللذات، وسماع الأصوات المشوشات للمعايش والطاعات، وأولئك يجرون الشباب والأحداث، على البحث وكثرة السؤال والاعتراضات، وتتبع الشرع بالمنافضات. وما عرفنا للسلف الصالح أعمال هؤلاء الصوفية، بل كانت أحوالهم الجد لا الهزل، ولا أحوال المتكلمين: لا التكشف ولا البحث، بل كانوا عبید تسليم وتحكيم في المعتقدات، وجد وتشهير في الأعمال والطاعات، فنصيحتي لإخواني من المؤمنين الموحدين أن

1 ضعيف. أخرجه: أبو عبيد في فضائل القرآن (842/211/2) وابن أبي شيبة (513/10) والبيهقي في الشعب (424/2) وهو منقطع كما حكم عليه ابن حجر في الفتح (337-336/13) وابن كثير في التفسير (11/1) تحقيق سامي السلامة.

لا يقرع أبحار قلوبهم كلام المتكلمين، ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين، بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة المتصوفة، والوقوف مع الظواهر أولى من توغل المتحلة للكلام. وقد خبرت طريقة الفريقين: غاية هؤلاء الشك، وغاية هؤلاء الشطح. والمتكلمون عندي خير من المتصوفة، لأن المتكلمين مرادهم مع التحقيق مزيد الشكوك في بعض الأشخاص، ومؤدي المتصوفة إلى توهم الإشكال، والتشبيه هو الغاية في الإبطال، بل هو حقيقة الحال، مما يسقط المشايخ من عيني، وإن نبلوا في أعين الناس أقدارا وأنسابا، وعلوما وأخطارا، إلا قول القائل منهم إذا خوطب بمقتضى الشرع: عادي كذا وكذا، يشير إلى طريقة قد قننها لنفسه، تخرج عن سمت الشرع، فذاك مختلف طريقة، وكل مختلف مبتدع، ولو كان في ترك النوافل، لأن الاستمرار على ترك السنن خذلان. قال أحمد رضي الله عنه وقد سئل عن رجل استمر على ترك الوتر: هذا رجل سوء. أنا أنصح بحكم العلم والتجارب: إياك أن تتبع شيئا يقتدي بنفسه، ولا يكون له إمام يعزي إليه ما يدعوك إليه، ويتصل ذلك بشيخ إلى شيخ إلى السفير عليه السلام، الله الله، الثقة بالأشخاص ضلال، والركون إلى الآراء ابتداع، اللين والانطباع في الطريقة مع السنة، أحب إلي من الخشونة والانقباض مع البدعة، الله لا يتقرب إليه بالامتناع مما لم يمنع منه، كما لا يتقرب إليه بأعمال لم يأمر بها. أصحاب الحديث رسل السفير: الفقهاء المترجمون لما أراد السفير من معاني كتابه، ولا يتم اتباع إلا بمنقول، ولا يتم فهم المنقول إلا بترجمان، وما عدهما تكلف لا يفيد. وإلى هذين القسمين انقسم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: نقلة وفقهاء، ولا نعرف فيهم

ثالثا. أصحاب أسواق وصفقات وتجارات، لا ربط ولا مناخ للبطالات، يا أصحاب المخالطات والمعاملات، عليكم بالورع، يا أصحاب الزوايا والانقطاعات عليكم بحسب مواد الطمع. يا طراق المبتدئين إياكم واستحسان طرائق أهل التوهم والخدع، ليس السني عندي المحب لمعاوية ويزيد، ولا لأبي بكر وعمر، ولا الشيعة عندي من زار المشاهد، وأنشد المراثي والقصايد. السني عندي من تتبع آثار الرسول فعمل بها بحسب ما يفتيه الفقهاء، واحتذى الرسم، واتبع الأمر وكف عن النهي، وتتره عن الشبه، ووقف عند الشك، وتفرغ من كل علم خالف النقل، وإن كانت له طلاوة في السمع، وقبول في القلب، ليس قلبك معيارا على الشرع، ما لله طائفة أجل من قوم حدثوا عنه، وما أحدثوا وعولوا على ما رووا، ولا على ما رأوا، الصبر على الرواية مقام الصديقين. قال الخضر للسفير: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا»¹ لأن مستحسنا برأيه ومستقبحا برأيه لا يتبع، لأنه قد بان لك بنص القرآن أن استحسان عقل السفير الكليم واستقباحه ما كان على القانون الصحيح، حتى كشف له عن العذر فيما كان استقبحه.²

مخالطته للمعتزلة ونهي السلف له عن ذلك:

ثم قال: وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يجرمني علما نافعا.

قال الذهبي: كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة، ويأبى حتى وقع في

1 الكهف الآية (67).

2 درء التعارض (61/8-68) والصواعق المرسله (4/1342-1349).

جباثلهم وتجسر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة.¹

تلبسه بمذهب الاعتزال وتوبته منه:

وفي تاريخ ابن الأثير قال: كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حدائمه على ابن الوليد، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين، ثم أظهر التوبة.²

قال ابن رجب رحمه الله: والأذية التي ذكرها من أصحابه له، وطلبهم منه هجران جماعة من العلماء، نذكر بعض شرحها، وذلك أن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد، وابن التبان شيخي المعتزلة. وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة، وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله.

ففي سنة إحدى وستين اطلعوا له على كتب فيها شيء من تعظيم المعتزلة، والترحم على الحلاج وغير ذلك. ووقف على ذلك الشريف أبو جعفر وغيره، فاشتد ذلك عليهم، وطلبوا أذاه، فاختفى. ثم التجأ إلى دار السلطان، ولم يزل أمره في تخييط إلى سنة خمس وستين، فحضر في أولها إلى الديوان، ومعه جماعة من الأصحاب، فاصطلحوا ولم يحضر الشريف أبو جعفر؛ لأنه كان عاتبا على ولاية الأمر بسبب إنكار منكر قد سبق ذكره في ترجمته. فمضى ابن عقيل إلى بيت الشريف وصالحه وكتب خطه:

1 السير (447/19).

2 السير (448/19).

سادتي وإخواني - حرسهم الله تعالى - مصيين في الإنكار علي؛ لما شاهدوه بخطي من الكتب التي أبرأ إلى الله تعالى منها، وأتحقق أني كنت محطاً غير مصيب. ومتى حفظ علي ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار: فإمام المسلمين مكافأتي على ذلك. وأشهدت الله وملائكته وأولي العلم، على ذلك غير مجبر، ولا مكره وباطني وظاهري - يعلم الله تعالى - في ذلك سواء. قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾¹. وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة².

◀ موقفه من المرجئة:

قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقا، فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء³.

موقف السلف من

ابن القشيري (514 هـ)

فتنته مع الحنابلة بسبب تعصبه للأشاعرة:

وحج، فوعظ ببغداد، وبالغ في التعصب للأشاعرة، والغض من الحنابلة، فقامت الفتنة على ساق، واشتد الخطب، وشر لذلك أبو سعد أحمد بن محمد الصوفي عن ساق الجدد، وبلغ الأمر إلى السيف، واختببت

1 المائدة الآية (95).

2 ذيل طبقات الحنابلة (144/1-145).

3 تلبيس إبليس (ص. 103).

بغداد، وظهر مبادر البلاء، ثم حج ثانيا، وجلس، والفتنة تغلي مراجلها، وكتب ولاة الأمر إلى نظام الملك ليطلب أبا نصر بن القشيري إلى الحضرة إطفاء للنائرة، فلما وفد عليه، أكرمه وعظمه، وأشار عليه بالرجوع إلى نيسابور، فرجع، ولزم الطريق المستقيم، ثم ندب إلى الوعظ والتدريس، فأجاب، ثم فتر أمره، وضعف بدنه، وأصابه فالج، فاعتقل لسانه إلا عن الذكر نحوًا من شهر، ومات¹.

وقد تقدمت قصته مطولة مع أبي جعفر عبد الخالق بن عيسى الشريف

(سنة 470هـ).

فهرست الأعلام والمواقف

ق	م	خ	ج	ص	ر	ش	ب
القدرية	المرجئة	الخوارج	الجهمية	الصوفية	الرافضة	المشركون	المتدعة

صفحات المواقف								منه	سنة وفاته	العلم
ق	م	خ	ج	ص	ر	ش	ب			
-	2	-	2	-	-	-	2	1	395هـ	محمد بن إسحاق بن منده
-	-	-	-	-	14	-	-	14	398هـ	بديع الزمان الهمداني
20	20	20	18	-	17	-	16	16	399هـ	محمد بن أبي زنتين
-	-	-	-	-	-	-	-	23	399هـ	موقف السلف من ابن يونس المجسم الكبير
-	-	-	-	-	-	-	-	24	400هـ	موقف السلف من أبي حيان التوحيدي
-	-	-	-	26	-	-	-	25	401هـ	شداد بن إبراهيم
-	-	-	-	-	26	-	-	26	402هـ	ابن السوسنجردي
-	-	-	27	-	-	-	-	27	402هـ	الهرواني
-	-	-	-	-	-	-	28	27	402هـ	إبراهيم بن محمد بن حسين
-	-	-	35	-	34	29	-	28	403هـ	ابن الباقلاني
-	-	-	39	-	-	-	-	38	403هـ	القابسي
-	-	-	39	-	-	-	-	39	403هـ	الخوارزمي
-	-	-	41	-	-	-	-	40	404هـ	سهل بن محمد الصعلوكي
-	-	-	42	-	-	-	-	41	406هـ	أبو حامد الإسفراييني
-	-	-	45	-	-	-	-	45	406هـ	أبو بكر محمد بن موهب المالكي
-	-	-	-	-	47	-	-	47	407هـ	ابن خلدون البلوي
-	-	-	-	-	-	49	-	49	408هـ	طغان خان
-	-	-	50	-	-	-	-	50	410هـ	أبو بكر بن مردويه

صفحات المواقف								صفحة	سنة وفاته	العلم
ق	م	خ	ج	ص	ر	ش	ب			
-	-	-	-	-	-	-	-	51	411هـ	موقف السلف من الحاكم العيدي الرافضي
-	-	-	55	-	-	-	-	54	412هـ	أحمد بن أبي نصر الصوفي
-	-	-	-	-	-	-	-	55	412هـ	موقف السلف من محمد السلمي الصوفي
-	-	-	-	-	-	-	-	58	413هـ	موقف السلف من الشيخ لقيد الرافضي
-	-	-	59	-	-	-	-	59	414هـ	علي بن عيسى
-	-	-	60	-	-	-	-	59	416هـ	ابن النحاس
71	-	-	68	-	-	-	60	60	418هـ	هبة الله اللالكائي
-	-	-	-	-	-	73	-	73	418هـ	أبو إسحاق الإسفراييني
-	-	-	74	-	-	-	-	74	418هـ	معمر بن أحمد الأصبهاني الصوفي
-	-	-	-	-	-	-	-	75	420هـ	موقف السلف من المسيحي الرافضي
-	-	-	80	-	76	76	-	75	421هـ	محمود بن سبكتكين
100	97	92	86	-	83	83	82	81	422هـ	القاضي عبدالوهاب بن علي البغدادي
-	-	-	103	-	-	-	-	102	422هـ	يحيى بن عمار
-	-	-	113	-	111	-	105	104	422هـ	القادر بالله
-	-	-	-	-	114	-	-	114	424هـ	الفشيديزجي
-	-	-	-	-	115	-	-	115	426هـ	النتيبي
-	-	-	-	-	-	-	-	116	427هـ	موقف السلف من الظاهر الرافضي الخيث
-	-	-	-	-	-	-	-	116	428هـ	موقف سلف من ابن مينا فيلسوف وفضاله
-	-	-	-	-	122	-	-	122	428هـ	الحسن بن شهاب أبو علي العكبري
-	-	-	124	-	123	123	-	123	428هـ	أبو علي بن أبي موسى الهاشمي
-	-	-	129	-	-	-	128	127	429هـ	الإمام الكبير أبو عمر الظلمنكي
-	-	-	132	-	-	-	131	130	430هـ	أبو نعيم الأصبهاني
-	-	-	-	-	-	134	-	133	430هـ	أبو عمران الفاسي

صفحات المواقف								معد	سنة وفاته	العلم
ق	م	خ	ج	ص	ر	ش	ب			
-	-	-	135	-	-	-	-	135	432هـ	جعفر المستغفري
-	-	-	-	-	-	-	-	135	434هـ	موقف السلف من أبي ذر الهروي
-	-	-	-	-	-	-	138	138	435هـ	المهلب بن أحمد بن أسيد
-	-	-	-	-	-	-	-	139	436هـ	موقف السلف من المرتضى الرافضي
140	-	-	-	-	-	-	-	140	437هـ	مكي بن أبي طالب
-	-	-	142	-	-	-	-	141	438هـ	عبدالله بن يوسف الجويني
-	-	-	-	-	-	-	147	146	441هـ	محمد بن علي الصوري
-	-	-	-	-	-	-	148	147	442هـ	القزويني الحربي
153	149	149	149	-	149	-	149	148	444هـ	عثمان أبو عمرو الداني
-	-	-	160	-	-	-	-	159	444هـ	عبيدالله أبو نصر السجزي
-	-	-	165	-	-	-	-	165	446هـ	الحسن الأهوازي
-	-	-	-	-	-	-	166	166	447هـ	حكم بن محمد بن حكم بن إبراهيم
-	-	-	-	-	-	-	-	167	447هـ	موقف السلف من القاضي الرافضي
184	184	183	176	-	173	-	169	168	449هـ	أبو عثمان الصابوني
-	191	189	187	-	187	-	-	186	449هـ	ابن بطلال علي بن خلف
-	-	-	-	-	-	-	-	195	449هـ	موقف السلف من أبي العلاء المعري
-	-	-	-	-	199	-	-	199	450هـ	أبو القاسم بن المسلمة
-	-	-	-	-	200	-	-	200	451هـ	عبدالله بن ياسين
-	226	224	-	-	221	209	202	201	456هـ	ابن حزم
-	-	-	-	-	-	-	-	227	458هـ	أحداث السنة الثعثة والخمسين بعد الأربعمائة
-	241	231	229	-	229	229	-	228	458هـ	الإمام القاضي أبو يعلى
259	253	252	249	-	-	-	-	249	458هـ	البيهقي
-	-	-	261	-	-	-	-	261	458هـ	السهروردي

صفحات المواقف								صفحة	سنة وفاته	العلم
ق	م	خ	ج	ص	ر	ش	ب			
-	-	-	-	-	-	264	-	263	462هـ	أبو بكر بن عمر
299	295	285	274	274	272	-	268	267	463هـ	ابن عبدالبر
-	-	-	311	-	309	-	303	302	463هـ	الخطيب البغدادي
-	-	-	-	-	-	315	-	315	467هـ	القائم بأمر الله
-	-	316	-	-	-	-	-	316	467هـ	الداوودي عبدالرحمن بن محمد
-	-	-	-	-	-	-	317	317	469هـ	عبيدالله بن محمد بن الحسين الفراء
-	-	-	-	-	318	-	-	317	469هـ	أبو منصور الديلمي
-	-	-	-	-	-	-	319	319	470هـ	أبو عبدالله محمد بن جعفر الكوفي
-	-	-	-	-	-	321	-	320	470هـ	المظفر بن الأفتس
-	-	-	325	-	-	-	323	322	470هـ	عبدالرحمن بن منده
-	-	-	326	-	-	-	326	325	470هـ	عبدالحالق بن عيسى الشريف
-	-	-	-	-	331	-	-	330	471هـ	الملك أقيس
-	-	-	332	-	-	-	332	331	471هـ	سعد بن علي الزنجاني
335	-	-	335	-	-	335	334	334	471هـ	ابن البناء
-	-	-	-	-	-	-	-	336	474هـ	موقف السلف من ابن العجوز
-	-	-	337	-	-	-	-	337	476هـ	أحمد بن علي المقرئ
-	-	-	-	-	338	-	338	338	476هـ	أبو الفتح عبدالوهاب بن جلبة
-	-	-	339	-	-	-	-	339	476هـ	أبو إسحاق الشيرازي
-	-	-	341	-	-	-	-	340	476هـ	عبدالله بن عطاء الهروي
-	-	-	-	-	-	-	-	341	476هـ	موقف السلف من البكري الأشعري
-	-	-	-	-	-	-	-	343	477هـ	موقف السلف من مسعود بن ناصر
-	-	-	344	-	-	-	-	343	478هـ	عبدالمملك الجويني
-	-	-	-	-	-	-	-	349	478هـ	موقف السلف من مسلم بن قريش

صفحات المواقف								صفحة	سنة وفاته	العلم
ق	م	خ	ج	ص	ر	ش	ب			
-	-	-	414	-	-	-	-	414	506هـ	المعمر بن علي البغدادي
-	-	-	415	-	-	-	-	414	507هـ	الأبيوردي
-	-	-	-	-	416	-	-	415	508هـ	النسيب أبو القاسم
-	-	-	-	417	-	-	-	416	508هـ	ابن حمدين
419	419	-	419	-	419	-	-	418	510هـ	أبو الخطاب محفوظ بن أحمد
-	-	-	-	-	-	422	-	422	511هـ	أبو شجاع صاحب العراق
-	439	-	428	428	427	424	-	423	513هـ	ابن عقيل
-	-	-	-	-	-	-	-	440	514هـ	موقف السلف من ابن القشيري

